



أدباء أحياء

تاريخ للأدب الألمانى فى قصص

من شنتسلر إلى جراس

فريدريك هتمانّ
إنجريد روبيلين
هارالد توندرن

المشروع القومى للترجمة

ترجمة: راندا النشار
ضياء الدين زاهر
مراجعة: علا عادل

769

المشروع القومى للترجمة

أدباء أحياء

تاريخ للأدب الألمانى فى قصص

من شنتسلر إلى جراس

تأليف

فريدريك هِتمان — إنجريد روبيلين

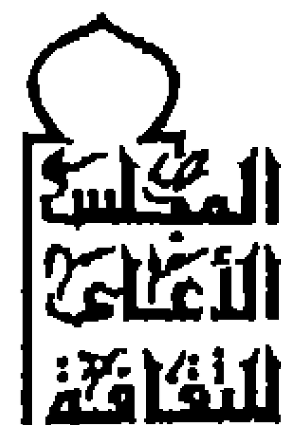
هارالد توندرن

ترجمة

رندة النشار — ضياء الدين زاهر

مراجعة

علا عادل



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٦٩
- أدباء أحياء (تاريخ للأدب الألمانى فى قصص من شنتسلر إلى جراس)
- فريدريك هتمان ، وإنجريد روبيلين ، وهارالد توندرن
- رندة النشار ، وضياء الدين زاهر
- علا عادل
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب :
Dichter Leben
by : Hetmann / Röbbelen / Tondern

« قام معهد جوته بتقديم الدعم المادى لنشر هذا العمل »
"Die Herausgabe dieses Werkes wurde aus Mitteln des Goethe-Instituts gefördert"



شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel : 7352396 Fax : 7358084

المحتويات

مقدمة

يتناول هذا الكتاب «تاريخ الأدب الألماني في قصص» وينصبّ اهتمامه على القرن العشرين ، ليعرف بثمانية عشر من الكتاب بدءًا من "شنتسلر" وانتهاء بـ "جراس" . وكلما اقتربنا باختيارنا من الحاضر كان من غير الممكن تجاوز الثغرات في التناول . ولذلك فقد تم التركيز على أشهر الكتاب ، على هؤلاء ممن يمثلون حقبة أدبية ، أو اتجاهًا أسلوبيا في الأدب ، وعلى غيرهم ممن يتردد ذكرهم في دروس اللغة الألمانية.

«أدباء أحياء» : إن هذا العنوان لم يأت من فراغ ، فقد كتبنا عن كل من الكتاب والكاتبات أقصوصة صغيرة تنسحب على تجربة عاشها كل منهم في شبابه . إضافة إلى تلك الأقصوصات فإننا نحيل إلى بعض الإشارات الخاصة بحياة كل منهم ، نقدم مقترحات للقراءة ، ونذكر أماكن يمكن للقارئ أن يتوجه إليها في رحلة «بحثه عن آثارهم» . ونحن نهدف بتاريخ الأدب هذا ، المختلف بعض الشيء ، أن نقرب البعيد ، أن ننفخ في الروح المتحجرة الحياة ، أن نوضح أنه حتى كبار الأدباء كانوا ذات يوم شبابًا ، أن نثير – وبطبيعة الحال – شهية اللقاء ، اللقاء معهم ومع أعمالهم .

فريدريك هتمان **إنجريد روبيلين** **هارالد توندرن**

آرتور شنتسلر

بقلم فريدريك هِتمان

الإنقاذ أم « ألم تعد تحبنى ؟ » ؟

انفتح الباب، ودلف أحدهم إلى الداخل. انظر هناك، إنه ديريكس، كما يخيل إلىّ. إن هذا الأمر ليس نذير خير.

كنت أكتب الجملة: "... لا تحسبوا التردد والتمهل الذى غالبا ما ينتقد فينا سبابا، إذ إنكم كلما سلكتم الآن سلوكا يتميز بالحمية المبالغ فيها دب فيكم الهدوء بعد ذلك." من (تاريخ حرب البيلوبونيز) لمؤلفه توكيديديس. كان هذا هو الامتحان التحريرى للثانوية العامة. لم أكن فى حاجة إلى براشيم. كان هذا الأمر واضحا إلىّ تماما عندما غادرت المنزل فى صباح اليوم. ولكن الحرص واجب.

صفق ديريكس بيديه قائلا: "ليسمع الجميع. كل التلاميذ الذين ذهبوا إلى الحمام منذ بداية الامتحانات يتوقفون الآن عن الكتابة ويتوجهون إلى صالة الجمباز."

"همّا اتجننوا؟"، وصل إلى مسامعى من التختة التالية. المسافة بين التخت متران. بسبب الغش.

همهمة محمومة من اثنين وعشرين تلميذا.

مرة أخرى أتى صوت ديريكس: "هناك للأسف سبب وجيه يجعلنا نظن أن بعض التلاميذ متورطون فى مناورة خداع رخيصة."

يا للمصيبة، كيف فقسوا الموضوع؟

"ستخلعون ملابسكم فى صالة الجمباز وسيجرى لكم تفتيش ذاتى. إن المعنيين بالأمر عليهم النهوض الآن والتوجه إلى الفناء."

صاح أحد الظرفاء: "وحيبقى فيه درجة زيادة لو ما لقيتوش حاجة ؟"

لم تلق المزحة إلا استحسانا ضعيفا، فالأمر جد خطير. كما أن السؤال يطرح نفسه عمن ليس معه برشامه.

أنا على أية حال معى واحدة.

وبما أنها مخبأة خلف أستك جوربى الممتد إلى ركبتى فسيجدونها؛ إذ أين يمكن لى أن أتخلص منها الآن على وجه السرعة؟

وبالرغم من أننى لم أستعملها على الإطلاق عندما كنت فى الحمام، ولكن حينما يجدونها سيلغى امتحان الثانوية العامة بالنسبة لى. يا حلاوة.

وأخذت أتصور ما سيقوله لى والدى: هل كنت فى حاجة إلى ذلك، وتقديرك فى اللغة اليونانية ممتاز؟

معه حق. لم أكن فى حاجة لذلك. لقد كان أمر البرشامة من قبيل الحيطة ليس إلا.

كان من المعروف أن توكيديديس سياتى فى الامتحان، ولكن ماذا على وجه التحديد منه ... فالنص يبلغ فى مجمله ٦٧٠ صفحة.

نفخت البرشامة حافة الجورب بشكل جعله يبدو كورم من الأورام. فلا شك إذن فى أنهم سيجدونها لا محالة.

"بيتشمان! زورجه! يانوشيك!"

أخذ ديريكس ينادى علينا بالترتيب الذى ذهبنا فيه إلى الحمام.

أضف إلى ذلك دفتر المذكرات.

يا للمصيبة، دفتر المذكرات الأحمر.

كل أسرارى. هذا ما ينقصنى أيضا.

إنه فى الجيب الأيسر للبنطلون. فمنذ أن وجده أبى ذات مرة فى المنزل وقرأه، منذ أن قام بعدها والدى، الذى يعمل طبيبا، بإعطائى أطلسا للأمراض الجنسية للاطلاع عليه، بدأت آخذه معى دائما إلى المدرسة.

هذا التعلق الغبى بالكتابة. لماذا أفعل ذلك؟ لا أعرف. ولكنى لا أستطيع قهر هذا الإدمان عندى. لماذا إذن؟

حتى لا تفنى الذكريات، حتى يكون لدى الإنسان وسيلة تساعده على تذكر لحظة ما تذكرا دقيقا حتى بعد مرور ثلاث أو أربع سنوات.

يا للمصيبة، كنت سأكون الآن سعيدا لو مُسح كل شىء. مرة أخرى: لماذا؟

أيضا تدريبًا لى، لأنى أريد فى يوم منَ الأيام أن أكون أديبا.

لم يُناد على إلى الآن.

ربما يكون من العقل أن أعترف بحيازتى للبرشامة لأنقذ بذلك دفتر يومياتى. يا للمصيبة، إننى أرتعش ارتعاش سنبلة فى مهب الريح، وليس لدى أدنى فكرة عما ينبغى على أن أفعله أولاً، وعما قليل سيكون الأوان قد فات.

"شنتسلر!"

نهضت من مكانى ومشيت مرتعشا إلى الأمام، راميا هذا الجبار بنظرة خجلى، فما كان منه إلا أن أشار إلى الباب الذى كان الآخرون أيضا قد تواروا فى حجابه.

هناك بالخارج فى الممر كان ينتظر أحد المدرسين. باتسكه. جدع غير مريح.

"هيا بنا"، قالها دون أن يبدو عليه أى انفعال.

فجأة أدركت أننى يجب أن أنقذ دفتر اليوميات. بأى ثمن.

"أريد أن أدلى باعتراف."

" الآن فات أوان الاعترافَ بأى شىء. الآن سيُكشف عن الجناة"، قالها باتسكه بجفاء.

هذا السادى.

فى صالة الجمباز تحتم علىّ مع الثلاثة الآخرين خلع ملابسى، ليقف أربعتنا هناك بعد قليل بالغيارات الداخلية والجوارب.

"الغيارات الداخلية والجوارب أيضا"، طالبنا بذلك باتسكه الذى كان يراقب الإجراءات.

"حقا؟"، سأل الفونس الذى كان واقفا بجانبى غير مصدق لما يحدث.

"هيا، هيا"، ألح علينا باتسكه معقبا: "لا بد من خلع الغيارات الداخلية. فهم يطلبون ذلك أيضا فى إجراءات التفتيش."

كنت محقا فى رأيى تجاه هذا السادى.

يا الله، أليس هذا مؤلما، لقد قام ألفونس بلصق البرشامة على شعر عانته بلاصق طبى.

قال باتسكه: "انظر. ها هو ذا شخص آخر حالفنا التوفيق معه."

بعد ذلك أتى إلى.

انحنيت وأخرجت البرشامة مقدما إياها له.

"لم أتوقع منك ذلك، يا شنتسلر. غير أننا نريد الآن أن نرى أيضا ما كل هذا الذى تحمله معك فى جيوب بنطلونك؟!"

أمسك بالبنطلون المخلوع متحسسا جيوبه من الداخل. وها هو ذا، دفتر اليوميات الأحمر! أوه، سحقا ثم تبًّا!

"همم، يا ترى ماذا به"، قالها فى فرحة امتزجت بالشماتة.

ظللت صامتا، فماذا عساى أن أقول؟

أخذ يقلب فى الدفتر الأحمر.

صحت به: "هذا أمر شخصى. ليس من حقك أن تقرأه!"

تمتم فى خنفان: " ... بغرض استجلاء محاولة خداع شريرة بطبيعة الحال."

"هات الدفتر حالا!"، خرج صوتى راعدا.

"ما هذا الشىء المهم لهذه الدرجة بداخله؟"، سألنى وأخذ يجرى على صفحاته بإبهامه.

قفزت إلى الأمام محاولا انتزاع الدفتر منه. حدث تراشق بالأيدى. تدخل أعضاء آخرون من هيئة التدريس لنجدته. وعندما هدأ المشهد، كان باتسكه ما يزال ممسكا بالدفتر الأحمر فى يده.

قال والهواء يخرج من أنفه من شدة الانفعال: "سيكون لهذا الأمر عواقبه. سنذهب حالا ومن فورنا إلى المدير."

كانت السيدة بيزيلير هى مديرة السكرتارية.

قالت: "يمكنك الدخول يا أستاذ باتسكه."

وقال هو:"دمتم لنا ذخرا."

ظللت فى أثر باتسكه. نهض المدير من وراء مكتبه.

قال متنهدا تنهدا مصطنعا: "تلميذ آخر." تمتم ديريكس متكدرا قائلا: "شيء لا يصدق. إنهم الآن خمسة عشر. ومن بينهم أيضا فلذة كبدي"، راسما على وجهه قسمات من حيرة.

سلمه باتسكه البرشامة أولا، ثم دفتر اليوميات.

سأل ديريكس مندهشا: "ما هذا الشيء يا ترى؟"

هتفت به: "دفتر يومياتي."

أدلى باتسكه بتقريره قائلا: "قاومني التلميذ شنتسلو متعديا على بالضرب عندما أردت استقصاء الأمر."

قطب ديريكس جبينه، قاطعا ثلاث، خطوات أربعًا من مكتبه ذهابا وإيابا، بعدها قال: "من الأفضل أن تتركنا وحدنا الآن يا أستاذ باتسكه ..."

"يا حضرة المدير لقد وصلت إلى الرأى ... "

"مفهوم. تأكد من أننى سأبحث الأمر بما يلزم من العناية. إذن ..."، قالها ليهزّ يده كما لو كان هناك ذبابة وجب هشها.

غادر باتسكه الغرفة.

بينما كان المدير يتصفح الدفتر الأحمر وقعت من الدفتر قصاصة من الورق قام برفعها من على الأرض ليناولنى إياها قائلا: "اقرأ!"

كانت فينشِن قد أعطتنى قصاصة الورق بالأمس. أعرف فينشِن منذ سنتين، ثلاث سنوات. غير أننى منذ أن ذهبت إلى ڤينوس ويونو وأفروديت، السيدات فى ذلك الشارع، فقدت فينشِن ما لها عندى من سحر بعض الشيء. كتب على القصاصة:

ألم تعد تحبنى يا آرتور؟ ... فينشِن[1]

كنت أقرأ ما كان مكتوبا ولكن بصوت غير مرتفع تمام الارتفاع.

سألنى المدير مبتسما ابتسامة خفيفة: "وماذا سيكون ردك؟"

قلت: "لا أعرف بعد."

"فلماذا إذن تتشكك الآنسة فينشِن هذه فى مشاعرك نحوها؟"

لم أعرف تماما بم يجب أن أرد على هذا السؤال.

وأخيرا قلت، وأنا أشير إلى الدفتر الأحمر: "كل شىء مكتوب فيه بالتفصيل."

قال المدير: "جميل، ولكننى لا أقرأ اليوميات أو خطابات الحب التى تخص الآخرين، فلا يصح فعل مثل هذا الأمر. فمثل هذا الأمر أكثر وضاعة بكثير من استعمال برشام فى الامتحان التحريرى. فهلا شرحت لى لماذا لا تشعر بالارتياح تجاه هذا الأمر؟"

أحمرّ وجهى فى هذه اللحظة.

تماثل أمام عينى مجددا بوضوح كيف أن ما كان عندى من الخوف الشديد وأنا عند ڤينوس ذات الشعر الأشقر الفاتح، المقيمة بميدان شتوكّ إمْ أيزن منعنى من أن أطارحها الغرام، وكيف نصحتها - وأنا واقف عند النافذة أهز عصا المشى القصيرة الخاصة بى - بأن تغير مجال عملها إلى مجال عمل أكثر وقارا، يُنتظر منه خير أكثر. وقبل أن أرحل أعطيتها قطعتى نقود من الجولدين التى يرجع الفضل فى حيازتى لهما إلى ما أوهمت به أمى من حتمية شرائى لكتاب جديد من كتب جِنديلى بعنوان "مجمل تاريخ العالم".

كنت لا أزال على ما أنا فيه من تردد.

إذا فتح المدير دفتر اليوميات فسيجد كل شىء مكتوبا. ولكنه وعدنى وعدا صادقا بأنه ليس لديه النية فى الاطلاع على ما فيه؛ فهو لا يفعل مثل هذا الأمر. وربما كان هو فى نهاية المطاف ليس هذا الطاغية متحجر القلب الذى طالما توهمناه.

حثنى بقوله: "هيا، تحلَّ بالشجاعة!"

وبالفعل بدأت أتحدث. حتى أنا لم أعرف من أين واتتنى الشجاعة أن أخبره عن مغامراتى فى ميدان شتوكّ إم أيزن، عن زياراتى لفينوس، وغيرها من الآلهات المقيمات هناك، وكيف أدت هذه الزيارات إلى كتابة هذه القصاصة التى دسَّتها لى بالأمس فينشِن. ستودى بنفسك إلى الهلاك - قلتها لنفسى - غير أننى عندما نظرت إلى وجهه فى هذه اللحظة لم تكن أى قسمات من تكدر وحنق ترتسم عليه، بل قسمات من حنو وسرور خفى. ربما لأنه نفسه يعرف إحدى الآلهات هناك. عندها قلت لنفسى: أريد أن أكون أمينا، فربما كان هذا هو الإنقاذ.

"همم" قالها المدير بعد أن وصلت إلى نهاية حكايتى، معيدا إلىَّ دفتر اليوميات. "لقد كانت حكاية غريبة ومؤثرة بالفعل. مثل هذه الحكاية لا يمكن للإنسان أن يخترعها. أنا على ثقة من أنك قد عايشتها تماما كما حكيتها، ولقد حكيتها بشكل جيد. إذن: عد الآن إلى المنزل ، ولكن إياك أن تصيب عائلتك بالخوف وبالهلع بسبب ما حدث من أمر البرشامة، هل تسمعنى؟"

لم أحرك ساكنا بعدما توارى الدفتر الأحمر مرة أخرى فى جيب بنطلونى.

"هه ... هل من شىء أخر؟"

"لكننى رسبت فى امتحان الثانوية"، قلتها متلجلجا.

تأملنى المدير طويلا، وهو صامت.

ثم قال: "هل أنت حقا من الراسبين؟"، ليهز رأسه مواصلا كلامه : "لا أظن. فمن يستطيع رواية مثل هذه القصص لا بد أن يُمنح حتما شهادة إتمام المرحلة الثانوية."

حملقت فيه فاغرا فاهى.

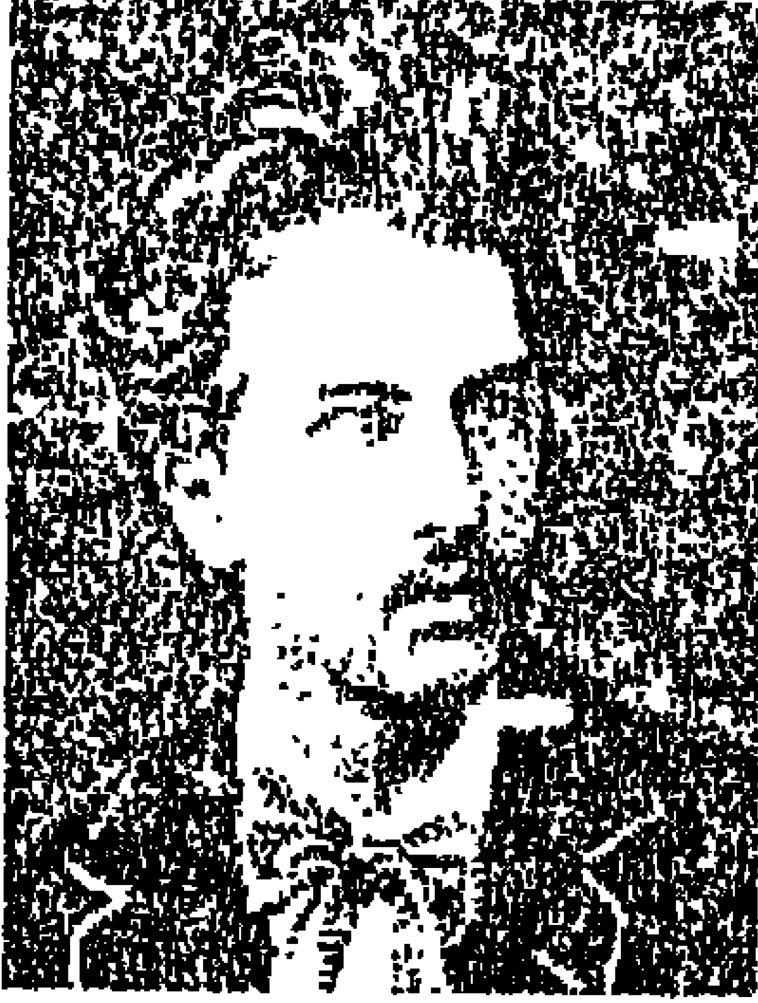
"ولكن كيف يمكن أن يحدث ذلك؟"، سألته، وقد ملأتنى الدهشة.

قال فى هدوء:" خمسة عشر من بين اثنين وعشرين عدد كبير بعض الشىء. لا بد أنه هناك أيَّة لائحة من اللوائح تُقصرِ من يسمح لهم بالرسوب بنسبة مئوية معينة. الأمر فى منتهى البساطة. ستمتحنون مرة أخرى فى اللغة اليونانية، ولكن هذه المرة بدون براشيم، ولن يأتى فى الامتحان «حرب البيلوبونيز». قل هذا للآخرين عندما تراهم."

انسحبت من الغرفة فى هدوء، وقد أخذت تدوى فى أذنى الجملة التى تقول: لشد ما يكمن أن نخدع فى الإنسان! ... لشد ما يكمن أن نخدع فى الإنسان!

آرتور شنتسلر Arthur Schnitzler

ولد فى ١٨٦٢/٥/١٥ فى ڤيينا، وتوفى فى ١٩٣١/١٠/٢١ فى ڤيينا



ولد آرتور شنتسلر فى ڤيينا فى الخامس عشر من شهر مايو من عام ١٨٦٢ لوالد كان طبيبا مشهورا وأستاذا جامعيا. كانت أسرته ميسورة الحال ولها علاقات وثيقة بوسط التمثيل. درس آرتور شنتسلر فى المدرسة الثانوية الأكاديمية، ودرس من عام ١٨٧٩ الطب فى جامعة ڤيينا. فى عام ١٨٨٥ حصل على درجة الدكتوراه فى الطب ليعمل بعدها طبيبا فى عديد من المستشفيات. تخصص بعد ذلك فى الأمراض العصبية ليصبح فى آخر الأمر أخصائى حنجرة معروفا. فى عام ١٨٨٨ قام برحلة إلى لندن وباريس وبرلين لكى يقف هناك على أحوال بعض المؤسسات الصحية. بدأ آرتور شنتسلر مبكرا فى الكتابة، حيث نشر له لأول مرة فى مجلة "لاندبوتين البافارية الحرة" (مراسلو البر الباڤاريون الأحرار) Bayrischen Freien Landboten وكان عمره آنذاك لم يتجاوز الثمانية عشر ربيعا إلا بقليل. منذ عام ١٨٨٩ كان ينشر قصائده بالاسم المستعار أناتول (Anatol) فى مجلة "على نهر الدانوب الأزرق الجميل" An der schönen blauen Donau بڤيينا. وعندما ظهرت له فى عام ١٩٠١ قصة "الملازم جوستل" Leutnant Gustl ذات النقد الاجتماعى اتهمته "محكمة القيم" أنه بتصويره لأحد الضباط قد أضر بـ "شرف وسمعة الجيش النمساوى المجرى وأحط من قدرهما"، حيث سحبت منه رتبته العسكرية كضابط.

كان شنتسلر – سويا مع هوجو ڤون هوفمانستال Hugo von Hofmannsthal وريشارد بير – هوفمانّ Richard Beer-Hofmann – من أعضاء الجماعة الأدبية المعروفة باسم "ڤيينا الشابة" Junges Wien . كما كان شنتسلر صديقا لعالم التحليل

النفسى زيجموند فرويد Sigmund Freund ولـ هاينريش مانّ Heinrich Mann ، وقد ظل شنتسلر ممارسا للطب لفترة طويلة بجانب ما كان يقوم به من عمل أدبى.

فى عام ١٨٩٦ حقق شنتسلر بمسرحيته "علاقة حب عابرة" Liebelei نجاحا هائلا بوصفه كاتبًا مسرحيًا. أما مسرحيته "الرقصة الجماعية" Der Reigen من عام ١٩٠٣ فقد تسببت بها فى إحداث فضيحة ؛ فلمرات عديدة تم منع عرض المسرحية بوصفها "جنسا فاضحا". ومع ذلك وربما لذلك أصبحت "الرقصة الجماعية" أشهر مسرحياته، وهى المسرحية التى تحولت أيضا إلى أفلام سينمائية مرارا وتكرارا.

يعد شنتسلر من أكثر كتاب الدراما الذين قدموا على خشبة المسرح فى فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى. أما عن نصوصه المسرحية وكتاباته النثرية التى تتميز بتوغل السخرية القانطة، والكآبة فيها ، فهى تنتقد النفاق الأخلاقى السائد فى زمنه مع مطلع القرن العشرين. ويعد شنتسلر أبرز كتاب النمسا فى هذا العصر.

فى سيرته الذاتية "شباب فى ڤيينا" Jugend in Wien يصف لنا شنتسلر بشكل موح للغاية الحياة فى أسرة يهودية من الطبقة البرجوازية العليا، كما تعد يومياته التى امتدت الكتابة فيها لفترة تزيد عن خمسين عاما والتى لم تنشر كاملة إلا من وقت قصير شهادة معبرة على العصر.

توفى آرتور شنتسلر فى يوم الحادى والعشرين من شهر أكتوبر من عام ١٩٣١ فى ڤيينا.

مقترحات للقراءة

من يريد التعرف على الإنتاج الأدبى الضخم لـ آرتور شنتسلر ربما يجدر به فى بادئ الأمر أن يقرأ أقصوصة حكاية مثل حلم من الأحلام Traumnovelle . بعدها يمكنه أن يتصفح قليلا فى شباب فى ڤيينا. ومن تسمح له الظروف فإنه عليه أيضا أن

يشاهد على المسرح مسرحيته الرقصة الجماعية التى منع عرضها آنذاك بوصفها "جنسا فاضحا".

مزارات

فى ڤيينا يمكنك أن تزور منزل طفولة شنتسلِر فى حارة إيشِنباخ جاسّه Eschen-bachgasse الواقعة بين أوبر Oper وبورج رِنج Burgring . وفى المدرسة الثانوية الأكاديمية عند ميدان بيتهوفن تلقى تعليمه قبل الجامعى. أما فى مقهى سنترال Café Central ومقهى روتميِّر Café Ruthmayr فقد اعتاد على مقابلة أصدقائه وصديقاته، حيث اعتاد بشكل متكرر أن يشترك معهم أيضا فى حفلات الرقص فى صالات الملائكة الثلاثة Drei-Engel-Sälen . ويمكنك أن تجد مدفن آرتور شنتسلِر فى الجزء الإسرائيليتى من الجبانة المركزية فى ڤيينا.

هاينريش مان

بقلم : هرالد توندين

موت السيناتور

أغلق باب البيت الضخم بهدوء كما كان يحدث سابقًا . استرق هاينريش للحظة السمع . لو لاحظ أحدهم رحلته الليلية هذه لأصابه الكثير من الحرج. هذه الليلة بالذات. تحسس موضع ثقب الباب ووضع فيه المفتاح، وأداره بحذر، تماما مثلما كان يفعل كثيرًا حينما كان طالبًا فى المدرسة الثانوية، عندما يخلد كل من فى البيت للنوم فينطلق هو. تحسس درجات المدخل الأربع هابطًا. فجأة ارتجفت قدمه متراجعة. على الرصيف تناثر شيء طرى رخو. أيكون فأرًا ميتًا ؟ ثم تذكر : إنه القش.لقد غطوا بلاط الرصيف الخشن فى شارع "بيكرجرويه" بطبقة سميكة من القش، لكى لا تزعج صلصلة المركبات والعربات التى تجرها الخيول أباه – السيد السيناتور توماس يوهان هاينرش مان – الراقد على فراش المرض. والآن فقد سقطت الأمطار وحول المطر القش الذى طحنته الإطارات الحديدية لعجلات المركبات فأصبح كالتبن ، إلى معجون رطب تناثر على الرصيف حتى مدخل البيت ومقر التجارة.

تملك الغضب من هاينريش. لماذا لم يتم إبعاد القش منذ حين ؟ فى الصباح الباكر سوف يبعث إلى مقر البلدية مطالبًا بتنظيف الشارع بأسرع ما يمكن. عندما لاحت له هذه الفكرة تمطى لا إراديا؛ هو الابن الأكبر للسيناتور فما لهم أن يتخطوه .

وعندئذٍ طاف بذهنه ما أبلغته به أمه من قبل واستقبله أولاً بالارتياح ثم أصابه فجأة الحنق على أبيه. كيف فعل ما فعل ؟

هذا رغم تخوف هاينريش فى القطار من برلين من أن تلح عليه العائلة بالمطالب وتلزمه بأداء واجبه نحوها. "عزيزى هاينريش" هكذا كتبت له أمه "اشتد المرض على أبيك الطيب. وأرى أنه من المستحسن أن تأتى سريعًا لكى تمد له يدك مصافحًا – وفى حالة الضرورة – تكون معنا جميعًا بالقرب منه"(١) .

طلب هاينريش من دار نشر فيشر التى يقضى بها فترة تدريب منذ عدة شهور أجازة ، وأسرع إلى لوبك يملؤه الخوف من أن يصل متأخرًا .

كان الأب واهنًا. دخل هاينريش إلى الحجرة على استحياء . لم يشعر قط بكل هذا الحنان والحب تجاه أبيه . مع كل حشرجة نفس لهذا الذى يعانى سكرات الموت ينقبض داخله شىء ما انقباضًا معذبًا. ولكن فى الوقت نفسه ، بينما يعانى بكل جوارحه مع أبيه الذى يشرف على الموت اختلس النظر ليسجل ما يدور حوله بدقة. بل إنه ويدون أن يلفت النظر غير مكانه لكى يتمكن من رؤية إحساس الفزع فى عينى أمه الداكنتين دائمتى التألق – عدا اليوم – بشكل أفضل وبينما تنحنى على أبيه لتمسح له فمه. راقب شقيقته كارلا التى أخذت تضغط على شفتيها بمنديل أبيض من الدانتيلا بحركات مبالغ فيها، وفجأة التقت عيناه بعينى أخيه.أشاح كل منهما بوجهه عن الآخر كما لو أنهما ضبطا متلبسين، و لكن هاينريش أدرك على الفور أن بالحجرة مراقبًا ثانيًا. وبشكل أو بآخر استشعر شيئًا من التناقض فى هذه اللحظة جعله لا يصرف نظره منذئذٍ عن توماس.

مات الأب الآن . إنه مسجى خلف النوافذ العالية المستديرة فى الطابق الأعلى . حينما رفع هاينريش ناظريه إليه، إشتعل الغضب فى نفسه ثانيةً بنفس قوة اشتعاله بعد الظهر وعندما شرعت الأم وبعبارات حذرة فى تهيئه هاينريش لمضمون وصية أبيه. تثاقلت خطواته غضبا ، وكاد ينزلق مع أول خطوة على القش المعجون فبدأ يأخذ حذره.

أوصى السيناتور بأن تباع شركته؛ لأن أكبر أبنائه هاينريش وتوماس لا يصلحان لمهنة التجارة. قضى الأمر. "كان بإمكانه أن يسألنى أولاً" طافت هذه الفكرة فى ذهن هاينريش وهو لا يزال حانقا كما كان بعد ظهر اليوم ، ولكن الأب – كما أخبرته الأم – ذهب إلى أبعد من ذلك "أما الأوصياء فألزمهم بتربية عملية لأولادى ".

كتب ذلك فى وصيته ثم أضاف: "و عليهم ما استطاعوا الوقوف فى وجه ميول ابنى الأكبر نحو ما يدعى اشتغالاً بالأدب. فهو فى رأيى يفتقد مقومات النجاح والدقة فى هذا المجال؛ من الدراسة الكافية والمعرفة الشاملة . أما خلفية ميوله تلك فهى الاستغراق فى الأحلام وعدم المبالاة بالآخرين الناتج على الأرجح عن نقص فى الفكر الثاقب."(٢)

عدم المبالاة بالآخرين ! هل يدخل فى نطاق عدم المبالاة أنه انقطع عن تعلم مهنة تجارة الكتب فى درسدن(*) ؟ هناك كان جل اهتمامهم أسعار الكتب لا محتواها. فليته إذًا يتاجر فى الغلال أو لحم الثيران !

اتسعت خطوات هاينريش وأخيراً ظهر أمامه خلال ظلمة أكتوبر هذه مبنى كبير يشبه المعسكرات مبنى بالطوب الأحمر. إنه مدرسته الثانوية القديمة. لا إرادياً شق طريقًا كان فيما مضى طريقه اليومى. وللتو طفا إحساسه القديم بالقهر والخبث الذى رافقه دائمًا فى هذا المبنى المظلم . هناك خبر معلم اللاتينية طاغيةً من نوع خاص.

رجل ذو كرش وصلعة كبيرة ، أصفر اللحية وإن شاب لونها الاحمرار، ينتفخ وجهه ليكتسى بلون أحمر داكن لأوهى الأسباب، حتى لتبدو لحيته عندئذٍ صفراء فاقعًا لونها .

كل ما أثار اهتمام هاينريش الحقيقى كان إشعار هاينى وروايات تيودور فونتانا. وهو ما عده هذا المعلم اهتمامات جانبية ممنوعة تصرف ذهن التلاميذ عن الانكباب على اللاتينية واليونانية . عقد هاينريش لا شعوريا قبضة يده ولوح مهدداً مدرسته الثانوية القديمة. كره المدرسون الأوائل والأساتذة فى مدرسة الكاتارينيوم تلاميذهم بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى وعاملوهم كأنهم أعداءٌ . أما هو – هاينريش – فلم يغلبوه قط على أمره حتى فى أثناء الدرس، كان يقرأ خلسة ومن تحت المقعد الكتب الممنوعة وفى بعض الأحيان كان يكتب الشعر . ولم يتمكن المدرسون من إثبات شىء عليه. كانت درجاته تكفى دائمًا للانتقال للصفوف أعلى، على عكس حال أخيه الأصغر. لقد اضطروا توماس إلى إعادة السنة الدراسية مرتين. وفى المقابل فقد وصموه هو –

(*) لكى يصبح المرء بائعًا للكتب فى ألمانيا عليه أولاً أن يلتحق بمدرسة تعده مهنيا لذلك . (المترجمة)

هاينريش- بالحالم ، وقسوا عليه حتى ترك المدرسة بعد المرحلة الأولى من المدرسة الثانوية. أدار هاينريش ظهره بغتة لمدرسته الثانوية القديمة ومضى إلى حال سبيله.

عاد يفكر في الوصية. شعر بالإهانة لأن أباه تخلص من الأمر برمته هكذا. ببساطة يقضى بأن تصفى الشركة! ما عساه أن يفعل الآن ؟ لا يستطيع أن يتقبل الأمر على علاته. يجب أن يكون له حق الاعتراض. ولكن في مكان ما من أعماق نفسه كان ثم صوت آخر خفيض يطرب أن حيل بينه وبين الشركة. وخطرت له فكرة أخرى: إذا بيعت الشركة توفر المال، أليس من حقه حينئذٍ راتب شهرى أو شيء مثل ذاك؟

و لكن أمه أفضت إليه أن هناك إضافة أخرى فى الوصية فقد كتب الأب :"أرجو من أخى أن يستخدم نفوذه على ابنى الأكبر حتى لا يسير فى طريق خاطئ يؤدى به إلى التهلكة"(٣) .

أفاقه من أفكاره ذراع يكتسى بثوب وردى وامتد نحوه من خلال باب فتح بجانبه بهدوء . اكتشف هاينريش أنه فى حارة جانبية ضيقة. انفتحت أمامه أبواب أخرى . وأغرته أصوات نسائية تبذل بدلالٍ الوعود. أسرع الخطى وحاول أن يظل فى منتصف الحارة الصغيرة . بعيداً عن متناول الأذرع النسائية الشاحبة.

فجأة وجد نفسه فى الميناء. تكدست السفن وبدت سوداء تحت خيوط ضوء القمر التى انبعثت فجأة من بين الغمام. فكر هاينريش فيما لو صعد إلى سطح أحدى هذه السفن وسافر مع الشروق إلى بلادٍ بعيدة ! بدا له المنظر خلاباً؛ أكثر سحراً من الذراع النسائى ذى الثوب الوردى.

تحرك خلفه شبحان آدميان فى الظلام واحد عن يمينه والآخر عن يساره. تقابلا بالقرب من هاينريش وقال أحدهما للآخر : "ها ، على فين يا كلاوس" فأجاب الآخر بصوت عميق غليظ :"نروح نسكر طينة".فهم هاينريش لهجة هذين البحارين. تعلمها فى الشوارع ومن خدم أبيه.

تبع الرجلين خلال عدة أزقه موحلة. فى إحدى الحوارى الواسعة إلى حد ما اتجها بانحناء نحو بيت كبير ذى بوابة شونة ضخمة ، يتأرجح فوقها وعلى اللوحة التى تحمل

اسم المحل فانوس. ترامى إلى سمعه صوت موسيقى . اختفى البحاران فى الردهة ، وأخذ أحدهما يغنى مع الموسيقى . دخل هاينريش كذلك إلى الردهة ولكنه توقف على أية حال. ارتفع صوت الموسيقى عندما فتح البحاران الباب المؤدى إلى القاعة ودخلا . اللحظه رأى هاينريش من فوق رءوس الرجال المنصتين المغنية على المسرح ، رغم أنها لا يمكن أن تراه فى ظلمة الردهة، فإنه انطبع فى نفسه أنها تبتسم له ثم أغلق الباب.

كان هاينريش يعرف الحانة . جاء إلى هنا سابقًا أيام مدرسة الكاتارينيوم فى بعض الأحيان مع تلاميذ آخرين ، فى ذلك الحين كانت فنانة أخرى تغنى هنا . فُتح باب الصالة مرة أخرى . ارتقب أحدهم اللحظة التى تنتهى فيها المغنية من أغنيتها . رأى هاينريش كيف بعثت المغنية لمستمعيها بقبلات عابثة فى الهواء لكى تطيل أمد التصفيق.

ترنح شاب يرتدى سترة خضراء ثقيلة خارجًا من الصالة. عرفه هاينريش على الفور. إنه حادى أحد كبار التجار والقناصل الذى يعقد أبو هاينريش معه الصفقات منذ عدة سنين خلت. ومنذ أيام قلائل حينما وصل هاينريش من برلين قابل الرجل على محطة القطار فى لوبك. حياه هذا السائق بإجلال قائلاً "السيد مان الصغير". اتضحت معرفته الدقيقة بسبب عودة هاينريش إلى بلدته من خلال الطريقة التى خفض بها صوته فى احترام عميق قائلاً: "لقد أوصلت القنصل إلى القطار أستطيع أن أوصلك حالاً إلى شارع بيكرجروبه".

استسلم هاينريش لإلحاح السائق وركب عربة القنصل ، وهو الذى كان ينوى أن يجتاز مترجلاً بوابة الهولستر ثم يسير بحذاء رصيف الميناء حتى يصل إلى بيته.

فتح فمه الآن ليرد تحية الرجل، ولكنها لم تأت. نظر سائق العربة فى عينى ابن السيناتور ساخرًا. ومضى بجواره مترنحًا، بينما اتسعت على وجهه الأشقر ابتسامة شماتة مقيتة. تتبع هاينريش الرجل بنظراته وهو فى حيرة من أمره. اعتقد للوهلة الأولى أن السائق مخمور بدرجة لا يعى معها ما يدور حوله، أو أن عينيه لم تعتادا ظلمة الردهة بعد أنوار الصالة. ولكنه تذكر النظرة الساخرة وابتسامة الشماتة المقيتة. لا !

لقد كان متعمداً . كان يعي تماما تأثير ما فعل . شجعته الخمر فقط على أن تزداد وقاحته أكثر مما كان يتجرأ عليه في أي وقتٍ مضى . تسمر هاينريش في مكانه .

أراد أن يتتبع ذلك الشاب المختال وأن يسائله. تردد؛ لا . سوف يبحث غدا عن القنصل ويبلغه بتلك الوقاحة. على أى حال لن يدع الأمر يمر مرور الكرام. حان الوقت للإمساك بزمام الأمور ، اجترأ عليه الناس؛ يبدو أن الألسن قد تناقلت، أن شركه (مان) سوف تصفى بعد موت السيناتور.

أمن الممكن أن يحال دون بيع الشركة ؟ قرر هاينريش أن يحادث أمه في ذلك غدا مباشرة.

فتح خلفه باب الصالة ثانية. دخل هاينريش خلف باب الشونة المفتوح. إذا أراد أن يخلف أباه حقا فلا ينبغي له أن يظهر أى ضعفٍ .

خرج من الصالة رجل سمين وحيد يلهث بصعوبة كما لو أنه وضع للتو حملاً ثقيلاً عن كاهله. عرفه هاينريش فقط عندما وضع على صلعته الضخمة قبعة مما يرتديه عمال البناء تظهر بها بقع الدهن. إنه معلم اللاتينية القديم! على ساقين رفيعتين منحنيتين سار في خطوات قصيرة ولكنها متعجلة خارجًا من الحارة الضيقة . خرج هاينريش من خلف البوابة تتبع ببطء الشبح الآدمي صاعداً الشارع.

ماله وذلك السائق الشاب الوقح ؟ وما تعني له شركة أبيه ؟ وما علاقته بهذه المدينة محدودة الأفق فليظن به الناس إذاً ما يشاءون ، إنه ليس منهم؛ فما هو بتاجرٍ كما لم يكن هايني تاجراً. إنه متأمل، سيكتب كل ما يراه . بينما يدور كل ذلك في رأسه، أحس بانبعاث دفءٍ في نفسه. ألح أبوه المتوفى على ذهنه فتعجل العودة إلى البيت ليكون بجوار أبيه.

هاينريش مانّ Heinrich Mann

ولد فى ١٨٧١/٣/٢٧ فى لوبك، وتوفى فى ١٩٥٠/٣/١٢ فى سانتا مونيكا كاليفورنيا – الولايات المتحدة



ولد لوتيس هاينريش مان فى السابع والعشرين من مارس عام ١٨٧١ ؛ أكبر أولاد التاجر الكبير والقنصل والسيناتور توماس هاينريش مان فى لوبك Lübeck ، والدته – يوليا Julia ، التى كانت تدعى داسيلفا برونس da Silva Bruhns قبل الزواج ، هى ابنة لسيدة برازيلية من أصل أوروبى وتاجر من لوبك حقق نجاحًا كبيرًا فى البرازيل. قام هاينريش مان وهو فى الثالثة عشرة برحلة إلى سانت بترسبورج حيث زار أحد أعمامه. بدأ فى عام ١٨٨٥ الكتابة، قصصًا أول الأمر ثم أشعارًا.

مثل أخيه الذى يصغره بأربعة أعوام يعانى هاينريش المصاعب مع عمليات الحفظ والاستظهار التى تتطلبها المدرسة الثانوية فى لوبك، فينقطع عن المدرسة بعد نهاية المرحلة الأولى للمدرسة الثانوية ، ويصبح متدربًا لمهنة بيع الكتب فى درسدن. ولكنه ينقطع كذلك عن تعلم هذه المهنة ويلتحق بدار نشر فيشر Fischer للتدريب بها عام ١٨٩٠ .

توفى والده عام ١٨٩١, ولأن ولديه لا يكادان يظهران أى ميل للعمل التجارى يقضى السيناتور فى وصيته أن تباع الشركة. تظل الأم سنتين فى لوبك ثم تنتقل مع ابنتها وابنها الأصغر فيكتور Viktor المولود عام ١٨٩٠ إلى ميونخ. يحصل هاينريش مان من ميراث والده على دخل منتظم يكفل له العيش كاتبًا. يعانى عام ١٨٩٢ من نزيف ويعالج فى فيسبادن ولوزان .

يتنـاول الأعـمــال الأدبيـة بالنقـد، ويرتحل إلى باريس وإيطاليـا ويكتب رواية . تظهـر روايتـه "فى عـائلة مـا" In einer Famili عـام ١٨٩٤ . من ١٨٩٦ وحـتى ١٨٩٨ يعيش فى روما وبالشترنيا . بداية من عام ١٨٩٩ لا يصبح له مسكن ثابت . فهو يتنقل ما بين ميونخ وبرلين وإيطاليا وساحل الأزور. يكتب الروايات والأقاصيص والمقالات . فيما بعد يكتب عن هذه الأعمال : "فى الخامسة والعشرين قلت لنفسى: من الضرورى أن أكتب روايات اجتماعية معاصرة . هذا المجتمع الألمانى لا يعرف ذاته. فهو ينقسم إلى طبقات تجهل بعضها بعضًا . بينما تختفى الطبقة الرائدة خلف السحاب". (٤)

فى عام ١٩٠٥ تظهر رواية "الأستاذ أونرات أو نهاية طاغية" Professor Unrat oder das Ende eines Tyranns . وبداية من عـام ١٩١٤ تظهـر رواية هاينريش مـان الجديدة "التابع" Der Untertan فى مجلة تسايت إم بيلد "العصر فى صورة" Zeit im Bild فى ميونخ كرواية مسلسلة ، ويتوقف النشر فى ١٣ أغسطس من العام نفسه – وفى هذه الأثناء تندلع الحرب العالمية الأولى. وفى العام نفسه أيضًا يستقر هاينريش مان ويتزوج الممثلة ماريا كانوفا (ميمى) Maria Kanova التى ترجع أصولها إلى براغ، ويؤجر شقه فى ميونخ يعيش فيها حتى عام ١٩٢٨ . تولد ابنته هانريته ماريا ليونى عام ١٩١٦ Henriette Maria Leonie .

يقف هاينريش مان ضد هذه الحرب ويعلن ذلك بكل وضوح. ويحدث الشقاق بينه وبين أخيه توماس الذى أصبح مشهورًا من خلال روايته "عائلة بودنبروك" Budden-brooks حول ذلك.يحتفى توماس مان Thomas Mann فى خطاب إلى أخيه هاينريش لفظًا: "بهذه الملحمة الشعبية الكبيرة والنزيهة بل العظيمة ". ولا يتصالح الأخوان إلا فى عام ١٩٢٢ .

بعد الحرب العالميـة الأولى تظهـر رواية "التابع" Der Untertan أخيرًا كتابًا فى ألمانيا. وتتحول رواية "الأستاذ اونرات" Professor Unrat فى عام ١٩٣٠ إلى فيلم بطولة مارلين ديتريش Marlene Dietrich وإميـل ياننجس Emil Jannings . يعرض الفيلم فى دور السينما بإسم "الملاك الأزرق" Der blaue Engel ويحقق نجاحا عالميا.

عندما يستولى هتلر والنازيون على السلطة فى ألمانيا عام ١٩٣٣ يكون هاينريش مان أحد الكتاب الذين تحرق كتبهم (*) .، فيهاجر إلى جنوب فرنسا ويعيش حتى عام ١٩٤٠ فى نيس ، وقد سحبت منه الجنسية الألمانية عام ١٩٣٣ .

يتخذ هاينريش مان فى مؤلفاته موقفًا عدائيا ضد النازيين ، ولذا فقد كان لزامًا عليه أن يهرب من القوات الألمانية المحتلة لفرنسا عبر إسبانيا والبرتغال ليصل إلى الولايات المتحدة. وهناك يتجه إلى هوليود على أمل أن يحقق مكاسب مادية من عمله كاتبا للسيناريو بعد النجاح الكبير لفيلم (الملاك الأزرق) ولكن أمله ذلك يخيب.

يتم الطلاق بين هاينريش وماريا كانوفا عام ١٩٣٠ بعد فترة انفصال طويلة ويتزوج عام ١٩٣٩ نيللى كروجر **Nelly Kroeger** التى تنتحر عام ١٩٤٤ ، وفى العام نفسه يزج بماريا كانوفا إلى معسكرات الاعتقال فى ترزينشتد **Theresienstadt** وتتوفى عام ١٩٤٨ فى براغ من جراء الاعتقال.

يعيش هاينريش مان قليل الإيرادات منذ عام ١٩٤٠ فى سانتا مونيكا فى كاليفورنيا ، ويحصل على دعم مادى بين حين وأخر من شقيقه توماس مان المهاجر أيضًا ولكن كتبه تدر عليه أرباحًا . بعد الحرب العالمية الثانية ينتظر هاينريش مان بلا طائل دعوة جمهورية ألمانيا الاتحادية له ، ولكن جمهورية ألمانيا الديمقراطية هى التى تتلقفه، ويمنح الدكتوراه الفخرية لجامعة همبولدت فى برلين ، ويحصل عام ١٩٤٩ على الجائزة القومية من الدرجة الأولى وينتخب أول رئيس للأكاديمية الألمانية للفنون المؤسسة حديثًا فى برلين.

وفى الثانى عشر من شهر مارس عام ١٩٥٠ وقبل أن يعود إلى ألمانيا على الباخرة البولندية باتورى **Batory** بفترة وجيزة، يموت هاينريش مان فى سانتا مونيكا. وتنقل رفاته عام ١٩٦١ إلى برلين ويدفن فى مدافن دروتيا المحلية **Drotheenstadt** وبحضور ابنته ليونى مان.

(*) حول حادث "حريق الكتب" فى أثناء فترة حكم النازيين تدور أحداث قصة الكاتب إيريش كيستنر فى هذا الكتاب . (المترجمة)

مقترحات للقراءة

يجب قراءة أشهر روايتين لهاينريش مان ، يمكن البدء بالأستاذ أونرات ثم التابع . عندما يعرض الفيلم المأخوذ عن رواية الأستاذ أونرات "الملاك الأزرق " بطولة مارلين ديتريش فى التلفاز ثانية ، أو فى إحدى دور السينما يجب ألا يدع المرء فرصه مشاهدة الفيلم تفوته.

مزارات

يستحق منزل عائلة بودنبروك فى لوبك الزيارة ، وقد تم تجديده وعنوانه مينج شتراسه رقم ٤ Meng straße 4 . ويمكن معرفة المزيد عنه من خلال موقعه على شبكة الإنترنت www.budenbrookhaus.de

فبيت عائلة بودنبروك ليس شاهدا على ذكرى توماس مان فقط وروايته الكبيرة ، ولكن أيضًا على ذكرى هاينريش مان. فى برلين يمكن زيارة قبر هاينريش مان فى مدفن دروتيا المحلى وعنوانه شانسيه شتراسه رقم ١٢٦ Chanssee straße 126 بجوار بيت برشت.

توماس مانّ

بقلم : فريدريك هتمان

«تعطفت وتنازلت فوضعت لنفسى دستورًا ...»

قال الخادم: "سيدى البروفسير يدعوك للدخول عليه." دخل توماس إلى الغرفة المألوفة له فى المنزل الواقع فى شارع أركيس شتراسه.

أول ما وقع نظره عليه كان ما اعتاد أن يطلق عليه بينه وبين نفسه فخامة عصر النهضة: السقف المذهب ذو التربيعات الغائرة فيه، الأثاث الضخم والستائر من الديباج. نظر إلى جهاز التليفون الحديث الموضوع على المكتب، ولم يلمح إلا فى تلك اللحظة ذلك الرجل الغريب فى قصره الذى كاد أن يختفى داخل الكرسى الوثير المصنوع من الجلد، حيث كان منذ أمد بعيد هذا "الرجل اللذيذ بشكل مرعب" كما تحب أن تطلق عليه زوجته كاتيا هو حماه.

كان ألفريد برنجسهَيْم أستاذا للرياضيات فى الجامعة المحلية. أما والد هذا الأستاذ الجامعى فكان قد حقق ثروة طائلة من مناجم الفحم فى سيليزيا العليا، ومن شبكة صغيرة للسكك الحديدية، ومن بعض الاستثمارات الذكية، حيث آلت تلك الثروة بعد وفاته إلى ابنه. سمع توماس مان عن ثلاثة عشر مليونا من الماركات الذهبية والتى تؤمن لحميه دخلا سنويا يقدر بثمانمائة ألف مارك ذهبى.

"فيما وقوفك يا تومى"، قالها الرجل القزم، وقد أخذ فى تدوير علبة السجائر الذهبية بين يديه نابشا بأصابعه فى محبسها بعصبية.

"صباح الخير يا فاى"، قالها توماس بصوت لا يكاد يسمع وتضايق من أن الجملة لم تصدر منه بصوت أعلى. "فاى"، هكذا اعتاد الأطفال أن يطلقوا على أبيهم البروفسير، وزوج الابنة فى آخر الأمر هو أيضا بشكل أو بآخر طفل من الأطفال. دار هذا برأس توماس عندما استعمل تلك الصيغة الحميمة فى مخاطبته. كان بينه وبين نفسه قد عقد العزم على أن يتصرف بما يَنُمُّ عن تمام الثقة بالنفس. كان يعلم ما أطلق عليه إخوة كاتيا من اسم ساخر فى تلك الشهور التى كان قد تقدم فيها طالبا يد كاتيا للزواج. "كبير الخيالة المريض بالكبد"، كان هذا هو الاسم الذى عمدوه به بسبب مظهره الرقيق وشحوبه البادى عليه. وكان عليه تقبل مثل هذه العبارات الساخرة عندما تقدم وقتها للزواج من كاتيا. وهو وإن كان قد حظى برضاء ربة المنزل عنه فإنه قد قوبل بالرفض من بقية أفراد عائلة برنجسهَيْم. كان قد تغافل عن أنه أيضا ممن لا يلزم عليهم أن يواروا أنفسهم، فهو فنان بحق، ولكنه وإن كان فنانا بحق فهو أيضا فنان من عائلة طيبة الأرومة من مدينة لوبيك، أفرادها أعضاء فى مجلس الشيوخ، كما أنه مؤلف رواية حققت مبيعاتها وقتها فقط ما تجاوز ثمانية عشر ألف نسخة بالتمام والكمال، أضف إلى ذلك أنه أصبح منذ وقت ليس بالبعيد أبا لطفلة صغيرة، كما كتب قصة عن شيللر ويكتب رواية أخرى تقرر أن يكون عنوانها "الذات الملكية". بالإضافة إلى ذلك كان يخطط لعمل أصعب بمراحل عن فريدريش الأكبر. كما أنه قد عاد لتوه من قراءة لأحد أعماله فى مدينة بريسلاو. التقطه أخو زوجته كلاوس برنجسهَيْم عند محطة القطار ليذهب به من فوره إلى فيلا عائلة برنجسهَيْم، فلا بد – كما فاتحه كلاوس فى الأمر – من تجنب حدوث فضيحة.

"إذا كان هذا لا يضايقك، فإننى أفضل الوقوف"، قالها توماس موجها ناظريه الآن إلى الرجل القصير الجالس فى الكرسى الوثير.

"تماما كما تريد"، أتى الرد من الناحية الأخرى فى تبرم.

سأل توماس بنبرة من سخرية فى صوته: "أهى محكمة إعدام، أم من المقرر استبعادى من القبيلة؟"

"أرجوك يا تومى، لا تكن حساسا لهذه الدرجة. لقد استدعيتك حتى نفكر نحن الاثنان كرجلين محنكين فى شىء يمحو هذا الأمر المحرج من الوجود."

"لقد مُحِيَ من الوجود"، قالها توماس وقد كزّ على أسنانه مضيفا: "بالرغم من أن ..."

سأل برنجسهَيْم: "حقا ... كيف ذلك؟"

"لقد أرسلت إلى دار النشر برقية فحواها أننى أحظر عليهم طباعة الأقصوصة. وهذا يعنى بالنسبة لهذا البائس صامويل فيشر أنه عليه أن يعدم هذا العدد من مجلة التطلع الجديدة Neue Rundschau التى كان من المقرر أن تنشر فيه، وأن يعيد طباعة هذا العدد من جديد."

"حسنا، ولكن لن يكون فيشر بهذه الدرجة من البؤس التى تحتم علينا أن نضع فى حسباننا ما قد تتعرض له دار نشره من إفلاس"، أجاب برنجسهَيْم مضيفا: "كما أنه سيعرف إلى أى مدى كان يستفيد منك، أليس كذلك؟"

"... بالفعل، لو سبب مشاكل فلربما قد يحيق به أن أتركه وأذهب إلى دار نشر "لانجن" هنا فى ميونخ التى تسعى منذ أمد بعيد فى اجتذابى إليها."

"أرأيت!"، قالها برنجسهَيْم مواصلا مع ذلك فى عصبية فى أرجحة علبة السجائر الذهبية من يد إلى أخرى. كانت انعكاساتها تسبب وميضا فى زجاج النافذة. فى هذه اللحظة نهض برنجسهَيْم متثاقلا من داخل كرسيه الوثير، ليبدأ هو الآخر فى التجول هنا وهناك فى داخل غرفة الصالون الفسيحة.

قال توماس بنبرة مستفزة: "أظن بذلك أن الفضيحة التى كنتم كلكم تخشونها قد حيل بينكم وبينها."

"لطالما استرعى انتباهى ملمح فى شخصيتك يقلقنى بشكل متزايد، فى المقام الأول من وجهة نظر سعادة ابنتى، التى هى زوجتك، فى حياتها معك، ألا وهو غياب أى

شكل من أشكال الخصوصية. أنت تكتب قصة شائكة وتقدم كل أقارب زوجتك لقمة سائغة للرأى العام. حسنا، فى حالتنا هذه ربما استطعنا فى آخر لحظة أن نمنع وقوع فضيحة، ولكن وضح لى من فضلك ما يجب أن نجهز أنفسنا له عندما تنتهى تلك الرواية التى - كما نما إلى سمعى- تكتب فيها ؟"

انتصب توماس فى وقفته.

وقال: "يا حماى العزيز، هلاّ شرحت لى من فضلك من أين يمكن للأديب أن يستقى شخوصه إذا لم يكن مما تُبَصِّره به بيئته المحيطة به من الملاحظات الدقيقة؟"

قال برنجسهَيْم فجأة بنبرة وديعة وداعة بعثت على الاندهاش: "كل ما أردت أن أقوله، هل من الحتمى أن يتكشّف للجميع على وجه الدقة من المقصود بكل منا؟ أين إذن ما ينسب للفنان من خيال وقدرة على الإبدا ع؟"

"بما أنك فيما يبدو تنتظر توضيحا ... فإننى يحق لى أن أقترح أن نبقى على ما نحن فيه من حالة حرجة. قبل أن أبدأ: هل تعرف نص قصة "دماء فيلزونجن" من أساسه؟"

"همم، لا"، قالها برنجسهَيْم معترفا فى تكدر.

"ولكن زوجتك تعرفه. لقد قرأته عليها ولم تبد أى اعتراضات عليه ..."

"هى امرأة"، قالها برنجسهَيْم مقطبا جبينه، مؤرجحا علبة سجائره فى الهواء هنا وهناك، مضيفا: "يميل قلبها دائما للفنانين، كما أنها أيضا مدللة بعض الشىء."

" أيضا كلاوس - ابنكم - يعرف النص!"

"بل إنه من المقرر - كما بُلّغت - أن يلعب دور أحد الشخوص الرئيسية فى القصة ..."، قالها برنجسهَيْم مضيفا: "فيما يبدو أن هذا يرضى غروره عندما يصوره كاتب ما تصويرا حرفيا."

قال توماس فى خشونة مقتضبة: "يخطئ كلاوس إذا نظر إلى زيجموند آرينهولد فى القصة على أنه صورة لذاته."

"تتكون الأسرة فى القصة من أربعة أطفال، اثنان منهم توأمان ..."

"إذا لم تخنى الذاكرة فإن عدد أطفالكم أوفر كثيرا من ذلك."

"تومى!"، قالها برنجسهَيْم بصوت فيه بحة استعطاف واضح مضيفا: "قيل لى إنه هناك أيضا بالإضافة إلى ذلك تطابق من عدة أوجه بين عائلة آرينهولد هذه وبيننا."

"هذا صحيح. فكما قلت لك: إننى استقى تأملاتى مما حولى بشكل أو بآخر، لكن هذا لا يعنى فى آخر الأمر أننى أريد أن أقول إن ابنتك – التى هى زوجتى – وابنك – الذى هو أخو زوجتى – قد قاما بالفعل، بعد عودتهما من عرض "الفالكيرات"(*)، وهما جلوس على فراء الدب القطبى، بمعانقة بعضهما البعض."

"كفى"، صاح برنجسهَيْم فى غضب عارم.

قال توماس: "حسنا، أنا آسف. لا شك أن موضوع القصة شائك بعض الشىء. ومع ذلك فإن المواطن العادى ذا الحس الفنى يصفق بحرارة عندما يقدم ريشارد فاجنر هذا الموضوع فى أوبرا له. فما بالك بـ ..."

قال برنجسهَيْم: "أولاً: لا أظن أنك تريد تصنيفى فى طائفة المواطنين العاديين. ثانيًا: عند فاجنر يدور الموضوع حول أسطورة من العصر الجرمانى السحيق."

"والتى مع ذلك اختارها فاجنر ليصور لنا من خلال ذلك المثال ما فيه مجتمعنا الحالى من انحطاط."

"أحقا ترى ذلك؟ لم أفهم الأمر مطلقا على هذا النحو"، قالها برنجسهَيْم فى اندهاش حقيقى.

تعمد توماس أن تُسمَع منه تنهيدة قائلا: "لنحاول الأمر بشكل آخر. لا شك أنك ستقر بأن الأخوات يحببن بعضهم البعض، وبأن التوائم تربطهم من الناحية البيولوجية وشائج قرب بشكل خاص ..."

(*) هن ثلاث عشرة من العذارى المحاربات فى أساطير الشمال الجرمانى يقاتلن بأمر الإله فوتان. (المترجم)

قاطعه البروفسير قائلا: "وهو ما لا يعنى مع ذلك أنهم يمارسون الجنس سويا."

أجاب توماس: "بالتأكيد لا، ولكن هذا يحدث ... انظر لفاجنر."

"صحيح ... ولكن لماذا بالذات ذلك الموضوع، لماذا هذا الاستفزاز للشعور الأخلاقى القويم؟"

" شعور أخلاقى قويم لمن ...؟"

"لمجتمع الطبقة الوسطى ..."

"... الذى يَنْبُذ الفنان ... الذى يُشعر الفنان بأنه منبوذ عنه."

"إذن هو استفزاز بدافع الانتقام؟"

أجاب توماس: "بشكل أو بآخر نعم، كما أظن. إنه رد فعل على ما نحن فيه من مهانة. ولكن دعنا الآن من هذا. إنه من الخطأ تماما الادعاء بأن زيجموند به شيء ما من كلاوس. فالأقرب للصحة أن زيجموند به شيء ما منى وفى ذات الوقت فإن خطيب زيجلِند – الموظف فى أحدى الوزارات السيد فون بيكيرات – به أيضا شيء منى. أنت عالم طبيعة، إذن سأشرح لك الأمر هكذا: إنها ما يلزم التجربة العلمية من ظروف. فخلف هذه القصة يكمن السؤال عما يمكن أن يقودنا إليه إذا ما أحب الأخوات بعضهم، ليس فقط حبا مهذبا، بالشكل الذى يكون فيه المجتمع بما يسوده من أخلاقيات على استعداد للسماح به بصدر رحب، بل حبا عاطفيا ... بما فيه الجماع."

"موضوع حساس!"، قالها برنجسهيْم ممتعضا.

"أظننا متفقَين على ذلك؟"

"هلاّ شرحت لى من فضلك ما هو مفهومك لكلمة حساس؟"

"هل تريد الادعاء بأن الغالبية العظمى من الأخوات ..."

"بالطبع لا، غير أن القصة تعبر دائما وفى المقام الأول عن شعور فردى تجاه الحياة ... وفى هذه الحالة هو شعورى أنا. أنا أعرف أن فلسفة شوبنهاور لا تساوى لك الكثير بسبب تشاؤمه. ولكننى على العكس أحبه، لأنه وضع التداعى والانهيار الذى نحن شهود عصره فى منظومة فكرية."

"أنت إنسان خطير يا تومى! حان الوقت لأن يقال لك ذلك. إن بداخلك مسخًا مخيفًا."

"ربما كان هذا صحيحا"

"ومثلك زَوَّجته لابنتى ..."

"... الذى وهبك منها حفيدة."

"يا له من أمر غريب" قالها برنجسهَيْم مزمجرا، ليعدو بعدها فى صمت زمنا طويلا فى الغرفة هنا وهناك مشبكا يديه من وراء ظهره ليقول فى آخر الأمر كمن يحدث نفسه: "الأسرة مؤسسة مرعبة. مؤسسة تلد الكوارث."

تذكر توماس أن هذا الأستاذ الجامعى كانت له خليلة، وهو ما كان معروفا لأولاده أنفسهم.

"مؤسسة مرعبة" كررها توماس مضيفا: "ولقد سمحت لنفسى أن أصورها على هذا النحو فى القصة المذكورة آنفا ... بصراحة لا تكاد تُذْكَر فى أى مكان آخر، لأن آداب المجتمع تقف عقبة فى طريقها. غير أن الفنان ليس مواطنا، أى أنه غير متقيد بقوانين الأخلاق الاجتماعية ..."

"وأنا ما زلت على رأيي: أنت عَدّاء حقيقى فى مضمار انعدام اللياقة"، صاح به برنجسهَيْم وقد خيل إليه أنه يشعر بالأرض تنسحب من تحت قدميه.

"لكم يؤسفنى هذا"، قالها توماس مضيفا: "ومع ذلك فإنه لا مفر أمامكم من أن تعتادوا على هذه الصفة فى شخصى."

"تقول ذلك دون أسف."

"لقد أقلعت عن الشعور بالأسف حيال ذلك، كما أنك معك حق، لا بد أن السبب فى هذا المسخ، بما أن ابنتك تحبه." توقف عن الكلام لفترة ليقول بعدها وإن ظل الأمر غير واضح أكان هذا الكلام موجها إلى برنجسهَيْم أم إلى نفسه: "نعم، ناهيك عن الزيجة ... تبا لذلك! لكن لا بد من الوصول إلى قرار ما يجعلنا نخرج من هذا الأمر دون عصبية بأفضل نتيجة ممكنة."

بدا على البروفسير بعد هذه النبوءة أنه قد راح فى تفكير عميق. مر وقت طويل قبل أن يعود البروفسير إلى الحديث عن تلك القصة الثقيلة على النفس منتقلا لفكرة أخرى: "وهل تأكد الآن فعلا من أنه لم يعد أحد فى مقدوره الاطلاع على أداة الجريمة؟"

أما فيما تعلق بذلك الأمر فقد كان الوضع – بالرغم من البرقية التى أرسلت إلى دار النشر – ما يزال صعبًا. وقد حدث الأمر كله بالشكل الآتى: فى ذات يوم من أيام الخريف عثر أحد بائعى الكتب الشبان من مدينة ميونخ فى أثناء فضه للإصدارات الجديدة على فروخ المراجعة لمجلة "نويّه روندشاو" والتى استعملتها دار النشر كورق للتغليف، وبعد أن القى نظرة مدققة على هذه الفروخ اتضح له أن ما يمسكه بيده هو النص الكامل لقصة غير منشورة لتوماس مانّ. وبطبيعة الحال فقد حكى لبعض الزبائن والمعارف عن هذا الاكتشاف المدوى.

"هل تنتظر منى مثلا"، قالها توماس بسخرية واضحة مضيفا: "أن أتوجه الآن إلى الرجل الشاب أيضا وأجبره على التزام الصمت؟ أو ربما كان من الأفضل أن ننذره بحكم قضائى بخصوص ذلك؟"

"كلام فارغ! ولكننا يمكن أن نعرض عليه مالا لقاء أن يغلق فمه تجاه هذا الأمر من الآن فصاعدا."

صاح به توماس: "فاى، أرجوك أن تدرك إلى أى مدى الموقف سخيف! نحن ندفع مالا لشاب متحمس للأدب المعاصر، حتى لا ينبس لأحد ببنت شفة عن قصة أُسر بها

إعجابا! وهذا لا يعنى فى الواقع سوى تصعيد الأمور. أضف إلى ذلك ما يلى: تأكد من أن خبر خطيئتى قد انتشر بين العوام من سكان ميونخ منذ أمد بعيد. ومع ذلك، إذا كنت تريد فسأبحث عن بائع الكتب الشاب وأجثو أمامه على ركبتى."

"توقف عن ذلك"، قال البروفسير مضيفا: "معك حق، لن يمكننا بذلك منع ثورة الغضب لدى بعض الناس. كل ما أرجوه منك أن تفكر فى المستقبل مليا إلى أى مدى تتضايق العائلة من تحمل مسئولية مثل هذه الأفعال."

قال توماس: "أرى أنه ربما أمكننا أن نتفق على أنه سيكون هناك دائما وأبدا أناس محدودو الفكر وغيرهم ممن يشحذون ألسنتهم لهفوات غيرهم، فقط ليتجنبوا أن يُعْنَوا بما فى حياتهم أنفسهم من الكوارث."

قال برنجسهيْم: "فكر فى زوجتك، فكر فى كاتيا."

"أنا أفكر دائما فى كاتيا"، قالها توماس مؤكدا.

ظل البروفسير واقفا، ثم فتح علبة سجائره ملتقطا منها سيجارة من التبغ المصرى ليناول بعدها توماس العلبة التى كانت ما زالت مفتوحة.

"تفضل!"

أخذا يدخنان فى صمت، وعندما أصبحت السجائر رمادا أخذا يتحدثان عن شىء آخر.

أيام قليلة بعدها أى فى يوم السابع عشر من شهر يناير من عام ١٩٠٦ كتب توماس مانّ إلى أخيه ومنافسه الأدبى هاينريش مانّ يقول إنه استمات فى دفاعه فى بادئ الأمر إلا أنه تراجع فى آخرة مستسلما مراعاة لأسرته، حيث كتب حرفيا الآتى: "لا بد أن أعترف أننى لم أعد حرا، لا من الناحية الإنسانية ولا من الناحية الاجتماعية"[١].

غيـر أن الخطابات لم تكن بالنسبـة له أقوالاً تكتب للمرسل إليـه، بل كانت دائمـا إشارات للعالم من بعده، حتى يعرف الناس لاحقا تمام المعرفة إلى إى مدى لعين أُهين ذلك الرجل:

"إحساس بانعدام الحرية يضغط عليَّ ضغطا عنيفا فى ساعات وساوسى المرضية لا أستطيع التخلص منه منذ ذلك الحين، ولا شك أنك تطلق عليَّ مواطنا جبانا . لكن من يده فى الماء ليس كمن يده فى النار. أنت مُطْلَق، ولكننى على العكس من ذلك تعطّفت وتنازلت فوضعت لنفسى دستورا ."(٢)

توماس مانّ Thomas Mann

ولد فى ٦/٦/١٨٧٥ فى مدينة لوبيك وتوفى فى ١٢/٨/١٩٥٥ فى زيورخ



ولد توماس مانّ فى السادس من يونيو من عام ١٨٧٥ فى مدينة لوبيك، وكان الابن الثانى لتاجر الجملة وعضو محلى المدينة توماس يوهان هاينريش مانّ Thomas Johann Heinrich Mann وزوجته يوليا دا سيلفا – برونس Julia da Silva-Bruhns البرازيلية الأصل. كبر توماس مان وإخوته الأربعة فى بيت العائلة من الطبقة المتوسطة العليا. درس توماس فى بادئ الأمر فى مدرسة خاصة ثم فى القسم الثانوى المتخصص فى العلوم واللغات فى المدرسة الكاترينية Katharineum . وعندما توفى الأب فى عام ١٨٩١ صفّت الأم الشركة وانتقلت إلى ميونخ. غير أن توماس مانّ ظل فى مدينة لوبيك حتى عام ١٨٩٣، وبعد انتقاله للصف الثانى الثانوى ترك توماس المدرسة ولحق بالأم فى ميونخ.

هناك عمل فى بادئ الأمر متطوعا فى شركة للتأمين ضد الحرائق وفى الوقت نفسه كان يتلقى محاضراته فى المعهد العالى للهندسة.

فى عامى ١٨٩٥ و١٨٩٦ أقام مرتين مع أخيه هاينريش مانّ لفترة غير قصيرة فى إيطاليا، فى روما وباليسترينا Palestrina .

فى الأعوام ١٨٩٨ و١٩٠٠ عمل توماس مانّ كمراجع فى مجلة سمبلسيسيموس Simplicissimus . فى أثناء ذلك كان قد بدأ فى الكتابة، حيث كان يكتب مقالات فى مجلة كان يصدرها أخوه هاينريش، وبدأ فى كتابة رواية عائلة بودين برووكس. فى عام ١٨٩٨ ظهرت له أقصوصة السيد فريديمانّ القصير Der kleine Herr Friedemann .

فى عام ١٩٠٠ تم استدعاء توماس مانّ لأداء الخدمة العسكرية. وفى العام الذى تلاه ظهـرت فى جـزأين أول روايـة ضـخمـة له: عائلة بودين برووكس. انهيار أسرة. Die Buddenbrooks. Verfall einer Familie حيث حظى العمل على الفور باهتمام كبير.

فى عام ١٩٠٥ تزوج توماس مانّ الفتاة الذكية الجميلة كاتيا برنجسهَيْم Katja Pringsheim . أما والدها الفريد برنجسهَيْم Alfred Bringsheim فقد كان أستاذ كرسى للرياضيات فى جامعة ميونخ ووريثا شديد الثراء لأحد ملوك السكك الحديدية فى سيليزيا العليا. وقد أسفر الزواج عن ستة أطفال: إيريكا Erika 1905 ، وكلاوس Klaus 1906 ، وجولو Golo 1909 ، ومونيكا Monika 1910 ، وإليزابيت Elisabeth 1918 ، وميشائيل Michael 1919 .

فى عام ١٩١٤ انتقلت عائلة مانّ إلى بيت خاص بهم. وفى أثناء ذلك ظهرت أقصوصة الموت فى مدينة البندقية Der Tod in Venedig . كما كان توماس مانّ يكتب فى رواية اعترافات النصاب فيليكس كرول Bekenntnisse des Hochstaplers Felix Krull التى ظهر منها الجزء الأول فى فى عام ,١٩٢٢ أما إقامة زوجته كاتيا مانّ فى مصحة للعلاج الرئوى فى مدينة دافوس أوحت لتوماس مانّ بأحداث روايته الشهيرة الجبل السحرى Der Zauberberg التى ظهرت فى عام ١٩٢٤ والتى حققت لمؤلفها بعدها شهرة عالمية أيضا.

فى عام ١٩٢٩ حصل توماس مانّ على جائزة نوبل فى الأدب.

عندما استولى النازيون على الحكم فى برلين (*) غادر توماس مانّ ألمانيا، حيث بدأت من وقتها حياة فى المهجر امتدت اثنى عشر عاما. فى تلك الفترة أصبح توماس مانّ الممثل البارز لـ "ألمانيا الأخرى". سافر أولا إلى فرنسا وبعدها إلى سويسرا. فى عام ١٩٣٤ سافر توماس مانّ لأول مرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية. فى عام ١٩٣٦ سحبت منه جنسيته الألمانية، كما سحبت منه جامعة بونّ درجة الدكتوراه الفخرية التى كانت قد منحتها له.

(*) كان هذا فى عام ١٩٣٣ (المترجم).

واصل توماس مانّ الكتابة فى المهجر، فى عام ١٩٣٧ ظهر له فى زيورخ الجزء الثانى من ثلاثية: يوسف وإخوته: يوسف فى مصر Joseph und seine Brüder: Joseph in Ägypten . أما الجزء الأول قصص يعقوب Die Geschichten Jaakobs فكان قد ظهر فى عام ,١٩٣٣ فى عام ١٩٣٨ غادر توماس مانّ الذى كان قد حصل قبلها على الجنسية التشيكية أوربا لينتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية. فى بادئ الأمر أخذ يُدرس فى جامعة برنسيتن Princeton كأستاذ زائر. فى عام ١٩٣٩ انتقل توماس مانّ إلى ولاية كاليفورنيا، حيث بنى هناك منزلا خاصا به فى باسفيك باليسيدس Pacific Palisades ليعيش هناك من عام ١٩٤١ إلى عام ,١٩٥٢ فى عام ١٩٣٩ ظهرت فى دار نشر بيرمان - فيشر باستكهولم Bermann-Fischer رواية لوتّه فى ڤيْمار Lotte in Weimar . فى الولايات المتحدة الأمريكية انغمس توماس مان بحرارة فى محاربة النازية، حيث ساعد كثيراً من اللاجئين السياسيين من ألمانيا فى الحصول على اللجوء السياسى فى الولايات المتحدة الأمريكية.

فى عام ١٩٤٣ ظهر الجزء الثالث من ثلاثية يوسف بعنوان يوسف، العائل Joseph, der Ernährer . ومنذ مارس من ذات العام أخذ توماس مانّ يكتب فى رواية دكتور فاوستوس Doktor Faustus ، وهى رواية كبيرة تتناول بالعرض حياة أحد الموسيقيين، وألمانيا. فى عام ١٩٤٤ حصل توماس مانّ على الجنسية الأمريكية. بعدها بسنتين استلزم الأمر إجراء عملية جراحية له فى الرئة فى شيكاغو. فى عام ١٩٤٧ انتهى توماس مانّ من كتابة نص دكتور فاوستوس، حيث ظهرت الرواية فى العام نفسه فى استكهولم.

فى عام ١٩٤٧ عاد توماس مانّ لأول مرة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى أوربا، ولكنه لم يزر ألمانيا إلا بعدها بسنتين ، حيث ألقى فى كلتا الألمانيتين خطبا عن جوته.

فى عام ١٩٥٢ عاد توماس مانّ نهائيا إلى أوربا ليستقر فى سويسرا.

في يوم الثاني عشر من أغسطس من عام ١٩٥٥ توفي توماس مانّ في مستشفى الولاية بزيورخ.

مقترحات للقراءة

من يرغب في الاقتراب من الإنتاج الأدبي الضخم لتوماس مانّ يمكنه أن يقرأ في بادئ الأمر أقصوصة الفوضى والألم المبكر Unordnung und frühes Leid ورواية اعترافات النصاب فيليكس كرولّ. ومن راقه ما قرأ عليه أن يجرب قراءة عائلة بودين بروكس.

مزارات

في مدينة لوبيك يستحق منزل توماس مان في شارع مينج شتراسه Mengstraße أن تقطع له البلاد مشيا، وهو المنزل السابق لأسرة مانّ. والجدير بالرؤية أيضا هي المدرسة الكاترينية الثانوية. أما من يذهب إلى روما فيمكنه القيام برحلة سريعة إلى مدينة باليسترينا عند الجبال الألبانية ، حيث أقام توماس مانّ في نهاية القرن التاسع عشر سويا مع أخيه هاينريش. وهناك أيضا دار حوار ليفيركوون Leverkühn مع الشيطان في رواية دكتور فاوستوس. أما في سويسرا في منطقة كيلشبرج Kilchberg على ضفاف بحيرة زيورخ فهناك تجد في ألته لاند شتراسه رقم ٣٩ Alte Landstraße أخر محل لإقامة توماس مانّ، كما أنه دفن هنا أيضا في جبانة كيلشبرج.

راينر ماريا ريلكه

بقلم : إنجريد روبيلين

التجربة

للمرة الأخيرة وحيداً في المروج. توسط القمر السماء. بالرغم من أننا في نهاية شهر أغسطس وإلا أن الخريف أخذ يدق الأبواب. وضع راينر يديه على فمه ونفخ فيهما بينما يسير في الظلام. شعر ببرودة فلملم السترة الخفيفة على جسده. ساقته قدماه بعيداً بعيداً. سار بخطى حثيثة وتتردد في رأسه أبيات شعر مألوفة لديه:-

إلهي : أزف الوقت

طال الصيف أيما طول

ألق بظلك على الساعات الشمسية

وأرسل الريح على الحقول(١)

أود أن أمضي - قالها لنفسه - أعود إلى حريتي. الحرية ! ياالسحر إيقاع هذه الكلمة المفاجئ اليوم! هنا في فوربسفيدى بنى الآمال أن يجدها . هنا في قرية فيسترفيدى الصغيرة وفي المنزل الريفي الهادئ؛ بيته هو وكلارا فقط وحدهما . كان متأكداً أنه سيبلغ مرامه هنا. تذكر بعض الأبيات ثانية فتوقف وردها :

إنك تنتظر وتتوقع شخصاً ما

يثرى حياتك أبداً

ألفريد ، شديد القوى

فى إيقاظ الحجر

تواجهك أعماقك(٢)

بينما ينشدها زكمت أنفه رائحة الهور(*) الرطبة العفنة فكتم أنفاسه . استدار فرأى فى الأفق البعيد أضواء؛ نافذة البيت الريفى الصغير فى الظلمة . كان البيت الوحيد فى القرية المضاءة فيه الأنوار. نمت فكرة فى نفسه؛ أيكون نوعاً من الاستهتار لو ترك كلارا وحدها الآن؟ وحدها مع الرضيعة. أيكون جانبها قد لان؟ ويبدءان كل شىء من جديد؟!

يجب أن يعود.

فقد الإحساس بالريح، بالرطوبة المتزايدة ، وبالأرض تحت قدميه الحافيتين. أسرع الخطى على المرج الأسود كالقطيفة، يعلوه القمر باهتًا صغيرا فى سماء الليل الصافية الباردة.

كان الباب مفتوحًا . أكان هو الذى لم يغلقه من قبل حينما اندفع فجأة خارجًا إلى الليل؟ أم خرجت كلارا لتبحث عنه وتركت الباب – دون قصد – مفتوحًا عندما عادت؟ لم تكن كلارا فى غرفة المعيشة المضاءة، بل الحقيبتين اللتين سيأخذهما راينر معه . أغلقت كلارا حقيبة الكتب والمسودات. وظل غطاء الأخرى مفتوحًا. رأى راينر كيف رتبت زوجته الملابس والبلوفرات ، السراويل والسترات بعناية وحب فى الحقيبة ، وتركت مكانًا فى أحد الأركان لأدوات الحلاقة. كانت كل الأنوار فى البيت مضاءة ، والأبواب مفتوحة . مترددا دخل راينر غرفه النوم.

(*) تنتشر الأهوار فى عالمنا العربى فى جنوب العراق ، والهور عبارة عن بحيرات من الماء تنتشر فيها النباتات الكثيفة . (المترجمة)

جلست كلارا على سرير روت. لم ترفع ناظريها حينما جلس راينر على المقعد المقابل لها. طالما جلست هكذا فى الأشهر الأولى حينما كانت حديثة العهد بالطفلة. معجزة خلقت للتو ، لم يرتويا قط من الإعجاب بها. فى هذه الأثناء بلغت روت تسعة أشهر. ما أسرع ما يعتاد المرء الأشياء. أصاب راينر الذعر حين فكر فى ذلك.

الطفلة نائمة تتنهد بصوت خفيض ، فتنحنى كلارا وتربت على رأسها فى حنان. تبتسم روت وتصدر صوتًا أشبه بنقنقة الدجاج. تتحرك يداها متناهيتا الصغر على الوسادة كأنهما تحاولان الإمساك بشىء ما. مد راينر ذراعيه لا إراديا ليمسك بإصبع روت تماما مثلما كان يفعل كثيراً فى الأشهر الماضية. وفى كل مرة كان يتعجب من مدى القوة الكامنة فى هاتين اليدين الصغيرتين الرقيقتين. أوقفته نظرة محذرة من كلارا، فى ارتباك تراجعت يده.

عندما غادر الغرفة تطرق إلى ذهنه ما فكر فيه خارج البيت فى المروج؛ من أنه قد يلين جانب كلارا حينما يتركها وحدها مع الرضيعة. يبدو أنها ظنت به نفس الظن، فأبت أن يزداد من روت اقترابًا. خافت أن يتردد فى قراره إذا مس الطفلة. ما أقسى ذلك على نفسها. فما أكثر ما استمتعت بمرآه حاملا روت الصغيرة على ذراعيه ، يمشى بها فى البيت أو الحديقة ، منشداً إياها أبياتًا من الشعر فى أذنيها.

و لكن كلارا تمادت، عندما دخل غرفة مكتبه ، رأى كيف أنها أعدت له الأريكة فى أثناء غيابه لتكون سريراً له. فتملكته ثورة عارمة؛ إنهما زوجان لا يزالان فكيف تجرؤ ودون أية مقدمات على طرده من غرفه نوم الزوجية؟ فتح الباب الذى أغلقه خلفه من قبل على مصراعيه وأراد أن يندفع عائداً إلى كلارا، فوجدها لدى الباب على مسافة متر واحد منه. اصطدم معدن الصينية التى كانت تحملها بالكوب ، عندما ارتجفت فزعة من قوة اندفاعه. ولكن الصينية لم تقع : "لم تتناول شيئًا من الطعام" قالتها بصوت منخفض. لقد سخنت له لبنًا حليبًا وخبزًا مما يأكله أهل الريف تعلوه الحبوب ومغطى بالزبد، وأعدت له العسل. تجرجر ثوبها الأبيض المصنوع من قماش الباتستة على الأرض، حينما حملت الصينية مارة به إلى مكتبه الخاوى على غير العادة. وقر فى نفسه ثانية أنها تفوقه طولاً. انساب شعرها فى عدة مواضع وتهدلت خصلاته الداكنة

على وجهها واحمرت عيناها. لقد كانت تبكي – قالها لنفسه – بينما تضع ملعقة صغيرة من العسل في اللبن الساخن بقبضة يد سريعة واثقة ، وبينما هي تقلبه انطلقت رائحة شهية. حينما ناولته الكوب كاد أن يقع منه من شدة حرارته. بالطبع لم تؤثر الحرارة على يديها – يدى النحاتة – بسرعة وضع الكوب على المائدة، فلفتت نظره حينئذٍ الزهور البنفسجية التي وضعتها له كلارا. الآن وجد عبيرها الفواح المختلط بحلاوة اللبن والعسل. "لن انظر خلفي وسأعدو إليك كما يعدو المهر بعيداً إلى المراعي الطبيعية الباردة"[٣] همست له بها "أتتذكر؟ منذ عام ونصف كتبتها لي من برلين"

"و لكني ما كان باستطاعتي إطعامكم"

ابتسمت "و هل طالبتك بذلك"

لا، لم تفعل ؛ بالعكس لقد جلسا في غرفة المعيشة على المائدة وناقشا كل شيء بدقة . فعلا ذلك في أول الأمر حينما جاء إليها في فيسترفيدى. مائتان وخمسون ماركاً في الشهر. لا يزال ماثلاً لناظريه القلم الرصاص غليظ السن، المخدوش الذي كتبت به كلارا تكاليف الإيجار، الشموع، والملابس في دفترها الذي ترسم فيه . لا حاجة بهما للكثير من المال لشراء الطعام؛ فهما يأتيان به من الفلاحين في القرية أو من الحديقة، كما أن والدَيْ كلارا يمدونهما ببعض المال.

"على كل منا أن يدفع مائة وخمساً وعشرين ماركا!"

كتبت كلارا الرقم مرتين ووضعت تحته خطًا ثقيلاً. يذكر راينر تماماً مدى شعوره بالارتياح. لقد كانت جادة حقًا. أرادت بتلقائية أن تسهم بنصيبها في أن يتحقق حلمهما. حلمهما الجميل؛ تخيلا أنهما إذا اجتمعا لارتفع شأنهما في فنهما. ولوجدت كلارا مزيداً من القوة للنحت، ولأتيحت له الأوقات ليركز في أشعاره. كل ما في هذا العالم الريفي، كل لفتة، كل طعام، كل نزهة في الهور، كل نظرة، كل فكرة، كل إحساس، كل معرفة ستغدو أشعاراً. حتى روت بشعرها الداكن ، بعينيها الزرقاوين، بجبهتها الحادة، بيديها الرائعتين ، هي في عينيه قصيدة شعر.

و لم يضع المال فى هذا الحلم فى حسبانه.

رغم أن الأمر لا يتعدى مبلغًا تثير تفاهته السخرية. تراءى له الرقم الذى كتبته كلارا بقلمها الرصاص غليظ السن؛ مائة وخمسة وعشرون ماركًا فى الشهر. سأحصل عليه بسهولة ، ظن ذلك. فما عليه إلا أن يكتب بعضًا من المقالات والنقد للجرائد والمجلات ، فسيتجمع له ما يكفى لأن يتولى هو الجزء الأكبر من المائة وخمسة وعشرين ماركًا مقدار إسهام كلارا. بالرغم من أنه استمتع بالإحساس بأنه غير مضطر لذلك. يا لرغبتها الحقيقية فى كسب المال من تماثيلها النصفية ! بذا يتاح له الوقت لقرض الشعر.

هذا ما صور له الخيال ، ولكن تبين أنه يكاد يكون مستحيلاً أن يجد من ينشر له مقالاته الصحفية من هذه القرية القريبة من فوربسفيدى. كتب المقالة تلو الأخرى ، وقضى الليالى الطوال جالسا لذلك على مكتبه ، وفى النهاية لم يجتمع له حتى المائة وخمسة وعشرون ماركًا. ولم تكن كلارا أفضل منه حالاً. كانت نحاتة موهوبة. أثبتت أنها تبعث الحياة فى الرخام ، وأنها ذات عزيمة، واقعية، واضحة ، قادرة على إثبات ذاتها. تعلمت على يدى كلينجر وبل بعد ذلك على يدى رودين العظيم أيضًا فى باريس. ولكن كل ذلك لم يجد لكسب المال هنا فى الريف. وسرعان ما لاحظ كلٌّ منهما ضآلة الفرصة أمامه. ولكن عند زواجهما أعلنت روت عن مقدمها، ففرح الاثنان بوليدتهما وتشبثا بحلمهما.

كان راينر يعى تمام الوعى ما شعر به حينما جاءت روت إلى الدنيا، تجددت الحياة على حين غرة ، أُثريت بمستقبل وحياة جديدتين. تمنت كلارا كثيراً من الأطفال، واستغرقت فى دورها كأم وربة بيت أيما استغراق حتى إن الأصدقاء فى فوربسيدى بدأوا فى القلق عليها. كتبت لها باولا مودرسون - بيكر فى فبراير: "فى كلماتك يُسمع صوت ريلكه قويا متقداً . هل يتطلب الحب أن يتماثل المرء مع خله؟ لا وألف لا ". كان رد فعل كلارا عنيفا ثائرا . شعرت أن هذا الخطاب تدخل وقح فى حياتها. ولكنها لم تستطع أن تخدع نفسها طويلاً. مع قدوم الصيف لم تكتفِ

بالقيام على حياة عائلية سليمة. وبدأت تعانى من أنها لم تتقدم فى أعمال النحت كما كانت تتخيل.

أخذت كوب اللبن من على مكتبه وناولته إياه للمرة الثانية. شربه فى هذه المرة. فى هذه الأثناء كان اللبن المخلوط بالعسل قد برد بشكل كاف. "لقد حاولنا بجدية يا راينر"، قالتها وهى تمسك له بالطبق الذى فيه شريحة الخبز ، "ولكن تجربتنا فشلت. والآن نغادر مرعانا المشترك ويبحث كل منا لنفسه عن مكان خاص به. لن يكون هناك مكان يجمعنا. يجب أن نبدأ حياتنا من جديد ، كل فى طريق. أنت شاعر وأنا نحاتة " .

بدأ يتكلم: "و لكن روت" ، فقاطعته كلارا: "لقد تباحثنا فى ذلك بما يكفى يا راينر ستجد روت مقامًا لدى والدى وسيعتنيان بها ، فيطيب لها المقام لديهما."

أراد أن يعترض قائلاً إنها ابنة تسعة أشهر لم تزل ، وإنها تحتاجنا ، ولكن كلارا أخذت قطعة من الخبز من على الطبق ودفعتها بين شفتيه: "تناول شيئًا من الطعام واشرب اللبن، فسيأتى الحنطور مبكرا ، وأود أن تكون مكتمل القوى حينما تصل إلى باريس". مدت يديها وربتت على وجنتيه.

يا لحنانها الذى تبثه بهاتين اليدين اللتين تجيدان التعامل مع القادوم والإزميل ! وبغتة استدارت سريعًا وذهبت وأغلقت الباب خلفها بإصرار. عندما استلقى راينر على السرير ، خطرت له الفكرة نفسها التى ألحت عليه من قبل على المرج المظلم ، أن قد يلين جانب كلارا.

الآن وردت له فكرة جديدة إنه لمحظوظ أن تكون له زوجة كهذه.

من الجائز أن تكون جالسة الآن على سرير روت تبكى. وجد فى هذا التصور السلوى. فكر أن يذهب إليها ثانية ، ولكنه كان يعلم أنها لا تريد ذلك. حينما أيقظته كلارا فى الصباح التالى، كانت روت لا تزال نائمة ، وكلارا شاحبة الوجه، كما لو أنها قضت الليلة كلها مسهدة. ولكنها بدت ثابتة حازمةً أمرها. بينما يتناول إفطاره ، أخذت تنتهى من إعداد حقائبه. ثم أتى الحنطور. لحظة الوداع، "سأقبل لك روت" قالتها كلارا ثم أضافت : "و أنت ، أبلغ سلامى لباريس سألحق بك سريعًا"

ودفعت له بورقة مطوية فى يده قائلة: "لا تقرأها إلا إذا ابتعدت" . ثم طقطق السائق العجوز بلسانه فشرع الحصان فى التحرك.

استدار راينر نحو زوجته ، ولكن كلارا كانت قد دخلت البيت. فتح الورقة وتعرف على بعض الجمل التى نقلتها له كلارا من رواية (نيلس لونه) لياكبسون : "الأوقات التى مضت بخيرها لا يمكن أن تعود بشرٍ ، ولا شىء فى الحياة القادمة يمكن أن يمحو ساعة واحدة أو يجعل يومًا واحدًا يخبو من الحياة التى عشناها".

استند راينر على ظهر مقعد الحنطور ونظر إلى الهور. قدم الخريف مبكراً حقا. بدأ اللون الأخضر يذبل وسوف يتبقى فقط اللون البنى الداكن لأرض الهور . ترددت فى أعماقه أبياتٌ ، ألقاها على نفسه وليظن السائق به الظنون:

حياتى ، زوجتى هذا قولهم
كلبى ، طفلى على حد علمهم
الحياة ، والزوجة ، والكلب ، والطفل كلهم
غرباء ، أكفاء يجمعهم
بأيديهم الممتدة تخبطهم(٤)

أقسم لنفسه أنه سيعود . على أقصى تقدير فى أعياد الميلاد ، ومن الآن سوف أقضى كل أعياد الميلاد مع ابنتى. ثم تذكر الدراسة التى سوف يكتبها فى باريس عن رودين، وبدأ يضع الخطط لكيفية ترتيب النص .

راينر ماريا ريلكه Rainer Maria Rilke

ولد فى ٤-١٢-١٨٧٥ فى براغ، وتوفى فى ٢٩-١٢-١٩٢٦ فى موتسوت - سويسرا



راينر ماريا ريلكه - اسمه الحقيقى رينيه كارل فيلهلم يوسف ماريا ريلكه ـ طفل وحيد. أمه صوفى Sophie تطلق على نفسها اسم فيا وتربى الولد أولاً وكأنه بنت، فيكون له خصلات طويلة شقراء مموجة ، ويرتدى الثياب، ويلعب بالدمى. ولا يرتدى السراويل إلا حينما يبلغ السابعة. ترى الأم أن زواجها من يوسف ريلكه Joseph Rilke الوسيم نوع من التنازل الاجتماعى؛ فيوسف ريلكه موظف بسيط فى السكك الحديدية. اضطر لقطع طريقه فى السلك العسكرى بسبب الآم فى الرقبة. وكان يشعر أنه فاشل. تنفصل الأم عن العائلة عام ١٨٨٤ حينما يبلغ الابن الحادية عشرة من العمر. يجد ريلكه أيام المدرسة عذابًا وابتلاءً شديداً . بعد قضاء أربع سنوات فى المدرسة الشعبية يلتحق بداية من عام ١٨٨٦ بالمدرسة العسكرية الإعدادية فى سانت بولتين Sankt Pöltin وفى عام ١٨٩٠ يلتحق بالمدرسة الثانوية العسكرية فى ماريش ڤايس كيرشين Mährisch-Weißkirchen .

ثم يلتحق بعد ذلك بالأكاديمية التجارية فى لينتس Lenz .

منذ عام ١٨٩٢ يستعد لامتحان الثانوية العامة فى براغ عن طريق دراسات خاصة ، ويجتازه فى يوليو ١٨٩٥ يبدأ فى دراسة تاريخ الفن والفلسفة والأدب فى براغ ثم ينتقل عام ١٨٩٦ إلى ميونخ حيث يدرس تاريخ الفن فقط.

يحدد ريلكه مبكرًا رغبته فى أن يصبح شاعراً؛ فمنذ كان فى التاسعة من عمره يؤلف الشعر. طوال حياته يكتب الخطابات جزلة الأسلوب، فتصبح حياته هو نفسه فيها تراث أدبى. فى مراسلاته يبحث دائمًا عن العلاقات مع ذوى الأسماء اللامعة.

عندما يبلغ الثانية والعشرين يتعرف على الكاتبة ذات الستة وثلاثين عامًا لو أندرياس سالومى Lou Andreas-Salomé . تتجمع في شخص تلك الروسية الرقيقة والجميلة والمشهورة أدوار الحبيبة والمرشدة والأم. كانت "لو" متزوجة من المستشرق فريدرش كارل أندرياس Friedrich Carl Andreas ، وهى التى أطلقت على ريلكه اسم راينر. ومنذئذ سمى نفسه راينر ماريا ريلكه. يسافر لو وراينر معًا مرتين إلى روسيا : أولاهما من أبريل إلى يونيو ١٨٩٩ وثانيهما من مايو حتى أغسطس ١٩٠٠ . يعشق راينر ماريا ريلكه روسيا طوال حياته، وهى التى قابل فيها ليو تولستوى Leo Tolstoi حينما كان فى الواحدة والسبعين. فالناس فى روسيا يجتذبونه . يعبر ريلكه فى كتاب الساعات – Stunden-Buch عن افتراض أن يرسم راهب روسى فى صومعته صلواته.

الكتاب الأول من هذه السلسلة يدعى " كتاب حياة الرهبان " Das Buch vom mönschichen Leben والذى ظهر عام ١٨٩٩ ، مهدى للو. أما الكتاب الثانى فقد كتبه ريلكه عام ١٩٠٢ بعنوان " كتاب عن الحج " Das Buch von der Pilgerschaft وعام ١٩٠٣ الكتاب الثالث "كتاب عن الفقر والموت " Das Buch von der Armut und vom Tode فى أشعار كتاب الساعات ينعكس تأثير الحياة النفسى على ريلكه، وينشر هذا الكتاب عام ١٩٠٥ .

عندما قدم ريلكه عام ١٩٠٠ إلى ڤوربسڤيدى Worpswede قطع صلته بلو أندرياس سالومى بشكل تام. ولكن الصلة تعود عام ١٩٠٢ . وحتى وفاته تربط الاثنين صداقه عميقة . فى مستعمرة الفنانين فى ڤوربسڤيدى يجد ماريا ريلكه أناسًا مثله ، يحاولون الربط بين الفن والحياة التى تمثل لهم عملاً فنيًا. يزور ريلكه عام ١٩٠٠ الرسام متبع مذهب الشباب هاينريش ڤوجلير Heinrich Vogeler فى مقره الشهير المسمى باركينهوف Barkenhoff حيث يتلاقى الفنانون الشبان غير التقليديين. فى حفلاتهم الليلية يلقى ريلكه أشعاره التى تلقى الإعجاب. وهناك يتعرف على الرسامة باولا بيكر Paula Becker التى تتزوج فيما بعد الرسام مودرسون Modersohn وصديقتها النحاتة كلارا ڤيستهوف Clara Westhoff لم يكن من المعتاد فى ذلك الوقت أن تعمل سيدة بالنحت ، فقد كانت معاهد الفن الرسمية مغلقة فى وجه السيدات. ولكن

كلارا كانت تمارس النحت بقوة وموهبة لافتة للنظر ، فقد نحتت عام ١٩٠٠ فقط ثلاثة أعمال لأطفال من البرونز أسمتها :" الفتاة الجالسة القرفصاء" ، "الفتاة الواقفة" ، "الفتى الجالس" . فى الثامن والعشرين من أبريل عام ١٩٠١ يتزوج ريلكه من كلارا فيستهوف ، وفى الثانى عشر من ديسمبر عام ١٩٠١ تولد ابنتهما روت Ruth ويعيش ريلكه مع عائلته فى ڤيسترڤيدى Westerwesde، قرية قريبة من فوربسفيدى. يفتتن ريلكه أول الأمر مثل كلارا بالمروج والأهوار فى فوربسفيدى وبهوائها النقى وأضوائها وألوانها . فيدخل فى تجربه زواج برجوازى ، ولكنه لا يتحمل الاستقرار والاستمرار لفترة طويلة. فهو يحتاج إلى الوحدة والتركيز التام لكى ينفرد بإلهامه ويقرض الشعر . وفضلاً عن ذلك يتعب الزوجان فى كسب ما يكفى من مال . عندما يحصل ريلكه على تكليف بكتابة دراسة عن النحات رودين عام ١٩٠٢ ينتقل إلى باريس وتتبعه كلارا. يسير كلٌ من الزوجين على دربه الفنى ، ويودعان ابنتهما روت لدى والدى كلارا اللذين يعيشان فى بريمن أو فى مقرهما الريفى فى منطقة أبرنوى لاند Oberneuland .

فى عام ١٩٠٣ ينتقل الزوجان ريلكه إلى روما ، ولكن كلارا لا تعجب بالجنوب ، ويكف والداها عن إمدادها بالمال. وبذا تعود إلى بريمن وتبدأ فى الاستقلال عن ريلكه بشكل تام. يعود ريلكه عام ١٩٠٨ إلى أوبرنوى لاند. ومن ثم تصبح قدرته على الإبداع مهددة بمناخ الطبيعة الحزين والجو القاسى والتقارب العائلى. يعانى بعض الوقت من الأنفلونزا ، ويرتحل أخيراً إلى كابرى. فيشعر الجميع بالارتياح. تطلب كلارا عام ١٩١١ الطلاق من ريلكه ، ولكن اختلاف الملل والجنسيات يجعل تكاليف الطلاق باهظة فيتخليان عنه.

فى أعوام ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ ، ١٩٠٧ يقضى ريلكه أعياد الميلاد فى منطقه أوبرنوى لاند مع ابنته روت التى يقل اهتمامه بها بعد ذلك حتى يتلاشى ، فعندما تتزوج روت عام ١٩٢٢ من د. كارل زايبر Dr. Carl Sieber لا يحفل ريلكه بهذه الزيجة كثيراً .

تصبح باريس ولمدة اثنى عشر عامًا المركز الجغرافى لحياة ريلكه . يأخذ عن رودين Rodin شعاره فى الحياة (العمل ! اعمل دائما) ، فيعمل ريلكه دائمًا لإنتاج نصوصه. وينقح المسرحية النثرية لطيفة الأشعار المكتوبة عام ١٨٩٩ وهى بعنوان

"طريقة الحب والحياة لكورنيس كريستوف ريلكه" Die Weise von Liebe und Tod des Cornets Christoph Rilke – الهدية التى لم تخطر على بال لليلة واحدة ، ليلة خريفية كتبت دفعة واحدة"- مرتين: عام ١٩٠٤ فى السويد وعام ١٩٠٦ فى باريس . ثم تطبع منها طبعة فاخرة من ثلاثمائة نسخه مرقمة عام ١٩٠٦ وتظهر بناء على نصيحة من شتيفان تسفايج (*) Stefan Zweig أول مجلد فى مكتبة الإنزل (الجزيرة – die Insel-Bücherei بسعر ٥٠ بفينيج (**) . يباع منها مائة ألف نسخة عام ١٩١٧ وعام ١٩٣٤ خمسمائة ألف وفى عام ١٩٥٩ مليون.

فى عام ١٩٠٢ و١٩٠٦ يظهر "كتاب الصور" Das Buch der Bilder وفى عام ١٩٠٧ يحقق ريلكه بكتابه "أشعار جديدة" Neue Gedichte نجاحًا ساحقًا ، وتعد أشعاره منذ ذلك الحين من الأدب الحديث. تظهر عام ١٩١٠ (ذكريات مالته لوريدس بريجة Die Aufzeichnungen des Malte Laurids Brigge بوصفها نوعًا من السيرة الذاتية ذات الأسلوب المنمق. يعالج موضوع الطفولة فى أعمال ريلكه مرارًا وتكرارًا .

يعانى ريلكه بين عامى ١٩١٠ و١٩٢٣ أزمة فى التعبير عن نفسه تعذبه ، وتتطور إلى أزمة حياة أيضا ، فيعيش حياته دائم الترحال بلا استقرار ، ويظل يعانى من توتر كبير ، فيأخذه الحنين من ناحية إلى الاستقرار فى ظروف قريبة من الطبيعة ، ومن ناحية أخرى يحدد مساره الاحتياج إلى الوحدة والاستقلال بل أيضًا إلى انعدام الجذور . فيرتحل ويعيش فى حوالى خمس عشرة دولة مختلفة ثم يقيم منذ عام ١٨٩٧ وحتى الحرب العالمية الأولى غالبًا فى فينيسيا .

ويجد دائما من يستضيفه. يتعرف عام ١٩٠٩ على الأميرة ماريا فون تورن وتاكسيس Maria von Thurn und Taxis ١٨٥٥ – ١٩٣٤ التى تصبح راعيته التى تعينه على الشدائد ، ومشجعته فنيًا، بل صديقته التى تلعب دور الأم فى حياته. يعيش ريلكه ويعمل فى قصرها "قصر دونيو" Schloss Duino على نهر الأدريا. وفيه ترى أولى مرثياته الشهيرة النور "مرثية دونيو" Duineser Elegien التى مطلعها : "إذا صرخت فمن يسمعنى من جماعات الملائكة ؟....."

(*) أديب نمساوى ولد عام ١٨٨١ وتوفى عام ١٩٤٢ . (المترجمة)

(**) أى نصف مارك ألمانى . (المترجمة)

فى أثناء الحرب العالمية الأولى يقيم ريلكه غالبا فى ميونخ ويكتب :- "لأول مرة أراك تستيقظ يا إله الحرب البعيد، المجهول، المحكى عنه" .

فى الرابع من شهر يناير عام ١٩١٦ يضطر إلى الالتحاق بالخدمة العسكرية، ويعمل فى أرشيف الحرب فى فيينا. ثم تنتهى خدمته فى التاسع من يونيو. عام ١٩١٨ يتحدث عن "تشوهات الحرب".

فى عام ١٩٢١ تصبح سويسرا آخر أوطان ريلكه المختارة. يقيم هناك فى برج موسوت **Muzot** فى ڤاليس **Wallis** ويقيم علاقة عاطفية مع الرسامة بلادينا كلوسوفسكا **Bladine Klossowska** وفى أثناء رحلة معها خلال منطقة الفاليس، يكتشف برجًا لأحد القصور من القرن الثالث عشر تتبعه حديقة، ونبع، وورد برية، وكنيسة صغيرة. فيشترى صديق ريلكه ومضيفه ڤيرنر راينهارت **Werner Reinhardt** الذى يعود أصله إلى منطقة فينترتور **Winterthur** المبنى ويتركه لريلكه مدى الحياة فيستمتع ريلكه هناك "بالهدوء الذى يتزايد إلى حد عدم الاحتمال"، ويعايش هناك نشوة الإبداع فينهى مرثية الدوينو ويظهر عمله سوناتا إلى أورفيوس – **Sonette an Orpheus** .

فى التاسع والعشرين من ديسمبر عام ١٩٢٦ يتوفى راينر ماريا ريلكه متأثرًا بنوع نادر من اللوكيميا فى مصحة فالمونت حيث لم يتعرف الأطباء على هذا المرض لمدة طويلة، ويدفن فى الثانى من يناير عام ١٩٢٧ بجوار كنيسة راجون فى فاليس. يؤلف ريلكه نفسه ما سيكتب على شاهد قبره، ويتكلم عن الوردة البلدية، تلك الزهرة التى أحبها طوال عمره :

يا وردة، يا للتناقض والمتعة فيك

لا ينام مخلوق تحت كل هذه الجفون.

مقترحات للقراءة

يعد "طريقة الحب والموت لكورنيتس كريستوف ريلكه" أشهر أعمال ريلكه على الإطلاق، ولا يزال له وقع السحر فى نفس من يقرؤه . أما من يود أن يزداد اقترابًا من

ريلكه وأن يقرأ له عملاً أطول فلن يجد أفضل من :– "ذكريات مالته لوريدس بريجه" . من أشــهر أشــعاره العديدة التى تجتذب القارئ لقراءتها أو حفظها : "أعيش حياتى فى دوائر متصاعدة" ...من كتاب الساعات ، وقصيدة "يوم خريفى" فى كتاب الصور ، وقصــيدة "الفهد" ، وقصــيدة "الأرجوحــة" من كتاب الأشعار الجديدة. أما الباحث عن قصيده عاطفية جميلة ، فينصح بقراءة "أنشودة حب" لريلكه ومطلعها "كيف أمنع نفسى .... " .

مزارات

فى براغ توجد الشقة المؤجرة المتواضعة التى ولد فيها ريلكه وعنوانها هاينريش جاسى رقم ١٨ Heinrichgasse 18 فى الطريق بين روزن ماركت Rosenmarkt وميدان هوى فيج بلاتس Heuwegplatz أما فى ميونخ فتوجد أول شقة لريلكه وعنوانها بريز شتراسه رقم ٤٨ Breinnerstraße 48 فى الدور الأرضى. أما أخر مسكن له على الأراضى الألمانية فيقع فى الدور الرابع لبيت فى شارع أنميلر شتراسه رقم ٣٤ Ainmillerstraße 34 .

أما فى برلين فقد سكن فى فيلا ڤالدفريدين Waldfrieden التى تقع فى شارع هوندا كيلى شتراسه Hundekehlestraße فى منطقه شمارجين د ورف Schmargendorf بالقرب من الجرونى فالد Grunewald .

يمكن كذلك زيارة مقر هاينريش فوجلرس المسمى "باركنهوف " فى فوربسفيدى والذى احتفل فيه الفنانون بليالٍ تثير النشوى فى النفوس، وتقع فسترفيدى على بعد خمسة كيلو مترات. هناك عاش ريلكه مع عائلته ما يقرب من السنتين . فى باريس عاش ريلكه فى ريو كاسيت رقم ٢٩ Rue Casette 29 بالإضافة الى أماكن أخرى متفرقة . هناك عمل فى كتاب "الأشعار الجديدة" و"ذكريات مالته لوريدس بريجه"

وعلى سور حديقة متحف رودين الحالى فى باريس تشير لوحه تذكارية أن ريلكه هو الذى لفت نظر النحات إلى هذا المبنى. وقد عاش ريلكه فى مبنى مستدير فى الزاوية

الخلفية لهذا المبنى فى غرفتين عاليتين لهما مدخل مباشر إلى الشرفة مدة طويلة كمؤجر من الباطن . يقع أخر مساكن ريلكه فى باريس فى ريو كمبانيا - بريمر رقم ١٧ Rue Compagne - Premiere بالقرب من بوليڤار راسبايل Boulevard Raspail . فى سويسرا يمكن زيارة شاتو دو متسوت Château de Muzot فى فاليس وأقرب قرية له هى ميجى Miege وأقرب فندق له يسمى بيفيلو Belle vue ويتبع منطقه سيرى Sierre التى تبعد بحوالى نصف ساعة سيراً على الأقدام .هناك كتب ريلكه "سوناتا إلى أوفيوس" وآخر مرثيات الدوينو.

وفى ساحة الكنيسة فى رارون Raron "أو راروجن" Rarogne يمكن زيارة قبر ريلكه. وفى السابع والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٢٥ كتب ريلكه فى وصيته : "أفضل أن أوارى الثرى فى ساحة الكنيسة القديمة العالية فى رارو جن . فحماها يعد أول الأماكن التى شعرت فيها بهواء وضياء هذه الطبيعة" .

هيرمان هيسه

بقلم هارالد توندِرن

مشاعر جامحة

لم يتوقع أحد ، ولا حتى هو نفسه ، محاولته الهرب فى ذلك اليوم السابع من شهر مارس من عام ١٨٩٢ ، تناول هيرمان كالمعتاد وجبة الغداء الجماعية فى صالة الطعام الخاصة بالدير القديم. بعد ذلك اختار ثلاثة من كتبه الدراسية التى يبلغ عددها خمسة وأربعين كتابا من صندوق الكتب الخاص به وخرج ليستجم قليلا فى الهواء الطلق قبل الدرس المسائى الذى كان يبدأ فى الساعة الثانية بعد الظهر، وليلقى فى أثناء ذلك نظرة فى كتبه استعدادا للدرس القادم.

كان الجو خارج الدير باردا. لم يكن هيرمان يرتدى معطفه أو قفازه فى هذه النزهة القصيرة، كما لم يكن معه فينج واحد فى جيبه، أو قطعة خبز أو غيره من الطعام.

كان يشعر بصداع. لطالما شعر بآلام الصداع هذه منذ عدة أشهر. كلا، فإنه عندما يتذكر جيدا يجد أنه قد بدأ بالفعل يشعر بهذه الآلام قبل ذلك بوقت طويل، منذ أن كان فى المدرسة اللاتينية فى مدينة جوبينجن. غير أنه قد عوّد نفسه أن يطرح آلام الصداع هذه جانبا، ألا يكترث بها ببساطة وأن ينكب على كتبه ويواصل القراءة؛ فمن كان من بين الطلبة يشتكى من آلام الصداع كان يتهدده خطر أن يُعد مريضا ولا يسمح له بالتالى بحضور الدرس والاستذكار. سرعان ما كان يحدث ذلك لهيرمان.

ولأنه كان شديد شحوب الوجه، هزيلا، أسفل عينيه دائما هالات سوداء كبيرة كانت ترتسم على وجه الطبيب فى كل مرة ملامح القلق بشأنه، وكان يهم أن يرسله لحجرة المرضى، وهو ما كان يعنى أن يتغيب هيرمان ذو الأربعة عشر ربيعا عدة أيام عن المحاضرات وأن يتأخر بالتالى ترتيبه فى فصله.

وذلك ما كان هيرمان يريد أن يتجنبه على أية حال. ولهذا السبب أخذ معه كتبه الثلاثة فى نزهته القصيرة. ولكن لماذا يا تُرى لم يبادر بفتح أى كتاب ويشرع فى قراءته كما كان يفعل دائما فور خروجه من القاعة الأمامية المظلمة لمدرسة الدير القديم إلى الساحة الفسيحة المضيئة؟

شيء بداخله كان يأبى ذلك. لم يكن صوت من أعماقه يحثه على التمرد، بل كان أكثر منه إحساس ما برحابة المكان، بحرية مفاجئة بعد الضيق المظلم داخل أسوار دير طائفة التسيسترتسينز القاتمة الرطبة. ولم يكن هيرمان يرغب فى تحطيم هذا الإحساس من فوره. أضف إلى ذلك أن هذا الإحساس كان أول خروجه من الدير ضعيفا للغاية، لا يكاد هيرمان يلحظه ولكن مع كل خطوة يخطوها هيرمان تحت أشعة الشمس فى تباشير الربيع التى كانت ترسل قدرا يسيرا من الدفء إلى المكان الواسع الذى تحيط به بيوت من الأحجار، كان هذا الإحساس الفجائى بالحرية يزداد قوة بداخله، فشرع يسرع الخطى بهمة ونشاط.

بعد مرور نصف ساعة، أى فى الساعة الثانية والنصف تقريبا، قابل هيرمان زميلين له عند أحد التلال على مشارف مدينة ماول برون. كان كلاهما يرتدى مثله الطاقية الخضراء المحلاة بشريط فضى ، الخاصة بعنبر النوم "هيلاس" الذى هو أكبر عنبر نوم فى مدرسة الدير. كان هذا الشعور الغريب بالحرية قد أصبح آنذاك من القوة بداخل هيرمان حتى إنه خال زميليه اللذين كانا يرغبان فى الدردشة معه غريبين عنه. فحياهما ببشاشة وواصل سيره دون أن يبطئ خطواته المسرعة.

فسأله الزميلان فى لهفة: "إلى أين بهذه السرعة؟"

فأجاب هيرمان بود: "بعيدا. سوف أهرب."

فضحك الزميلان بحسن نية على هذه الدعابة اللطيفة.

عندما بدأ الدرس منْ جديد فى تمام الساعة الثانية بعد الظهر كان هيرمان متغيبا، وحكى زميلاه عن مقابلتهما له، وعن زعمه أنه يريد الهرب، وعن عدم تصديقهما له معتبرين الأمر مجرد مزحة..

على الفور أصدر مدير مدرسة الدير أوامره بالبحث عن هيرمان فى محطة قطار ماول برون ، وبإرسال برقية إلى شتوتجارت للسؤال عما إذا كان هيرمان هيسه ربما قد وصل هناك. وبما أن احتمال تعرض هيرمان لحادث لم يكن مستبعدا، فقد خرج جميع زملائه بقيادة المدرسين للبحث عنه وقاموا بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات لتمشيط المنطقة فى دائرة قطرها خمسة كيلومترات أو ستة. كان الخوف يعتريهم جميعًا من احتمال أن يكون هيرمان هيسه قد فعل بنفسه شيئا.

فى أثناء ذلك كان قد تم إبلاغ عمد القرى المجاورة وكذلك الشرطة عن اختفاء هيرمان. فى تمام الساعة الرابعة وأربعين دقيقة من عصر ذلك اليوم أرسل البروفيسور باولوس بالنيابة عن مدير المدرسة برقية إلى والد هيرمان فى مدينة كالف قال فيها: "هيرمان متغيب منذ الساعة الثانية. نرجو ثمة تفسير"(١) .

فى مساء ذلك اليوم المشحون كتب البروفيسور باولوس إلى والد هيرمان فى كالف: "يؤسفنى أننى لا أستطيع حتى الآن، أى حتى الساعة العاشرة مساء، وأنتم فى قلقكم الشديد أن أرسل إليكم أى خبر مطمئن؛ إذ إن جميع محاولات البحث عن هيرمان بلا جدوى حتى الآن. ولكنى أعتقد أنه يجب علىّ أن أخبركم بما يحدث هنا وبما توصلنا إليه من معلومات وثيقة الصلة بالهروب المؤسف لولدكم هيرمان من المدرسة. فطبقا لأقوال عديد من زملائه كان هيرمان منذ وقت طويل كثيرا ما تعتريه حالة من التوتر الشديد، بل إن هذه الحالة قد بدأت تنتابه قبل أعياد الميلاد بقليل، حيث اعتاد هيرمان فى ذلك الوقت أن ينظم قصائد مفعمة بالعاطفة، جامحة إلى حد ما، ثم ما لبثت أن تبدلت هذه الحال

إلى أخرى عاد فيها هيرمان مرة أخرى إلى المرح والمزاح الشديدين. وربما كان ذلك هو السبب فى أنه لم يخبرنا أحد من زملائه المقربين له عن حالته تلك"(٢) .

وفى أثناء ذلك كان هيرمان الذى يدور البحث عنه قد واصل سيره بعد مقابلته مع زميليه دون توقف. لم يكن أمامه هدف بعينه؛ فكل ما كان يتوق إليه هو أن يبتعد عن المكان الذى طالما عانى منه دون أن يعى تلك الرغبة وعيا حقيقيا .

ومع أن هيرمان لم يكن يقصد وجهة محددة فإنه كان يتجنب بعض الأماكن بحسه الفطرى. فكان يلتف حول القرى، كما كان يتحاشى بعض المزارع المتناثرة هنا وهناك. وكم من مرة انحرف فيها عن طريقه واختبأ وراء صخرة أو كومة من أعواد الحطب عندما كان يرى أناساً قادمين عليه. فقد كان يعلم أن هذا الشعور العميق بالحرية الذى كان لا يزال يملؤه سيضيع منه فور أن يراه أناس كثيرون. فأكبر الظن أنهم كانوا يبحثون عنه منذ وقت طويل.

بدأ يتحاشى الطرق والمدقات فى الحقول، ويسير عبر الأراضى ليبتعد أكثر وأكثر. لم يشعر بحلول الظلام إلا عندما تعثر فى جذر شجرة ناتئ ، وقُذف به فى مستنقع صغير من الطحالب الرطبة ، حماه من أن يُصاب بمكروه. استدار هيرمان على ظهره ورأى فى السماء من فوقه نجما وحيدا بين السحب المسرعة.

لكم تمنى أن يظل مستلقيا هكذا بعض الوقت ، ليستمع إلى أصوات الغابة ويستنشق رائحة الراتنج والخشب المبلل التى استشعرها فجأة، غير أن الجو كان قد ازداد برودة.

نهض هيرمان بسرعة، وبينما كان يحك النصف الأعلى من جسمه المرتعد من شدة البرد ليتدفأ، إذا به يبصر بقعة مضيئة غير مستقرة تتحرك بين الأشجار، فشرع يتجه إليها، فإذا هى كوخ صغير منعزل ينبعث من وراء نافذته الوحيدة ضوء مصباح ما.

عندما اقترب هيرمان أكثر بدأ كلب فى النباح. توقف هيرمان على الفور وبدأ يتراجع إلى الخلف ببطء ؛ فلم تكن لديه بعد الرغبة فى رؤية أى إنسان ، حتى إذا كان يتضور جوعا، فمن المحال أن يستبدل بحريته قطعة من الخبز.

انعطف فى طريق ما ، وسمع تحت قدميه شيئا يتهشم. كانت نقرة ماء متجمدة. أدرك هيرمان أن درجة الحرارة لابد أن تكون تحت الصفر بكثير. كان عليه إذا كان لا يزال عازما على ألاّ يطرق باب أحد أن يجد لنفسه مأوى آخر فى هذه الليلة ، إذا كان يريد ألا يموت من البرد الشديد. واصل الفتى سيره حتى أتى أخيرا إلى كومة من القش فألقى بنفسه فيها عميقا ليحتمى بها من البرد.

وبينما هو راقد فى كومة القش هذه، ضاما ذراعيه إلى جسده المرتعد من البرد ضما، وفوقه السماء المظلمة التى كانت فى ذلك الوقت من الليل قد امتلأت بالنجوم، أخذ ينصت إلى أصوات الطبيعة مرة أخرى: فهذا صوت تحطم فُريع شجرة فى الصقيع، وذاك صوت خافت يصدره فأر فى كومة القش. تذكر أنه فى الأوقات الخالية عادة ما كان يستلقى هكذا وينصت. خيل إليه أن ذلك كان فى حياة سابقة سحيقة البعد عن حاضره، لكن ذلك فى الواقع كان منذ أقل من عامين لا غير عندما كان هيرمان يجلس فى بلدته على ضفة النهر ومعه صنارته. كان لا يزال آنذاك يعرف كيف يقطع أفرع الأشجار الرفيعة الملائمة ، وكيف يضفر شعر الخيل وكيف يصبغ الخيط، وكيف يعقد العقدة، وكيف يسن خطاف الصنارة. كان يعرف كيف يتنبأ بأحوال الطقس، وكيف يراقب حركة المياه، وكيف يعكر صفوها أحيانا بإلقاء النخالة فيها، وكيف يميز الطُعم الجيد للأسماك وكيف يثبته جيدا فى الصنارة ، وكيف يميز بين أنواع الأسماك المختلفة ، وكيف ينصت لها عند الصيد، وكيف يلقى بالخيط فى العمق الملائم من النهر. كان لديه الإحساس المرهف باللحظة التى يجذب فيها الصنارة أو يرخيها فى الماء.

ضاع منه ذلك كله ، ليس فجأة ، وإنما شيئا فشيئا ، حتى إنه لم يلحظ ذلك. فمنذ أن أتى إلى ماول برون لم يخطر صيد الأسماك على بال هيرمان ولو لمرة واحدة. كيف قُدِّر عليه حدوث ذلك؟ لماذا تخلى عن شىء كان يحبه حبا جما؟

لم يبدأ حدوث ذلك فى ماول برون، ولا فى المدرسة اللاتينية فى مدينة جوبينجن قبل ذلك بعام، وإنما قبل ذلك بوقت طويل عندما كان لا يزال فى المنزل فى مدينة كالف الواقعة فى شمال الغابة السوداء ، حيث كان لا يزال يقطن مع والديه فى حارة ليدير جاسّه.

فبدلا من أن يذهب للصيد أو من أن يهيم على وجهه فى الطبيعة المحيطة كان قد بدأ رحلة التعلم ، كان يراقب القمر والسحب، ويرسم بالقلم الرصاص والريشة ، كان يتدرب على استخدام آلة الهارمونيوم(*)، كان يغنى وينظم قصائد قصيرة. حاول أن يتمرد فى بادئ الأمر. وهو نفسه ، وإن كان لا يذكر من ذلك الآن إلا النذر اليسير، فإن والدته طالما روت كيف كان ثائرا أيما ثورة آنذاك، وكيف كان يتمسك برأيه أيما تمسك. ولكن يبدو أنه قد راق له بعد ذلك أن يتوسم الناس فيه العبقرية، وأن يُعجبوا بالسهولة الفائقة التى كان يفهم بها كل شىء، بل إن هيرمان كان فخورا بأنه كان الأول بين زملائه فى مادة اللغة اللاتينية. غير أن هذا التفوق لم يُدهِش أحدا دهشة حقيقية؛ فالمدرسون، ومدير المدرسة، والجيران فى مدينة كالف، وقسيس المدينة، وزملاء هيرمان فى المدرسة أيضا لم يدعوا مجالا للشك فى أن ذلك ما كانوا ينتظروه منه. كان هذا الأمر ينطبق بالأخص على جده "الهندى" د. هيرمان جوندرت، وهو جده لأمه. كان لهيرمان جد آخر"روسى" لكن هيرمان لم يره قط وإنما عرفه فقط من الحكايات. كان يعمل طبيبا ويقيم فى لتوانيا.

كان والد هيرمان وجده لوالدته من رجال التبشير المسيحى فى الهند، ولكم تمنى هيرمان أن يسافر إلى الهند، ليس بوصفه رجل تبشير، وإنما ربما بوصفه كاتبًا وأديبًا، فقد كان واثقا كل الثقة من أنه سيؤلف كتبا فى يوم ما.

كان ذلك هو دافعه للتعلم ، حتى عندما كان التعلم فى المدارس التمهيدية لا يحقق له أى سعادة. لم يتغير ذلك إلا عندما انتقل إلى المدرسة اللاتينية فى مدينة جوبينجن عند الأستاذ باور. كان هذا المدير يشعر بمتعة داخلية فى توجيه الطموح النبيل لتلاميذه وفى رؤيته ينمو. وكان الأستاذ باور مديرا متحمسا ، ملأ أعماقه الشعور بالفخر والسعادة عندما رأى كيف أخذت موهبة هيرمان التى لم ينجح أحد قبل ذلك

(*) آلة أرغن صغيرة الحجم ، صوتها قريب من الأكورديون ولكن فى تخافت نسبى ، شبيهة الشكل بآلة البيانو العادى ، يصدر الصوت منها خلال أنابيب ذات ريش . (المترجم)

فى استفزازها فى البزوغ، عندما رأى كيف أخذ الصبى هيرمان يطرح اللعب بالسيوف الخشبية أو بالنبلة أو بالقوس جانبا، وغيرها من الألعاب الطفولية، كيف بدأ يتطلع للأمام، كيف جعل العمل الجاد من الطفل الفظ ممتلئ الوجه غلاما رقيقا ، جادا ، زاهدا إلى حد كبير، كيف أصبحت ملامح وجهه أكثر نضوجا وأكثر فكرا ، وكيف أصبحت نظرة عينيه أكثر عمقا وأكثر وعيا بهدفها، كيف أصبحت يداه أكثر نقاء وهدوءا.

فقد كان الأستاذ باور يرى أن واجبه ووظيفته يحتمان عليه أن يسيطر على ما فى الغلام من قوى ومن غرائز الطبيعة الهمجية، وأن يقتلعها من جذورها. فقد كان الغلام لا يزال يحمل فى أعماقه هذا المندفع المحموم بغير قيود إلى التجديد. أو هذا الحالم بما لا ينفع. كان يقبع بداخل الفتى شىء ما ، قل هو مزيج من الجموح والتمرد والهمجية ، كان لابد من كسره بادئ ذى بدء ، نار حارقة لابد أن تطفأ وتخمد فى البداية. فالإنسان كما خلقته الطبيعة كائن لا يمكن التنبؤ بأفعاله ، ولا يمكن النفوذ إلى أعماقه ، لا يخلو من الخطورة، إنه كالسيل المنحدر بشدة من قمة جبل مجهول، وكالأحراش التى لا يشقها طريق ولا تعرف نظاماً. وكما أنه يجب تهذيب الأحراش وإزالة أشجارها لإنارتها وتحديد مساحتها فكذلك كان يجب على المدرسة أن تكسر الإنسان الفطرى وتنتصر عليه وتلجمه. ذلك ما كان يعتقده المعلم باور.

وقد تطورت شخصية الفتى هيرمان تطورا محمودا، فقد عزف من تلقاء نفسه عزوفا شبه كامل عن التجول فى الحقول واللعب ، وسرعان ما أعرض عن الضحك الساذج فى ساعات الدرس ، كما رغب عن الاهتمام بالزراعة وتربية الأرانب والشغف بالصيد.

كان يقضى يومه من صباحه حتى مسائه منكبا على كتبه، يستظهر دروسه ويكتب. كما كان يتدرب على هارمونيكا الفم، وآلة الكمان، وبذلك نجح فى النهاية فى اجتياز امتحان الإقليم وهو الحدث الذى خطَّ طريق مستقبله وحدده له. ففى الجنوب، أى فى الأراضى الشابية، لم يكن هناك سوى هذا المنفذ الضيق للطلبة الموهوبين من أبناء غير الموسرين: اجتياز امتحان الولاية والالتحاق بمعهد إعداد رجال الدين ومنه إلى مؤسسة توبينجن للعلوم اللاهوتية ومن هناك ينتهى الأمر بالطالب إما خطيبا فى الكنيسة وإما مدرسا لعلوم الدين.

كانت الحياة قاسية فى المدرسة فى ماول برون أيما قسوة ، فقد كان الطلاب يستيقظون فى أيام الدراسة فى السادسة والنصف صباحا ويستمر بهم اليوم الشاق بدون استراحة تُذْكَر حتى الساعة التاسعة مساء. وبعدها بنصف ساعة كان يأتى ميعاد النوم.

غير أن هيرمان كان لا يزال يجد متعة فى التعلم. كان يكتب المقالات، ويترجم أعمال الأديب اللاتينى أويد إلى البحر سداسى التفاعيل فى الألمانية ، كما انشغل بالأدباء جوته وشيللر وكلوبشتوك. كانت تربطه علاقة طيبة بزملائه فى عنبر النوم هيلاس بالرغم من أنه كان قد تعارك ذات ليلة مع أحد هؤلاء الزملاء. ولم يكن لدى هيرمان مشكلات حقيقية مع مدرسيه ، باستثناء الأستاذ هاسيس، مدرس الموسيقى والجمباز والرسم، الذى كان يتعلم على يديه آلة الكمان، فأخذ يزيده كرها فيها يوما بعد يوم. أما بالنسبة لوالدى هيرمان فقد كان من الحتمى أن يبدو لهما الأمر كما لو كان ولدهم قد تكيف مع حياته الجديدة فى مدرسة الدير الشهيرة فى ماول برون تكيفا رائعا؛ ففى الرابع عشر من شهر فبراير من عام ١٨٩٢ أرسل هيرمان برقية إلى والديه كتب فيها: "أنا سعيد ومبتهج وراض! إن أجواء الدراسة ترفرف عليها نغمة تمسنى مسا. إنها فى المقام الأول تلك العلاقة المنفتحة بين المدرسين والتلاميذ، وثانيها العلاقة الودودة بين الطلبة بعضهم البعض .[...] هذا كله يشكل رباطا وثيقا جميلا بين جميع الناس، ولا تشعر حيث وطأت بأى إكراه كان [...] ، ثم أيضا هذا الدير الرائع! فالنقاش الذى يدور فى دهليز من دهاليز الدير الفخمة مع الآخرين عن اللغة أو الدين أو الفن إلخ له سحر خاص"[٣] .

لم يمر على كتابة هذه البرقية أسبوعان ، وها هو ذا الآن يرقد بعد هربه فى أحد الحقول المنبسطة فى كومة من القش ، مرتعدا من البرد فى درجة حرارة تبلغ عشر درجات تحت الصفر. أنهم يبحثون عنه بالتأكيد منذ وقت طويل ، ولا شك أن مدير المدرسة قد بعث ببرقية إلى والديه فى مدينة كالف. ولربما كان والده الآن فى الطريق إلى ماول برون ليساعد فى البحث عنه. كلا، والده بالطبع لا. فلربما تصيبه من جديد

تلك الحمى العصبية التى تعتريه دائما من شدة القلق والتوتر. لذلك فإن الاحتمال الأكبر أن تأتى والدته إلى ماول برون ، فهى أكثر صلابة واحتمالا من والده.

فى أثناء تفكير هيرمان فى والديه وجد نفسه لهنيهة يستعد للنهوض فى صعوبة من كومة القش والعودة إلى ماول برون ، غير أن أعضاءه تجمدت مرة ثانية وهو فى منتصف النهوض، فقد شعر بآلام الصداع تفاجئه مرة أخرى ، تلك التى اختفت من عصر هذا اليوم. ها هى ذى تعاوده بحدة حتى إنه وجد نفسه يضغط بيديه الاثنتين على جانبى رأسه.

لم تبدأ الآلام تتلاشى إلا عندما قرر الفتى: لا لن أعود.

لم يكن هيرمان فى حاجة للتفكير فى والديه، فقد تخلوا عنه ، باعوه إلى الدولة التى أخذت بدورها تشكله الآن فى مدرسة الدير بالشكل الذى يمكّن هيرمان من خدمتها.

لكننى أنا نفسى أردت ذلك، أتاه صوت من أعماقه يذكره بذلك.

نعم، كان ذلك صحيحا. فكيف كان لهم أن يدفعوه إلى التعلم دفعا ، إذا كان هو نفسه لا يوافق على ذلك؟ بل إنه على العكس كان يرغب فى المزيد. لم يكن ما يتلقاه يكفيه أبدا.

ولكن كلا ، فلم يكن ذلك صحيحا فى الوقت نفسه. فلم يرتضِ هيرمان دور الإمعة إلا لأنه لم يكن فى مقدوره أن يعرف ما هو أفضل من ذلك. لقدغرروا به وخدعوه، وأخذوا يمتدحونه حينما كان يأتى بشىء يحوز على إعجابهم ويقوده إلى الاتجاه الصحيح. ولكنهم كانوا يظهرون قلقهم الشديد بدرجة أكبر ، حينما كان يتبع أيا من رغباته الشخصية. شيئا فشيئا نجحوا فى ترويضه على الشكل الذى أرادوه.

لن أتحمل ذلك. قالها هيرمان لنفسه.

لكن لماذا يتحمل الآخرون؟ فإنهم يُصنع بهم ما يصنعونه بى؟ هل أنا غيرهم؟ فى هذه اللحظة ورد على خاطره جده ذو الأصل الهندى. ألم يكن يقول دائما إن هيرمان

مفرط فى عنفوانه وفى عصبيته، ألم يكن يصفه من حين لآخر على أنه ممن لا يمكن التنبؤ بأفعالهم؟ أكان الآخرون إذن أكثر وضوحا منه فى رد أفعالهم؟

نظر هيرمان إلى السماء من فوقه. كانت لا تزال هناك بعض السحب هنا وهناك تواصل سيرها بسرعة. فتش الصبى فى النجوم عن إجابة. إلا أن الملايين من الأضواء كانت ترد نظرتها إليه فى برود لا يستشف منه شيئا، كما لو كان كل ما يحدث هنا على الأرض لا يعنيها فى شىء.

عندما أفاق هيرمان ظل لوقت طويل غير مدرك أين هو بالضبط. كان يشعر بوخز القش فى معصميه، وفى كاحليه، وفى قفاه. حاول أن يتحرك لكن جسمه كان متصلبا من شدة البرد. وجد نفسه أخيرا يقف بجوار كومة القش فى الفجر، وهو يذود القش عن سترته، ويتمطى فى حذر.

كان بالتأكيد قد راح فى سبات عميق. صحيح أن الظلام كان لا يزال يلف المكان ، إلا أنه من جهة الشرق ظهر بوضوح خيط رمادى فى السماء. كان هناك شىء ما مختلف عن المعتاد. استغرق الأمر وقتا طويلا حتى أدرك هيرمان ما هو هذا الشىء : لقد استيقظ على عكس كل صباح تقريبا مر به من قبل دون أن يشعر بالصداع.

لكنه فى مقابل ذلك كان جائعا ، وهذا ليس بالأمر المستغرب بعد مسيرته المهمة بالأمس.

ألقى هيرمان نظرة على الكوخ الصغير القائم على الناحية الأخرى الذى أخذ يتسلل من مدخنته المائلة دخان خفيف إلى السماء الملبدة بالغيوم. كان الكلب فى داخل الكوخ قد بدأ بالزمجرة. كان من الأفضل له بالتأكيد أن يبتعد سريعا عن المكان قبل أن يفتحوا باب الكوخ له. أخذ هيرمان يضم سترته حول جسمه أكثر وأكثر، ليعود أدراجه من الطريق الضيق الذى يمر بالكوخ الصغير وسط الحقول المغطاة بالجليد. سرعان ما ظهرت أمامه ثمة أكواخ ومزارع أخرى، وأشارت لوحة على جانب الطريق إلى أنه قد وصل إلى بلدة دردينجن.

وبينما هو واقف أمام مطعم صغير يبحث فى جيوبه ؛ عله يجد بعض الفينيجات المختبئة لشراء قضمة من خبز ، اقترب منه أحد الخفر وسأله عن وجهة قدومه ووجهة ذهابه؟ كان هيرمان فى بادئ الأمر يتهرب من الإجابة عن الأسئلة التى كان الخفير ذو الشعر الضارب شيبة يطرحها بشكل لا يخلو من ود، لكن عندما سأله الشرطى عن طاقية المدرسة الخضراء وكتبه الثلاثة التى كانت معه لم يجد هيرمان بدا من أن يقر بأنه تلميذ من تلاميذ مدرسة الدير فى ماول برون.

سأله الشرطى عما إذا كان فى طريقه إلى مدرسة الدير ، ولم يكن الشرطى قد وصله بعد بلاغ اختفاء هيرمان ، ولكنه شعر بخبرته الطويلة أنه يجب أن يتحفظ على هذا الفتى الذى ضل طريقه.

أجاب هيرمان: "نعم". وأكد أنه فى طريقه إلى ماول برون. أكد له الخفير أن هذا من محاسن الصدف، مضيفا أنه هو أيضا عليه الذهاب إلى ماول برون، وأن السيد تلميذ الدير ليس لديه بالطبع أى مانع من أن يصحبه فى هذا الطريق الطويل البعيد الذى سيصبح عندئذ أكثر تسلية.

سار هيرمان بجوار الشرطى دون أن ينبس ببنت شفة ، وكان يجيب عن أسئلته إجابات مقتضبة قصيرة. من حين لآخر كان يدعك صدغه الأيمن فقد عادت إليه مرة أخرى آلام الرأس. حدث ذلك فجأة بعدما تحدث إليه رجل الشرطة بوقت قصير.

بعد ذلك بثلاثة أيام أرسل البروفيسور باولوس خطابا من مدرسة الدير فى ماول برون إلى والد هيرمان: "بالأمس اجتمع مجلس المدرسين لبحث موضوع عقاب ولدكم هيرمان، ومن واجبى أن أحيطكم علما بالقرار الذى تم التوصل إليه: لقد اتفقنا جميعا فى الرأى على أن هروب ولدكم هيرمان لم يكن أمرا مدبرا أو مستهدفا، ولا يمكن اعتباره تعبيرا عن التمرد أو العناد، وأن حالة القلق والتوتر النفسى الكبيرة التى كانت تعترى هيرمان يمكن أن تكون سببا فى الرأفة به. ولذلك تم تحديد عقوبة الحبس لمدة ثمان ساعات يقضيها هيرمان من الساعة الثانية عشرة والنصف ليلا حتى الساعة الثامنة والنصف صباحا.

كما رأى المجلس بالإجماع أن حرمان هيرمان من المدرسة أمر غير مرغوب فيه لسببين: السبب الأول يتعلق بمصلحته الشخصية. فقد أسفر التحقيق الخاص بما اقترفته يداه عن أنه تنقصه بدرجة كبيرة القدرة على كبح جماح نفسه وعلى السيطرة على عقله وعواطفه، وهما أمران ضروريان بالنسبة لسنِّه ولتنشئته تنشئة ناجحة فى مدرسة الدير [...] أما من الناحية الأخرى فنحن نعتقد أن بقاء هيرمان فى المدرسة ربما سيشكل خطرا على زملائه. فهو مفعم بالأفكار والمشاعر الجامحة التى يميل إليها ميلا عظيما. وهو عندما يقص ذلك على زملائه ، فإما أنه لن يجد من يفهمه وسوف يشعر على أثر ذلك بالعزلة والإهمال حسب قوله هو نفسه وهو ما كان عليه من حال حتى لحظة هروبه ، وإما أنه سوف يجذب بعض زملائه إلى عالم أفكاره وعواطفه الشاذة والمريضة ، وهو الأمر الذى يُخشى من حدوثه بمرور الوقت" (٤) .

غير أن أزمة هيرمان لم تبدأ إلا الآن.

بلغت نوبات اكتئابه درجة من العنف دفعت والده أن يرسله إلى مصحة باد بول، وبعد محاولته الانتحار كان عليه أن ينتقل إلى مصحة أخرى، ولكنه تمكن من أن يحصل على الأقل على شهادة إتمام الإعدادية فى إحدى المدارس العليا ، وبدأ بعد ذلك دراسة مؤهلة للعمل بائعا للكتب، غير أنه لم يلبث أن قطعها بعد ثلاثة أشهر فقط. ولم ينجح هيرمان فى تجاوز أزمته نهائيا إلا بعد أن قرر فى صيف عام ١٨٩٤ أن ينهى صلته بالتعليم المدرسى بلا رجعة ، وأن يتدرب فى الورشة الميكانيكية التابعة لمصنع لساعات الأبراج فى مدينة كالف.

هيرمان هيسه Hermann Hesse

ولد فى ١٨٧٧/٧/٢ فى مدينة كالف (Calw)، وتوفى فى ١٩٦٢/٨/٩ فى مدينة مونتاجنولا Montagnola



ولد هيرمان هيسه فى الثانى من شهر يوليو عام ١٨٧٧ فى مدينة كالف الواقعة فى ولاية فورتمبرج. والده هو يوهانيس هيسه Johannes Hesse ، أحد رجال التبشير المسيحى العائدين من الهند وهو ألمانى من منطقة البلطيق، ووالدته هى ماريا Marie ابنة هيرمان جوندرت Hermann Gundert والذى كان أيضا من رجال التبشير فى الهند لسنوات عديدة ثم تولى رئاسة جمعية النشر المسيحية Christlicher Verlagsverein فى مدينة كالف.

وكانت الأسرة ذات شأن رفيع ، غير أنها لم يكن لديها من المال ما يكفى لتمويل دراسة ولدها. لذلك تحتم على الفتى هيرمان ذى الأربعة عشر ربيعا أن يجتاز امتحان الولاية الشفابى. وقد عانى الفتى فى أثناء دراسته فى معهد الدراسات اللاهوتية الإنجيلية فى الدير العظيم فى مدينة ماول برون Maulbronn معاناة شديدة من القسوة وبرودة المشاعر التى اتسمت بها هذه المدرسة التى كانت تعتمد على الحفظ والاستظهار. هرب هيرمان من المعهد ولكنه فشل بعد ذلك أيضا فى دراسته فى المدرسة الثانوية، كما لم ينجح فى إنهاء التدريب المؤهل للعمل بائع كتب. لم يجد هيرمان ذاته إلا بعد أن بدأ تدريبه ميكانيكيًّا فى مصنع لساعات الأبراج، ليتم بعد ذلك أيضا تدريبه بائع كتب، وشرع فى الكتابة إلى جانب وظيفته ، حيث بدأ بكتابة الشعر ثم كتب أيضا النثر.

اتضح للجميع منذ ذلك الوقت أن الابن صعب المراس لرجل التبشير المسيحى من مدينة كالف أبعد ما يكون عن الفشل. فقد حقق من أولى رواياته بيتر كامينتسيند

Peter Camenzind التى نشرت فى عام ١٩٠٤ وهو فى السابعة والعشرين من عمره ، نجاحا كبيرا مكنه من أن يعتمد على الكتابة مصدر دخل رئيسيًا له. تزوج هيرمان من ماريا بيرنولى Maria Bernoulli واستقر مقاما عند بحيرة بودنيزيه Bodensee فى جنوب ألمانيا.

اشترك هيرمان فى الكتابة فى مجلات مختلفة، كما كان ينظم القصائد. فى عام ١٩٠٦ ظهرت روايته الشبابية تحت الساقية Unterm Rad التى حظيت باهتمام واسع والتى عالج فيها هيرمان خبراته الشخصية فى مدرسة الدير بماول برون. فى عام ١٩١١ رحل هيرمان مع صديق له فى رحلة إلى الهند، وكان قد أصبح وقتها أبا لعدد من الأبناء.

برواياته الشهيرة مثل ذئب البرارى Der Steppenwolf، وسيدهارتا Siddhartha التى تحكى قصة حياة بوذا ، أصبح هيرمان هيسه على رأس الأدباء المهتمين بالحضارات المختلفة فى العالم أجمع فى القرن العشرين. تدور كثير من أعمال هيرمان هيسه حول الأزمات التى يتعرض لها الشباب فى مراحل تطورهم المختلفة.

فى أثناء الحرب العالمية الأولى انغمس هيرمان هيسه فى العمل من أجل ضحايا الحرب، حيث شارك فى العمل فى المؤسسة الألمانية لرعاية الأسْرَى فى برن Deutsche Gefangenensorge Bern . كما كان هيرمان الناشر لمجلة رسول الأحد للأسْرَى الألمان Sonntagsbote für die deutschen Kriegsgefangenen وشارك فى نشر مكتبة الأسْرَى الألمان Bücherei für deutsche Kriegsgefangene .

فى عام ١٩١٩ ترك زوجته وأبناءه الثلاثة ورحل إلى مدينة مونتاجنولا فى ولاية تيسين Tessin ، بعد هذا التاريخ بأربعة أعوام حصل هيرمان هيسه على الجنسية السويسرية. وقد أقام هيرمان هيسه أكثر من أربعين عاما فى مونتاجنولا. حقق هيرمان هيسه من الشهرة ما جعله يعلق لافتة على مدخل الفيلا التى يقطنها كُتب عليها: "ممنوع الزيارة". حصل هيرمان على العديد من الجوائز مثل جائزة جوتفريد كيلر Gottfried-Keller-Preis، وجائزة جوته فى فرانكفورت Der Frankfurter Goethe-Preis،

وجائزة السلام من اتحاد تجارة الكتب الألمانية Der Friedenspreis des Deutschen Buchhandels في عام ١٩٤٦، أى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعام فاز هيرمان هيسه بجائزة نوبل فى الآداب. يعد هيرمان هيسه من أكثر الكتاب الألمان الذين تقرأ أعمالهم اليوم. توفى هيرمان هيسه فى التاسع من شهر أغسطس فى عام ١٩٦٢ فى مدينة مونتاجنولا. ودفن فى جبانة القديس أبونديو فى سويسرا.

مقترحات للقراءة

من يريد التعرف على أعمال هيرمان هيسه فليبدأ بقراءة بعض قصائده، على سبيل المثال درجات Stufen ، وعجيب أن تتجول فى الضباب Seltsam, im Nebel zu wandern وللتعرف على هيرمان هيسه القصاص ، فإنه يفضل قراءة تحت الساقية، وديميان Demian ، ثم يمكن أن ينتقل القارئ إلى رواية ذئب البرارى. ومن كان مهتما بالبوذية فإننا ننصحه بقراءة سيدهارتا.

مزارات

فى ماول برون يمكنك أن تزور الدير الذى هرب منه هيرمان هيسه وهو فى الرابعة عشرة من عمره، حيث أقام فى المدرسة الداخلية التابعة له الشاعر هولدرلين Hölderlin أيضا. أما فى مدينة مونتاجنولا بالقرب من لوجانو Lugano فتجد هناك الفيلا التى كان يقطنها هيرمان. أما قبر هذا الأديب الكبير فهو موجود فى جبّانة القديس أبونديو فى سويسرا.

فرانس كافكا

بقلم هارالد توندِرن

الدمية

فى أحد المتنزهات فى حى شتجليتس البرلينى تقف طفلة صغيرة فى منتصف الطريق منهنهة . يقترب منها مُتنزِّهان فى عجلة من أمرهما. تناهز السيدة الشابة العشرين من عمرها أو الواحد والعشرين ، تجتهد لتتسق خطواتها مع الرجل الذى بجانبها. أرادت السيدة أن تمضى فى طريقها ولكن الرجل توقف وسأل الطفلة عن سبب دموعها . رفعت الطفلة أنفها. لقد فقدت دميتها . قالتها بنهنهة حائرة.

عادت دورا ديامانت – السيدة الشابة – خطوتين إلى الوراء. وسألت الطفلة فى لطف: "هل بحثت عنها فى كل مكان ؟ " وأشارت إلى الشجيرات والأشجار المحيطة بهم. أومأت الطفلة: "لقد ضاعت" قالتها بلا أمل.

"يمكن أن نبحث عنها ثانيةً معًا"، عرضت دورا ذلك حينما غلبها الظن أن مرافقها فرانس ك قد تخلى عن استعجاله . ترددت الطفلة .

فجأة قال الرجل: "أنا أعلم مكان الدمية".

قالها بلهجة جافة غريبة ، يبدو أنها أثارت فضول الطفلة الصغيرة . فمالت برأسها إلى الوراء ونظرت إليه . تحت القبعة الداكنة ظهر وجهه شاحبًا ذا أذنين كبيرتين منتصبتين. سألته الطفلة بشك: "أين إذًا ؟" فرد فرانس ك: " إنها تقوم برحلة الآن". فظهرت على وجه الطفلة علامات الارتياب وسألته: "كيف عرفت؟" ، فقال فرانس ك : "لقد أرسلت لى خطابًا " .

-"خطاب؟ أرنيه إذاً ! "

ابتسمت دورا فى سرور ولاح على وجهها ما يدور بخلدها : لقد وقع فى الفخ الذى نصبه لنفسه. ولكن فرانس ك وضع يده فى جيب المعطف ثم أخرجها هازاً رأسه ، وبحث فى الجيب الآخر :"لا". قالها كما لو أن الأمر قد خطر على باله للتو: "إنه ليس معى الآن ، لم أكن أعلم أننا سوف نقابلك هنا ، ولكنى أعرف أين هو ، إنه فى بيتى على مائدة المطبخ ".

أوشكت الطفلة أن تنسى ما همها فقالت "هل يمكنك أن تأتينى به ؟"

نظر فرانس ك إلى ساعة يده: "للأسف يتعذر علىّ ذلك الآن ". ثم قال واعداً: "إذا جئت إلى هنا غداً فى الميعاد نفسه تقريبا فسأحضر لك الخطاب".

فى طريق عودتهما إلى شارع هايد حيث يسكنان منذ عدة أسابيع مضت ، أخذ فرانس ك يسرع الخطى أكثر من ذى قبل. رجته دورا مرتين أو ثلاثًا أن يتمهل ولكنها كانت تعلم أن رجاءها سيذهب أدراج الرياح . أما فرانس ك فكان لا يكاد يسمعها . كان فكره متجهًا وجهة أخرى ، ربما إلى تلك الطفلة الصغيرة التى فقدت دميتها . على الأرجح كان يفكر فى كيفية شراء دمية أخرى للطفلة . بالطبع ليست أية دمية ، بل دمية فخمة أجمل من تلك التى ضاعت. أخذت دورا تحسب ما تبقى معهم من مال . أقل القليل. وماذا يرجى من التوفير ؟ فأسعار الخبز واللبن والزبد ترتفع يومًا بعد يوم، وليست هناك نهاية منظورة لتخفيض قيمة العملة. فالدولار الأمريكى الواحد يفوق قيمة أربعة بلايين مارك . وخطر على بال دورا أنها كانت تأمل أن تجد فى المتنزه بعض الأخشاب للمدفأة؛ فرعًا هشًا وقع فى أثناء الليل ولم يلحظه أحد . يحدث ذلك أحيانا . يجب على المرء فقط أن يجول ببصره باحثا بإصرار، ودون أن يفقد الأمل. والآن فقد أفسدت الطفلة ذات الدمية كل شيء، وإذا لم تحدث معجزة فسيتجمدان ثانية من قسوة البرد . ما أهون ذلك عليها هى ! فهى ترتدى بلوفرين أو ثلاثة ، فلا تكاد البرودة تسرى فى أوصالها ، لكنها تخاف على فرانس.

يجب ألا ينخدع المرء بمشيته السريعة ، وحكاياته عن أنه كان يسبح كثيراً فى براغ ، بل وامتلاكه قارباً خاصا يجدف به على صفحة نهر المولداو. فبينما يغادران

المتنزه مرت عربتان متعاقبتان تجرهما الجياد؛ أولاهما محملة بالبراميل ، و تنبعث من ثانيتهما رائحة دلاء فضلات الخيل النتنة . ورأت دورا كيف استدار فرانس ، ووضع يده على فمه ، وعلمت من اهتزاز كتفيه اهتزازا قويًا أنه استغل صلصلة العجلات على بلاط الشارع ليخفى عنها سعاله.

فى بيتهما فى شارع هايد جلس فرانس على الفور إلى مكتبه وبدأ العمل ، بينما اتجهت دورا إلى المطبخ وسخنت بعض الماء وأضافت إليه حبات الشاى ، وتركت الخليط لتخرج من الحبات عصارتها. عندما وضعت القدح المملوء بالسائل الذى يكاد يكتسب لونا أمام فرانس ، نظر إليها وابتسم شاكراً ، ثم عاد بفكره إلى النص الذى كان يكتبه . بدا متوترا على عادته حين يكتب ، فألحت عليه بصوت خفيض: "يجب أن تشربه ليبعث الدفء فى جسدك". فهز رأسه كالغائب عن دنيانا ، ووضع القدح على فمه ثم أعاده سريعا مكانه وتناول ريشته . جلست دورا على المقعد المجاور للنافذة محاولةً القراءة. كانت تعلم أن فرانس يغتبط لوجودها فى الغرفة حينما يكتب . بالتأكيد أوحى له لقاء الطفلة الصغيرة فى المتنزه بإحدى قصصه الغريبة ، كما ألهمته المناوشات مع صاحبة البيت السابقة التى هربا منها إلى هذا المسكن الجديد قصة "السيدة القصيرة" التى كتب فيها:

"هذه السيدة القصيرة تنفر منى. فدائما ما تأخذ علىّ المآخذ وكثيرا ما أصابها منى الجور ، فأنا أزعجها فى كل روحة وغدوة. فإذا عنّ لأحدهم أن يقسم الحياة إلى أصغر جزيئاتها وأن يحكم على كل جزَىْء فيها على حدة ، كان كل جزَىٍء فى حياتى مثيراً لغضبها . كثيراً ما تفكرت فى سبب غضبها علىّ ؛ أيكون كل ما فىّ يتعارض وإحساسها بالجمال والحق، بل عاداتها وتراثها وآمالها ؟ ما أكثر ما تتنافر الطبائع البشرية ولكن لماذا تعانى هى من ذلك ؟ فليس هناك علاقة ما بيننا حتى تعانى من وجودى . عليها فقط أن تحزم أمرها وتعتبرنى مجرد غريب ، فأنا بالفعل غريب عنها . ولن أقاوم بدورى مثل هذا القرار بل سوف أحتفى به أيما احتفاء . عليها فقط أن تتخذ قراراً بنسيان وجودى الذى لم ولن ألح عليها به، وبذا قد يذهب العنت بلا رجعة ". (١)

ولكنه اتضح أن فرانس ك لا يكتب قصة ، بل الخطاب الذى زعم أن الدمية قد بعثت به إليه والذى يمثل له أهمية العمل نفسه الذى يقوم به حين يكتب رواية . قال إنه كذب على الطفلة ، والآن يجب أن تجعل واقعية الخيال من تلك الكذبة حقيقة. فلا بد أن ينأى بالطفلة وبأى ثمن عن أى خيبة أمل. وفى اليوم التالى حمل الخطاب إلى الطفلة التى انتظرته فى المتنزه ، ولأن الطفلة الصغيرة لم يكن فى استطاعتها القراءة بعد ، فقد قرأ فرانس ك عليها الخطاب . بانبهار أخذت الطفلة تستمع كيف بررت الدمية اختفائها . لقد أصابها الضجر من العيش لدى أسرة واحدة؛ ولذا فقد قررت أن تفترق عن الطفلة الصغيرة لوهلة – رغم أنها تحبها كثيراً – لتقوم برحلة وقد وعدت الدمية الطفلة أن تكتب لها يوميًا. هزت دورا رأسها وابتسمت؛ لقد استشعرت ما سيكتب . أومأت الطفلة بجدية . إنها مقتنعة برغبة دميتها فى أن تتعرف على العالم الواسع ، ولكن: "إلى أى عنوان ستكتب لى ، إلى عنوان بيتى ؟" فرد فرانس ك: "لا ، أنت لا تستطيعين القراءة بعد ، ستبعث لى بالخطابات وسأقرؤها عليك هنا فى المتنزه كل يوم فى الميعاد نفسه ، موافقة ؟ "

و هكذا حدث أن جلست دورا فى هذا المساء ثانيةً على المقعد المجاور للنافذة . هذه المرة كانت تقرأ كتيبا جلدته بجلادٍ أزرق لكيلا يظهر غلافه ، ففرانس ك لا يحبذ أن تقرأ شيئا من كتاباته.

"شخبطة" كان هذا ما يطلقه على كتاباته مستهجنًا. كم كان يقسو على نفسه ليكتب حتى ليصيبه الإرهاق الشديد كلما قام عن مكتبه . يدور هذا الكتاب المرسوم على غلافه بابٌ مفتوحٌ يقف أمامه رجل يرتدى روبًا، يخفى رأسه بين يديه فزعًا، حول مندوب تجارى يقوم بأداء واجبه على أكمل وجه ، حتى يكتشف يومًا وهو فى سريره أنه تحول فى أثناء الليل إلى جعران . لقد قرأت دورا هذا الكتاب من قبل عدة مرات ، ولكنها لا تصدق أن يصدر هذا التحول الرهيب عن ذلك الرجل المتواضع الودود الجالس على مكتبه ينقح خطاب الدمية الثانى. فالكتابة كما اتضح لدورا خلال الأسابيع الماضية وأثار دهشتها ، ليس لها شأن عظيم لديه ، فلا تحتل أيًّا من الدرجات العُلا فى سلم قيمه .

ولم تفهم دورا حتى الآن لِمَ لم يمتهن الكتابة ؟ حتى لو أنه من العسير كسب المال من الكتابة ولكن بالتأكيد هناك طريق ما لو صح منه العزم . وبدلاً من ذلك فقد درس فرانس القانون . وهو أمر لا بأس به وحصل فيه على الدكتوراه . مثل ذلك اللقب سيفيد الكاتب بالتأكيد . سيثبت أنه إنسان جاد . بعد ما انتهى فرانس من تعليمه تقلد إحدى الوظائف، وظل لأربعة عشر عاما يتعامل مع الملفات فى شركه براغ للتامين على العمال ضد الحوادث فى إمبراطورية بوهمان الاقتصادية. وانصب عمله على الحيلولة دون وقوع الحوادث فى المحاجر وشركات الزجاج .

و قد عاش معظم هذا الزمن لدى والديه؛ كما استشفت دورا من حكاياته القليلة . فهما لا يعرف أحدهما الآخر منذ أمد بعيد . تعارفا منذ حوالى ثلاثة أرباع العام . فى معسكر صيفى فى مدينة ميكلنبورج . كانت دورا فى التاسعة عشرة حينما تقدمت لأحد البيوت الشعبية فى برلين للعمل متطوعة فى موريتس بالقرب من روستوك . ذات يوم رأت فرانس ك على الشاطئ . ليس وحده ، ولكن بصحبة سيدة وطفلين فوقعت فى غرامه للتو ، وشغفت به حبا كما غلبها الظن . وأكثر من ذلك فقد تتبعت العائلة سرا حتى المدينة . علمت فيما بعد أن الرجل الذى سحرها منذ أول لحظة هو د. فرانس كافكا الكاتب القادم من براغ . والسيدة ؟ شعرت بالارتياح حينما علمت أنها أخته . إن دورا حديثة العهد بألمانيا؛ فهى تنحدر من عائلة يهودية شرقية أورثوذوكسية . نزحت أولاً إلى بيروسلاو فى أثناء الحرب العالمية ، ثم إلى برلين . كانت ترى فى نفسها مخلوقًا غامضًا ، تملؤه الأحلام ، ذا قدره عالية على الحدس ، كما لو أنها قفزت من إحدى روايات ديستوفسكى. ولت أدبارها للشرق لاعتقادها أنها "ستجد النور فى الغرب". "عندما رأيت ك لأول مرة" تذكرت دورا لاحقًا "تطابقت قسماته مع صورة الإنسان فى خيالى ". وفى الصيف نفسه من عام ١٩٢٣ انتقل الاثنان معا إلى برلين . "أكثر ما يميز وجهه هو العينان الواسعتان؛ أحيانا شديدتا الاتساع فى كلامه وإنصاته ، وإنهما ليستا جاحظتين مفزعتين كما يدعى بعضهم عليه ، ولكن فيهما كثيراً من الدهشة . حين يتحدث تلمع عيناه البنيتان الخجولتان ." (٢)

أحالت شركة التامين على العمال ضد الحوادث فرانس ك عام ١٩٢٢ إلى المعاش ، بعد تكرار إقامته في المصحة وهو في التاسعة والثلاثين . كان يعاني من الدرن ويعلم أنه لا شفاء منه . وبذلك فقد انتهى من وسيله كسب العيش الكريهة تلك .

ولم يتسن له قط الانفصال عن بيت والديه . حاول ذلك عدة مرات . أعلن خطبته ثلاث مرات . مرتين للسيدة نفسها ولكنه حلها كلها . فباستثناء فترات انقطاع قصيرة سكن دائما بيت والديه .

يرجع أصل والده إلى قرية صغيرة في جنوب بوهمان. كافح ليرتقي من بيئته الفقيرة . بدأ بائعا متجولاً ، وانتهى به الأمر ، بعدما تزوج (يوليا) ابنة أحد الفلاحين الثرية – إلى محل خردوات مزدهر في قلب براغ. لم تتعرف دورا على الأب أبداً ، ولكن حسب الوصف تخيلته رجلاً قادرا على بلوغ غاياته، يميل إلى الغلظة . لم ينس قط أنه صعد من القاع معتمداً على قوته فقط . ويتوقع بداهة من ابنه الأكبر أن يسير على خطاه ، ويتولى أمور التجارة .

رنت دورا بنظرها إلى فرانس الذى لا يزال ينمق خطاب الدمية الثاني . كانت دورا على وشك أن تقهقه ضاحكةً . هذا الرجل الحيي فارع الطول الذى يكتب هناك منهمكًا ، كان من الممكن أن يصبح بائعا ماهرا للشماسي والرفائع. قليلاً ما اكترث بالنقود والميزات . فهو يعمل منذ عدة ساعات تملؤه الحماسة لغرض واحد: إسعاد طفلة . وهو بالنسبة له مكسب أكبر مما قد تدره عليه التجارة . فلا عجب أن يعاني من المتاعب مع أبيه الذى يهتم فقط بما يقيد في حساب الدائن والمدين في رصيد شركته .

"لكنه يجب أن يفخر بابنه " صاحت دورا ثائرة ذات مرة . "لقد نشرت بعض قصصك في الصحف وأكثر من هذا فإن لك كتبا مؤلفة . وكتاباتك رائعة " كان هذا إحساسها بالفعل . بدت كتاباته لها للوهلة الأولى غريبة جافة بشكل عجيب ، قليلة كلماتها . ولكنها اكتشفت فيما بعد أنها تستطيع أن تقرأ قصصه عدة مرات وفي كل مرة تزداد جمالاً، وإلحاحًا عليها لقراءتها.

– "يجب عليه أن يلحظ ذلك"

– فرد فرانس بابتسامة مجروحة وبصوت منخفض: "أخاله لم يقرأ أيا من أعمالى "

– "ألم تعطه كتبك؟"

– "بلى ، بالتأكيد فعلت ولكنه كان ينحِّيها جانبًا ، ولم يقل عنها كلمة واحدة أبدًا"

عندما وصلا فى اليوم التالى إلى المتنزه كانت الطفلة الصغيرة فى انتظارهما . أراها فرانس ك الخطاب الذى زعم أن الدمية بعثت به إليه. "اقرأه" رجته الطفلة الصغيرة نافدة الصبر ، "اقرأه" ولأنها لم تطلع على محتوى الخطاب ، أنصتت دورا متشوقة مثل الطفلة . لقد حدثت – كما علمت – تطورات عديدة فى هذه الأثناء فى حياة الدمية. فقد.نمت وكبرت ، وبالتالى فقد التحقت بالمدرسة وهى تتعلم باجتهاد . قطبت الطفلة جبينها مفكرةً بعمق : "لا يحق لى الالتحاق بالمدرسة بعد".

– "أنت طفلة من البشر" ، رد عليها فرانس ك دون تردد ، أنت تكبرين اليوم يوما واحدا ، وغدا يوما آخر ، أما حياة العرائس فهى أقصر كثيرا ، العرائس تكبر عدة سنين فى يوم واحد ، ولكنها لا تزال تحبك مثلما كانت تحبك من قبل". أومأت الطفلة نصف مقتنعة وقالت: "هل تأتينى بخطاب آخر منها غدا؟ "

–"بالتأكيد " وعدها فرانس ك .

فى اليوم التالى أوشكت الطفلة أن تنسى دميتها الحقيقية . أخذت تتقافز مسرعة قادمة نحو الشابين شغوفة بمعرفة ما عايشته الدمية المزعومة . واستمر الحال هكذا لثلاثة أسابيع؛ كل يوم كان فرانس ك يكتب خطابا مستفيضا بما استجد فى حياة الدمية . فحدثها عما تعلمته الدمية فى المدرسة ، وأنها قابلت أصدقاء ، ومرت بأحداث مثيرة ، واتجهت لاهتمامات عديدة منعتها – إلى حين – من العودة إلى الطفلة الصغيرة ، رغم أنها لا تزال تحبها من كل قلبها . شيئا فشيئا تراجعت اللعبة المفقودة بالنسبة للصغيرة إلى خلفية الأحداث. انتاب فرانس خوف فظيع من الكيفية التى ينهى بها القصة؛ بحيث تجد الطفلة السلوى عما فقدته وفى الوقت نفسه تتقبل اختفاء الدمية .

فقرر أن يُعرف الدمية على زوج مثلها ، ووصف كيف وقعت الدمية فى حب هذا الشاب، ولقد أعلنا خطبتهما، واحتفلا بزفافهما ، وانتقلا للعيش فى بيت للدمى خاص بهما ، وكتبت الدمية فى خطابها الأخير : "بالتأكيد ستتفهمين أننا يجب أن نتخلى عن فكرة اللقاء فى المستقبل" . أومأت الطفلة وقالت جادة "إن لها الآن عائلتها التى عليها أن ترعاها ولا تستطيع أن تنصرف عنها " .

فرانس كافكا Franz Kafka

ولد فى ٣/٧/١٨٨٣ فى براغ، وتوفى فى ٣/٦/١٩٢٤بالقرب من ڤيينا



ولد فرانس كافكا فى الثالث من شهر يوليو عام ١٨٨٣ ابنا للتاجر هيرمان كافكا Herman Kafka وزوجته يوليا Julia فى براغ . له شقيقان أصغر منه توفيا عقب ولادتهما بشهور قليلة ، وثلاث شقيقات قتلن فى أعوام ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ فى معسكرات الاعتقال الألمانية . التحق كافكا بمدرسة البنين الألمانية وهى مدرسة ثانوية حكومية للعلوم الإنسانية ، وبدأ منذ أن كان تلميذًا فى الكتابة ، ولكن أعماله المبكرة تلك أعدمت . درس فى الجامعة الألمانية فى براغ مبتدأً بالكيمياء ولمدة أسبوعين فقط ثم القانون ، وكان بالإضافة إلى ذلك يستمع إلى محاضرات تاريخ الفن. فى عام ١٩٠٢ تعرف على ماكس برود Max Brod الذى أصبح فيما بعد صديقه الذى يأخذ بيده دائمًا. فى عام ١٩٠٣ اجتاز كافكا امتحان الدولة فى تاريخ القانون ، ثم مرض ودخل مصحة طبيعية بالقرب من دريسدن.

فى عام ١٩٠٦ بدأ التدريب فى مكتب محامٍ . حصل على الدكتوراه وعمل فى محكمة الدرجة الثانية ، ثم لدى المحكمة الجنائية فى قسم المحاماة. فى العام التالى التحق بالعمل فى شركة التأمين العامة Assicurazioni Generali فى براغ. ومنذ يوليو عام ١٩٠٨ مارس المهمة نفسها فى شركة "التامين على العمال ضد الحوادث" لإمبراطورية بوهمان الاقتصادية فى براغ ، وظل أربعة عشر عاما يمارس كارهًا العمل محامى تأمين.

لم يفلح فرانس كافكا فى الانفصال عن بيت والديه. أعلن خطبته ثلاث مرات وفسخ الخطبة فى كل مرة بعد فترة قصيرة .كان ينتمى فى براغ إلى الأقلية المتحدثة

بالألمانية وهو ما أثر على لغة قصصه فهى مختزلة بشكل غريب وفقيرة الكلمات ، وهو ما يجعل لها سحراً مميزاً لدى القارئ.

فى عام ١٩٠٨ ينشر كافكا أول أعماله وهو فى الخامسة والعشرين. تظهر له ثمانية أعمال نثرية فى مجلة هيربون Hyperion يتضمنها كذلك أول ما نشر من كتبه: رؤى Betrachtungen عام ١٩١٢ .

تتناول أعمال كافكا – باختصار شديد – قضايا غربة الإنسان فى زمنه ، جبره ، قلة حيلتــه وضياعــه . كان كافكا يطلــق علــى كتاباتــه هــو شخصيا "شخبطة" ويعتقد أن معظمها ليس جديرا بالنشر. عانى فرانس كافكا عام ١٩١٧ من نزيف كان بداية لمرض السل . أخذ المرض ينهك قواه إنهاكا شديدا مما يضطره عام ١٩٢٢ – وهــو فى التاسعة والثلاثين من العمــر – وبعــدمــا رقى إلى وظيــفة السكرتير العام – أن يطلب إحالته إلى المعاش من شركة التامين على العمال. وفى العام التالى يسافر إلى موريتس فى ميكلينبــورج Müritz in Mecklenburg وهنــاك يتعــرف على دورا ديامنت Dora Diamant التى تناهــز العشرين وينتقــل معهــا إلى برلين. يعـود فرانس كافكا فى مارس من عام ١٩٢٤ إلى براغ وقد أصابه فى هذه الأثناء الوهن، فيدخل المصحة وترافقه فيها دورا ديامنت.

كلف فرانس كافكا صديقه ماكس برود بالتخلص من كل أعماله التى تركها. وهو ما تجاهله بورد حينما توفى فرانس كافكا ، متأثراً بمرض السل وهو فى الأربعين من العمر؛ وبالتحديد فى ٣ يونيو عام ١٩٢٤ ومن ثم فقد أنقذ روايات مثل القضية Der Prozess والقصر Das Schloss وأعمالاً أخرى من الإعدام.

يعد كافكا أحد أهم كتاب القرن العشرين. لرواياته وقصصه لغة خاصة جدا ، شديدة التحديد وموضوعات غير معتادة ، ولذا فقد كان من الصعب أن تجد لها مكاناً لدى القارئ فى البداية. ولم تجد قراءها وقارئاتها إلا بعد وفاة كافكا بزمن طويل. واليوم تطبع روايات القضية، والقصر، وأعماله الأخرى بالملايين فى كل أنحاء العالم.

مقترحات للقراءة

للتعرف على أعمال كافكا يمكن قراءة قصته الشهيرة التحول **Die Verwandlung** أولاً ثم أمام القانون **Vor dem Gesetz** وفي مستعمرات العقاب **In der Strafkolonie** ومن يبغى الاستزادة عليه قراءة أشهر روايات كافكا (القضية). يمكن كذلك التعرف على فرانس كافكا وعالمه بشكل أكبر بالرجوع لمجموعة (عندما قابلنى فرانس كافكا - ذكريات عن كافكا — **Als Kafka mir entgegenkam.., Erinerrungen an Franz Kafka** والتى تولى نشرها هانز جيرد كوخ **Hans-Gerd Koch** فى دار نشر كلاوس فاجينباخ **Klaus Wagenbach** فى برلين عام ١٩٩٥ .

مزارات

الرحلة إلى مدينة براغ متعة كبيرة ، إذا اقتفى المرء فيها أثر فرانس كافكا. فى المدينة القديمة يسهل الاستدلال على أماكن سكن كافكا وعمله المختلفة. يتحتم كذلك زيارة الحارة الذهبية **Das Goldgässchen** على الهرادشين **Hradschin** فى جبل القلعة **Burgberg** أما قبره فى مدافن شتراس نيتسشر **Strasschnitzer** المغطاة بأشجار اللبلاب فهو قبلة محبى كافكا. هناك كذلك العديد من الرسائل الموجهة إلى كافكا. وللاستعداد الجيد للرحلة إلى براغ وآثار كافكا فيها يمكن قراءة كتاب كلاوس فاجينباخ فرانس كافكا - صور من حياته – **Franz Kafka, Bilder aus seinem Leben** قبل بدء الرحلة.

جيورج هايْم

بقلم فريدريك هِتمانّ

كان يحلم بالموت والفناء

أنا، رودولف بالكه، حاليا مجند فى فرقة الحراسات فى بوتسدام، أدلى فى المحضر بما يلى:

شهادتى المكتوبة ليست مخصصة لتقديمها للشرطة التى انتهت من تحقيقاتها حول قضية هايْم بالكه فى لحظة كتاباتى لهذا. ولم أقم بكتابة هذا التقرير سوى لاعتقاد راسخ منى أن العالم من بعدى سيهتم فى يوم ما بـ جيورج هايْم، وخاصة كما هو مأمول بقصائده، والتى أراها - خلافا لما يدعيه والدى وأقاربى من أنها تجرح الذوق العام - عبقرية ... وانعكاسا صادقا ومعبرا للزمن الذى يعيشه شبابنا.

ويخيل إلىَّ أن هناك علاقة لا تخطئها العين بين موت جيورج وأشعاره أعتزم عرضها هنا. ولا أريد أن أشير ولو بطرف خفى إلى أن الحادث الذى قضى فيه نحبه كان انتحارا، بل يخيل إلىَّ أن فى قصائده - التى تعبر فى جلها عن موت عصر، عن زوال مجتمع - ارتباطا ما بمملكة الموت، وأنه فى آخر الأمر قد دفع به دفعا من جراء ما توحى به هذه الكتابات إلى ذلك المكان الذى لم يكن يراه إلا شكلا آخر من أشكال الوجود. والحق يقال فإن هذا كله ليس إلا تكهنات، فالرجال ذوو الياقات المنشاة وروافع الشوارب(*) كان جل ما يسرون له يتمثل فى اقتناء خوذات الفرسان المدرعين ورماح

(*) عبارة عن رباط كان يستعمل فى الماضى لرفع الشوارب عاليا. (المترجم)

الفرسان المرمحين وسيوف الخيالة من زمن حرب السبعين عاما ضد فرنسا، ورثوها من الوالد أو العم، والـذين كـان جل طموحهم الحصول على لقب "أمين السر الملكى" أو الفوز بوسام النسر الأسود لبروسيا من يد جلالته. لا شك أن مثل هؤلاء يعجزون عن تقبل مثل ما أطرحه من تأملات. فأداؤهم العقلى انصب على كيفية فرض الرايخ الألمانى لسيادته على العالم، أو على كيفية تحقيق أقصى ربح ممكن، أو على يلزم من إستراتيجيات للخطوة التالية فى عملهم.

لكنهم لو كانوا عُنوا – ولو لمرة واحدة – بالعالم التصويرى لشعر هايم، فلربما رأوا حكم الإعدام المعلق على وجودهم أنفسهم رأى العين، ولربما أيضا رأوا تلك الحرب الزاحفة عليهم زحفا بطيئا لا مَردَّ لها والتى لا تنذر هذه المرة بأنها ستكون نزهة.

رجانى والدىّ ووالدى هايم أن ألقى مرثية فى جنازة أخى وجنازة جيورج.

غير أننى لم أستطع الوفاء بهذا الرجاء، لأننى لست ممن يبحثون عن الفضائح، وإن كان هـذا لا يعنى أنه لا يثور بداخلى أحيانا تصورات فاضحة، أو قل إن هذا ما يتصوره كثيرون من الجيل القديم على أنها كذلك. ومع ذلك فإن السطور التالية قد تُعد من قبيل المرثيات التى لم ألقها على الملأ، بل فى غرفة صغيرة هادئة، أمام نفسى فقط.

فى يوم السادس عشر من يناير من عام ١٩١٢ عدت فى حدود الساعة الخامسة بعد العصر من بوتسدام إلى شقة والدىّ. كان الظلام فى الخارج بدأ يرخى سدوله. كان موعدى مع أرنست وجيورج فى الخامسة. حكى لى والدى أن الاثنين قد خرجا للتزلج على الجليد، ولكنهما كانا يعتزمان العودة قبل وصولى. وعندما دقت الساعة السادسة ولم يأتيا بعد، ذهبت إلى والدى جيورج فى شقتهما واللذان – خلافا عنى أنا الذى شعرت بإحساس غريب بعدم الارتياح – لم يبد عليهما أىٌّ من آيات القلق، بل صرحا لى أننى أعرف أن جيورج لا يعتد كثيرا بالانضباط داخل المنزل وبأنه عادة ما يتأخر. فور سماعى ذلك عدت ثانية إلى شقة والدىّ، غير أن الاثنين لم يكونا قد رجعا بعد. حل الآن الدور على أمى أيضا أن يظهر عليها الانزعاج وقالت لى: "آه، دائما ما أشعر بالقلق عندما يخرج أرنست مع هذا المسمى بـ هايم".

سألتها: "أى قلق تعنين؟"

"فـ هايم هذا لا نستبعد فيه قدرته على إقناع ولدنا إرنست أن ينكشح معه"

"ينكشح معه إلى أين؟!" سألتها متعجبا من مثل هذه التخيلات.

"إلى فيلق الأجانب، إلى أفريقيا، إلى أمريكا". أجابت والدتى.

"ولكن ماذا يدعوهم إلى الانكشاح؟"

"أنت تعرف تماما مثلى أن هذا المسمى بـ هايم ليس إلا كيانا من الفشل. ومثله ينتهى به الأمر إلى الحضيض". أجابتنى والدتى.

وبالرغم من أنه من غير المألوف أن يتسلح الإنسان بأحذية للتزلج فقط لا غير عند الهروب إلى الخارج، فقد كان لى – فيما يخص تقييم شخصية جيورج – رأى مختلف تمام الاختلاف عن والدتى، غير أننى لم أعارضها فى رأيها. وبشكل ما فإننى عندما كنت أحاول أن أضع نفسى فى عالم التصورات الخاص بها كنت أعطيها الحق، كل ما هناك أننى كنت سأعبر عن ذلك الرأى بشكل آخر، لكننى كنت أريد تجنب الشجار بينى وبينها.

دخلت إلى غرفتى، وجلست إلى المكتب، وأخرجت كتابا لأقرأه، وأخذت أنتظر، ومازال بداخلى أمل ما فى أن يعود الاثنان فى أى لحظة. غير أننى لم أستطع استيعاب معنى أى شىء مما كنت أقرأ. وبدلا من ذلك أخذت أفكر كيف يمكن أن أصف شخصية جيورج. لأبدأ أولا بمظهره: نصف بلطجى أو عضو فى عصابة، ونصف ملاك. هكذا قيل عنه ذات مرة. رعونة شابة ارتسمت على قسمات وجهه، خفف من حدتها وداعة كئيبة فى عينيه.

وحسب ما أرى فإنه كان ممن نستغرب مظهرهم لأنهم لا يلائمون عالمهم المحيط. وفى واقع الأمر كان جيورج يشعر طوال حياته بأنه كان دائما ما يُنفر منه فى كل مكان. بدأ هذا بالفعل فى المدرسة الثانوية. كان يعانى من المدرسة، وفى الوقت ذاته من تضخم قيمة ذاته المراهقة. وعندما لم يُنقل إلى الصف قبل النهائى للمرحلة الثانوية كان عليه أن يترك مدرسة يؤاخيم تالِر الثانوية فى برلين. وفى خانة السلوك كُتب الآتى: "استلزم توجيه اللوم له عدة مرات بسبب خروجه على نظام المدرسة". كان تعليقه

فيما بعد على ذلك كالآتى: "أظن أن هذه المدرسة هى المأساة لأى عبقرية. يا ترى ماذا كنت سأفعل لو قُدّر لى أن أختار مدرسىّ بنفسى كما يحلو لى"(١). بعدها أرسله والداه إلى مدرسة خاصة فى نوىّ روبِن. وقد شاركه أخى المصير نفسه؛ كل ما هنالك أنه نُفى إلى المعهد الزالدارنى فى براندن بورج.

وكما أظن فإن طرد الاثنين قد أسهم فى آخر الأمر فى أن يصبح إرنست وجيورج صديقين حميمين.

أما بالنسبة لـ جيورج فقد انتهت دراسته فى هذه المؤسسة التعليمية بفضيحة. فبعد اجتيازه امتحان الثانوية لم يرحل جيورج من فوره عائدا إلى البيت، بل قام مع اثنين آخرين من تلاميذ الصف الثانوى الأخير وقبل الأخير بوضع الكاب المدرسى الخاص به على رأس تمثال جيرمانيا(*) فى نوىّ روبِن، فمكان من المدرسة إلا أن أبلغت الشرطة واحتجزت جيورج فى المدرسة ولم تسمح له بالعودة إلى المنزل إلا عندما قامت الشرطة – والتى فيما يبدو لم ترَ فى هذا الحادث مأساة حقيقية – بوقف التحقيقات. تلا ذلك دراسة الحقوق البغيضة فى فورتس بورج والدخول فى جماعة السلاح الطلابية. فى إجازة الفصل الدراسى قمنا بالتجوال فى الجبال الشاهقة(**)، عندما اشتكى جيورج من أن زملاءه فى جماعة السلاح يثيرون اشمئزازه. نعم تحدث عن الاشمئزاز، دون أن يبين لنا ما هو.

لكم لاحظت عليه توترا باديا بين استعراض العضلات والرقة! فمثلا جلسنا سويا فى أثناء ذلك التجوال على الحشائش وفجأة بدأ فى التحدث عن أكثر المتع الحسية التى يستشعرها عندما يمد يديه فى طبق ممتلئ بالبازلاء أو البلى الزجاجى، أو هذه الرحلة التى قمنا بها إلى غابة جرونه فالد فى برلين عندما أتت علينا سفينة بخارية صغيرة ممتلئة عن آخرها وقام جيورج فجأة بخلع سترته وحذائه وقفز إلى الماء، حيث قام

(*) تمثال على شكل سيدة محاربة من آلهات الفولكيرات، وكان التمثال آنذاك رمزا للرايخ الألمانى. (المترجم) .

(**) هى أعلى سلسلة جبلية من جبال السويد. (المترجم)

بالسباحة حول السفينة فى تهور ليقوم فجأة وسط صياح الاستحسان من الركاب بإطلاق أعيرة نارية فى الهواء من مسدس دوّار قديم.

وفى دراسته للحقوق كثيرا ما وقع فى المشاكل، ولم يحصل على الدكتوراه إلا فى المحاولة الثانية. بعدها ألح إلى أنه يريد الرحيل عن ألمانيا، إلى أبعد مكان ممكن، وهو ما جعله وقتها يدرس اللغتين العربية والصينية.

كما استلفت انتباهى ما قاله من أشياء أخرى، سيل سباب من العيار الثقيل. كان يكتب فى ذلك الوقت مسرحية وانطلق راعدا: "كان من المفروض أن أكون قد انتهيت من مسرحيتى منذ وقت طويل. لكننى بدلا من ذلك لا بد أن أحشو نفسى حشوا مثل الخنزير العتيق فى المعلف بروث دراسات القانون الذى لا طائل منه. يا له من قرف. الأفضل عندى أن أبصق على علف الخنازير هذا بدلا من إدخاله فى فمى. بداخلى رغبة عارمة فى الإبداع. آه، يا له من عفن. مواد قانونية عفنة، عفنة، عفنة. آه لو كان عندى المال لكنت بدأت فى شىء آخر تماما من وقت طويل"(٢).

هو استعراض للعضلات بلا شك. إنه تقليد لمواقف جوته الشاب من زمن العاصفة والاجتياح (Sturm und Drang). لنتذكر فقط العبارة المشهورة من مسرحية "جوتس فون بيرلشنجن"(*). ولكنه كان أيضا بلا شك تعبيرا عن طاقة مختزنة بداخله. ولم يكتب لهذه الطاقة أن تُفَرّغ إلا فى قصائده، حيث وجدت هذه الطاقة طريقها لأن تتحول لشكل آخر ولأن تُروّض. فلا أثر لـ "علف الخنازير" هناك، بل لرؤى، لنظرات عميقة فى الهوة السحيقة لزماننا.

قبيل السادسة نظرت إلى ساعتى بمزيد من القلق. دخل والدى الغرفة وقال: "لا بد أن نفعل شيئا ما. هل ترى أن نبلغ الشرطة؟"

قلت له وأنا أنهض: "دعك من هذا، سأذهب للبحث عنهما".

(*) هى مسرحية لشاعر ألمانيا الأعظم جوته، وقد كتبها فى ثورة شبابه. أما المقصود هنا فهى عبارة "نعم، بوسعك أن تلعقنى فى مقعدتى"! (المترجم)

غير أنني لم يكن لدى تخيل أين أبدأ بحثى. فى بادئ الأمر ذهبت إلى صديق مشترك اسمه هانس توماس وتشاورت معه فى الأمر. كان يعرف على أية حال أن جيورج وأخى كانا قد اتفقا على أن يتقابلا هذا الصباح فى حدود الساعة التاسعة عند محطة مترو شارلوتوبورج ليذهبا إلى بحيرة بشيل زييه. فيما يبدو كانا ينتويان أن يقضيا اليوم كله بالخارج، لأنه من بين ما قالاه كان طلب أرنست من طباختنا إعداد شرائح خبز بالزبد.

ذهبنا توماس وأنا بالمترو حتى محطة بيشيل دورف. كان الرجل الذى يُجهز القطارات منذ الصباح قد انتهت ورديته إلا أننا استطعنا أن نلحق به. قال لنا: نعم، كان هناك شابان يحملان أحذية للتزلج فوق كتفيهما، حيث نزلا هنا قبل الظهيرة وأنه سمع شيئا عن "لند فيردير" عندما مرا بجانبه.

ذكّرنى توماس أننا غير مرة كنا نذهب سويا إلى مطعم ما فى جزيرة لند فيردير وأننا حرى بنا أن نستقصى الأمر هناك. كانت ليلة باردة، حالكة الظلام. كان علينا أن نذهب بقارب لنصل إلى الجزيرة. لم يكن المعداوى فى بادئ الأمر على استعداد لأن يعبر بنا للضفة الأخرى بسبب كتل الجليد الهائمة، ولكن بعد أن نقدناه بعض المال غير رأيه.

كان المطعم فى جزيرة لند فيردير مغلقا. طرقنا الباب وبعد فترة ظهر صاحبه، مجددا تطلب الأمر بعضا من البقشيش لتعمل ذاكرته بكامل طاقتها. حينئذ قال لنا مؤكدا بنعم إن كلا الشابين قد حل بالمطعم ما بين الثانية عشرة ظهرا والواحدة بعد الظهر وإنهما قد طلبا مشروب الجروج ليبعث بالدفء فى جسديهما وإنها قد ذهبا للتزلج مرة أخرى فى حدود الثانية بعد الظهر.

لم نستطع الحصول على مزيد من المعلومات فى تلك الليلة.

مرت علىَّ ليلة ساهدة. ومن غريب الأمر أن فكرى تمحور أساسا حول جيورج وليس بشكل كبير حول أرنست، أخى، كما لو كان جيورج أقرب إلى نفسى ...

تداعت إلى خاطرى بشكل مستمر سطور من قصائد جيورج. سمعت صوته ينطلق بأبيات من القصيدة التى حملت عنوان الحرب:

نهض من بعد ساعات نوم عميقة
نهض من أسفل أقبية سحيقة
فى الفجر يقف، كبيرا، مجهول الاسم
والقمرَ يسحقه فى يدٍ سوداء الرسم(٣)

بعد ذلك المقطع:

شرفات الليل فى المدن الكبار
تشخص حول أطرافها من بعيد كحرائق صفراء
ومن بواباتها ترى الموت بمشعل من نار
يهش الموتى إلى الظلمة الظلماء(٤)

فجأة اتضح لى أى مساحة كبيرة يحتلها ما يعرضه جيورج فى قصائده من سقوط، من زوال، من انهيار، من موت، وخطر على بالى لحظتها أن هذا المنحدر الذى وصفه ربما كان قد التهمه هو نفسه.

اعترانى الخوف عليه وعلى أرنست.

ولكى أهدئ من روعى نهضت وشربت كوبا من الماء. ولكننى ما كدت أستلقى فى السرير مجددا حتى دهمنى صوت جيورج مجددا. وفى هذه المرة سمعته يقول:

من سيطرحنا بعد الموت على الحقول
ومن سيغلق بوابة السر الرهيب؟

ماذا يرى الأموات حتى يقلبوا خائفين

بياض أعينهم الكفيف؟(٥)

لم يكن فى هذا كله شيء غريب على الإطلاق، كما ربما يُخيل إلى أحد من غير العارفين به، حيث إننى كثيرا ما سمعت جيورج يقرأ قصائده أمامى. ومع ذلك لا بد أن أقول إننى كنت سعيدا عندما ظهرت أولى تباشير الصباح.

كنت قد اتفقت مع توماس على أن نذهب فى هذا الصباح مرة أخرى إلى نهر الهافِل.

مجددا كان المطعم نقطة الانطلاق فى بحثنا. غير أننا بعد ذلك عرفنا من أحد خفراء الغابات الذين قابلناهم أن بعض عمال الغابات على الناحية الشرقية من نهر الهافِل كانوا يقطعون الأشجار على أطراف غابة جرونه فالد. حكى لنا أنهم لاحظوا شيئا غريبا فى اليوم السابق. فى آخر الأمر رافقنا إلى هذه المجموعة من العمال الذين أخبرونا أنهم لاحظوا بالأمس أسفل بحيرة لندن فيردير ما بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر وجود اثنين من المتزلجين انكسر فيما يبدو تحتهما الجليد، حيث علا صوت أحدهما بصيحات استغاثة مدوية لما يقرب من نصف الساعة، بل إنهم استطاعوا رؤيته فى الجليد، غير أن عدم توافر سلالم أو عصى أو قوارب جعلهم فى وضع لا يسمح لهم بالمساعدة. أضف إلى ذلك إن الفتحات التى فتحت فى الطبقة الجليدية للنهر من أجل الصيادين والطيور البحرية والتى كانت تتجمد ليلا من جديد جعلت الجليد غير مهيأ للسير عليه. وبالتأكيد أن كلا المتزلجين قد سقط فى أحد هذه الثقوب، ولم يكن هناك أحد غيرهم بالمقربة فى ذلك الوقت. وبعد نصف ساعة – حسب بقية رواية الرجال – ساد الصمت المنطقة الجليدية فى الخارج.

بعد هذا التقرير لم يعد هناك أى مجال للشك فى أن جيورج وأرنست قد غرقا هناك.

عدنا ثانية إلى المدينة واتخذنا طريقنا أولا إلى والدىّ ثم إلى والدى جيورج لنبلغهم الخبر الحزين. أما والد جيورج الذى كان قانونيا ووكيل نيابة فقد تحدث فيما يخص سلوك عمال الغابة عن "التقصير فى تقديم المساعدة".

قلت له معارضا: "إذا أردت رأيى فإنه يبدو أن الناس فعلا لم تكن عندهم القدرة على مساعدة الاثنين".

لكن السيد هايْم أصر على أن أحد الاثنين قد أخذ فى الصياح لمدة نصف ساعة ولا شك أنه كان هناك ما يكفى من الوقت لأن يحاولوا على الأقل المساعدة.

وما إن انتهى من قوله هذا حتى سُمع جرس الباب لتدخل بعدها مباشرة خادمة عائلة هايْم لتعلن أن بالخارج امرأة شابة تركت بطاقة التعارف الخاصة بها وترجو السماح لها بالدخول.

رمى السيد هايْم نظرة على الطبق الفضى الصغير الذى قدمته إياه الخادمة لتصدر عنه حركة من يده كما لو كان هناك ذبابة وجب هشها ليقول بعدها فى حدة: "اصرفيها". غير أن قسمات وجه الخادمة أوحت بما ينم عن أنها لا ترى فى نفسها القدرة على فعل ذلك. تدخلت حينئذ أم جيورج سائلة: "يا ترى من هى؟" أجاب السيد هايْم: "ما هى إلا هذه الساقطة". عادت الخادمة فى الحديث مجددا فى تردد خائف: "إنها تريد الحديث مع سيدى الصغير" "قولى لها إنه لم يعد هناك سيد صغير". ازدادت ملامح الاضطراب على وجه الخادمة. "اسمحا لى أن أتولى الأمر"، قلتها موجها ناظرىّ إلى السيد هايْم والسيدة هايْم لأغادر الغرفة وتوماس فى إثرى.

هناك بالخارج أمام باب المدخل وقفت فتاة بدت لى على قدر عال من الجمال. جمال فى كامل الصحة مستديرة القوام ممشوقة. وفى أثناء تفحصى لها شغلنى خاطر أن جيورج فيما عدا تلك الحالة كان دائما قليل الحظ مع النساء. لذا لم أستطع تخيل أن الأمر سيختلف مع هذه الفتاة الواقفة هنا اختلافا كبيرا.

رمقتنى المرأة الشابة بنظرة متشككة وقالت: "هلا أخبرت جيورج من فضلك أسفى".

سألتها ماسحا شفتىّ بيدى فى عصبية: "من فضلك، أسفك على ماذا؟"

"ما حدث من وقت قريب. كنت أريد أن أعتذر أيضا لوالديه".

سألتها: "ماذا حدث بالضبط؟"

قالت لى: "حسنا، أظنك من العائلة".

"أنا صديق لجيورج".

"أتعرف، كان حقا أمرا لا يليق أبدا. كنا فى غرفته. كان الباب مغلقا. سمعنا طرقا على الباب. كان والده. كان يريد الدخول بأى شكل من الأشكال". توقفت لفترة عن الكلام.

سألتها: "حسنا، ثم ماذا ...؟"

"كان من المستحيل أن نفتح الباب".

"ولم لا؟"

ارتسم على وجهها شىء من ابتسامة خبيثة. "لم أكن مرتدية أى شىء وجيورج كذلك لم يكن عليه من ملابس سوى وشاح أحمر حول فخذيه".

"وشاح أحمر حول فخذيه ...؟" كررت الجملة مذهولا.

"تماما"، قالتها بفرحة لا تخطئها العين.

"وماذا حدث بعد ذلك؟"

"استدعى والد جيورج المشرف على المنزل وأمره بكسر الباب".

"هل كنتما لا تزالان ... بلا أى ملابس عليكما؟"

قالت لى بما يشبه الهمس: "أى نعم، بل إن جيورج كان قد خلع فى أثناء ذلك الوشاح الأحمر أيضا، لأننى وجدته يبدو به سخيفا تماما".

"مفهوم"، قلتها مترددا، وبعدها أخذت فى الكذب. خرجت الجملة من شفتى طبيعية تماما من أن جيورج على سفر ومن أنه لن يعود قبل ثلاثة أيام ومن ادعائى بأننى سأبلغه بكل سرور أنها كانت هنا.

أومأت برأسها وقالت فى أدب: "سيكون هذا لطفا كبيرا منك. إلى اللقاء يا سيدى!"

رماني توماس الذي ظل واقفا في الردهة بنظرة لم يكن ليفهم منها سوى أنني جبان لم يخلق مثله في البلاد. وكان معه حق.

بعدها كنت حاضرا عندما رأى الصيادون جثة جيورج طافية وانتشلوها. كان ذلك في يوم العشرين من شهر يناير في حدود الساعة الثانية بعد الظهر على ما يقرب من مسافة ثلاثمائة متر من الساحل الشرقي لنهر الهافل، بالمقربة من خط مسار السفن. لا بد أنها كانت عالقة بين النباتات المائية في قاع المياه.

ومرة أخرى جال بخاطري بعض من قصائد جيورج. تذكرت الأبيات التي تطفو فيها جثة على الماء في ضوء خافت بجوار إحدى السفن البخارية. تُرى الجثة في الأبيات وقد قورنت بإحدى السفن، وطاقمها من جرذان البحر. في آخر الأمر تصل الجثة إلى البحر حيث يحييها إله البحر قائلا:

تطفو على صفحة البحر. يلقى عليها نبتون السلام

من حطام سفينة أخذ البحر في التهامها

تغرق فيه إلى خَضار قاعها

لترتاح في ذراع أخطبوطات عظيمة الأجسام(٦) .

أو الأبيات من قصيدة "الضالون [٣] "

وجثة تسكن في أعماق قرار اليم

تقفز في حنو جموع ثعابين البحر من حولها

سمكة، أزلية القِدم، تدخل من أذنها

لتخرج ثانية من فتحة الفم(٧)

ولا تقل لى إن ملمحا من ملامح الشاعر الحقيقى يتمثل فى أن تجد فى عمله تنظيرا للمستقبل. لكنْ هناك مع ذلك فرق بين الشعر والواقع. كان وجه الغريق يبدو كما كان وجه جيورج النائم يبدو أحيانا . أوضح لى الصيادون أن سبب ذلك هو أن جيورج رقد فى قرار النهر تحت الأعشاب البحرية، حيث لا يتجمد البحر وحيث لا تزيد حرارة المياه عن درجة الصفر المئوى إلا قليلا.

أما من ناحية أخى فقد كان علينا الانتظار حتى السادس من فبراير إلى أن أفرج النهر عن القتيل.

ومن المؤكد أن جيورج نفسه فى محاولته مساعدة إرنست قد غرق، نعم، غرق!

ولتمام شهادتى فقد بحثت عن الفتاة التى قابلتها عند سلم شقة عائلة هايم ورويت لها كل ما عرفته. كان اسمها إلزا، وكانت امرأة شجاعة. عندما وصلت إلى نهاية تقريرى قالت لى فى عناد لا تخطئه العين: "أشكرك على أنك رويت لى كل شىء بمنتهى الدقة. أنا أعنى أيضا ما يخص الماضى منه، عن إقامته فى المدرسة الداخلية، عن مقالب الأولاد الساذجة بخصوص كاب المدرسة ... وعن تجواله فى الجبال الشاهقة. لا شك فى هذا: كان لا بد أن يحدث له هذا. فحتى عندما كنا نعانق بعضنا، كان يحلم بالموت والفناء".

جيورج هايْم Georg Heym

ولد فى ١٨٨٧/١٠/٣٠ فى هِرش بيرج Hirschberg بولاية سيليزيا Schlesien، وتوفى فى ١٩١٢/١/٦ فى برلين



ولد جيورج هايم فى الثلاثين من شهر أكتوبر من عام ١٨٨٧ فى هِرش بيرج، وكان الابن الأكبر لوكيل النيابة هيرمان هايم Hermann Heym وكان اسم والدته بِنِّى Jenny. فى عام ١٩٠٠ بعد نقل الوالد إلى المحكمة العسكرية للرايخ فى برلين التحق بالسنة الرابعة للمرحلة الثانوية لمدرسة يوئاخيمس تالر الملكية Köngliches Joa-chimsthaler Gymnasium ذائعة الصيت فى برلين–ڤيلمرس دورف Berlin-Wilmersdorf أما الأخوان إرنست Ernst ورودولف بالكه Rudolf Balcke اللذان سيصبحان أقرب صديقين إلى قلبه فقد تعرف عليهما فى عام ١٩٠٤ فى قسم الشباب لنادى التنس "بلاو–فايس" Blau-Weiβ .

بعد فشله فى الانتقال إلى السنة النهائية للمرحلة الثانوية فى عام ١٩٠٥ أُرسل جيورج هايم إلى مدرسة تقوية خاصة فى نيوروبين Neuruppin. فى عام ١٩٠٦ ظهرت له قصيدتان فى المجلة المدرسية Kreiβende Sonne (الشمس المتمخضة) فى برَندِن بورج Brandenburg. فى العام التالى أدى جيورج امتحان الثانوية فى مدرسة نيوروبين ليبدأ دراسة القانون فى مدينة ڤورتس برِج Würzburg. هناك أصبح جيورج عضوا فى جماعة السلاح الطلابية ريناניا Corps Rhenania ليقوم بأول مبارزاته فى أكتوبر من عام ١٩٠٧ . فى ڤورتس برِج نشر جيورج الفصل الأول من مسرحية غزوة صقلية Der Feldzug nach Sizilien. فى أثناء إجازة الفصل الدراسى قام جيورج بالاشتراك مع أرنست ورودولف بالكه برحلة إلى الجبال الشاهقة، اكتسبت أهمية لما أوحت له به من أفكار. فى نوفمبر من العام نفسه ترك جيورج جماعة السلاح رينانيا وتوجه إلى برلين ليستكمل هناك ما تبقى له من دراسة القانون مع رودولف بالكه.

فى برلين التقى هايم الناقد والأديب ذائع التأثير ماكسِميليان هاردِن Maximilian Harden. زار جيورج فى برلين كثيرا من المقاهى الأدبية كما قرأ فى الملهى الأدبى نيو باتيتشه كابريه Neopathetisches Cabaret بعضا من قصائده على رواده، وكان أن قام جيورج بأول مراسلاته مع الناشر إرنست روفولت Ernst Rowohlt، وبتحضير أول مجموعة شعرية له حملت عنوان اليوم الأبدى Der ewige Tag. فى عام ١٩١١ اجتاز هايم امتحان الدولة الأول(*) فى القانون ليُحَوَّلَ بعدها للتدريب فى المحكمة الابتدائية "برلين- ليشترفيلدا Berlin-Lichterfelde التى ما لبث أن فُصل منها بعد أسابيع قليلة لأنه قام بإعدام ملف من ملفات الأراضى. لم يُطق جيورج البقاء فى غرفة خاصة به فى برلين- ڤيلمرس دورف إلا لوقت قصير ليعود بعدها بقليل إلى السكنى من جديد مع والديه.

فى هذا الوقت ظهرت له مجموعته الشعرية "اليوم الأبدى". وقد رفضت جامعة فورتس بِرج رسالته التى تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه، وإن كانت أمهلته فترة لتنقيح الرسالة. غير أن جيورج كان قد اتخذ قراره بالتخلى تماما عن فكرة عمله قانونيًا وبالتحول إلى مجال عمل آخر. وقد سعى جيورج - هادفا بذلك التوجه إلى الشرق - للالتحاق بالدراسة فى قسم اللغات الشرقية فى برلين.

فى أكتوبر من عام ١٩١١ حاول والده أن يلحقه العمل ضابط صف مؤهل للترقى إلى مرتبة الضباط فى الفرقة ٧٢ مدفعية ميدانية فى مارِيَن ڤيردر Marienwerder، غير أن الطلب رُفض فى شهر نوفمبر. فى أوائل عام ١٩١٢ ارتحل جيورج إلى مدينتى ميتس Metz ونانسى Nancy ليتقدم بطلب للالتحاق بفرقة المشاة الإلزاسية فى ميتس. فى السادس عشر من يناير من عام ١٩١٢ لقى جيورج حتفه غرقا هو وصديقه أرنست بالكه فى أثناء التزلج على الجليد على نهر الهافل Havel فى برلين.

(*) ما يماثل فترة الامتياز فى بعض المهن. (المترجم)

مقترحات للقراءة

يُنصح أولا الابتداء بقصائده التى تجدون بعضا منها بلا شك فى كل مقتطف من مقتطفات الشعر التعبيرى. أما يومياته، وأحلامه، وخطاباته فقد جُمعت مطبوعة فى الجزء الثالث من أعمال جيورج هايم الكاملة، أشعار وكتابات فى ستة أجزاء **Georg Heym-Gesamtausgabe, Dichtungen und Schriften in sechs Bänden**.

مزارات

فى برلين أقام هايم فى عدة أماكن من بينها شارلتون بورج **Charlottenburg**، تحديدا فى شارع نويه كانط شتراسه، رقم ١٢ **Neue Kantstraße 12**، وفى شارع شيشترن شتراسه رقم ١٤ **Spichernstraße 14** وفى كونجس ڤيج رقم ٣ **Königsweg 3**. أما جثمان جيورج هايم فهو مسجى فى جبانة عشيرة لوئيزين **Luisengemeinde** فى برلين.

كـورت تـوخـولسـكـى

بقلم فريدريك هِتمانّ

هموم ألمانية

غطت طبقه من الجليد الأرض، عندما دق جونتر فى اليوم الثانى لأعياد الميلاد من عام ١٩٣٥ جرس الباب فى هيندس كما هو متفق عليه. اقترح على الأستاذ – كما كان يسمى كورت توخولسكى بينه و بين نفسه – هذا الميعاد، لأنه لا يجب عليه فى هذا اليوم العمل فى المشتل. كان جونتر متلهفًا على هذا اللقاء الثانى مع الأستاذ؛ فقد تم اللقاء الأول منذ أسبوعين فى مقهى فى مارين فيلد .

ينحدر جونتر شتيرنبرج من عائلة يهودية فى ڤيسبادن . بناء على نصيحة والديه غادر ألمانيا فى ربيع ١٩٣٥ بعدما صعد أدولف هتلر إلى السلطة قبل ذلك بعام، وبطريقة شرعية عن طريق الانتخاب .

زعم والد جونتر أن النازيين لن يمسوه بسوء، و هو الجندى الذى تقلد وسام الصليب الحديدى من الدرجة الأولى فى الحرب العالمية الأولى، و لكنه نصح أولاده أن يغادروا البلاد . فأوت إنجه – شقيقة جونتر – إلى أقارب لهم فى إنجلترا حيث تعمل مدرسة فى رياض الأطفال . أما جونتر – الابن – فقد بعث به الأب إلى أصدقاء من نحلته فى السويد، فأكرموا وفادته و أتاحوا له الفرصة للعمل مساعد عامل فى مشتل. أراد جونتر أن يواصل رحلته إلى الولايات المتحدة و لكنه كان ينتظر الأوراق اللازمة لذلك.

لم تكن حياته فى السويد سيئة – بغض النظر عن أنه كثيراً ما غلبه الحنين إلى الوطن، و تساءل عما قد يحدث لوالديه فى ألمانيا. و بمرور الوقت تحول أصحاب العمل

إلى معجبين بهتلر، و لكن ذلك لم يكن له تأثير على الطريقة التى يعاملونه بها، و لكنه كان عليه فقط أن يمسك لسانه .

كان جونتر فى ألمانيا قارئا معجبا بكتب و مقالات كورت توخولسكى . اكتشف أشعار الأستاذ لأول مرة فى جريدة المسرح العالمى التى اشترك فيها والده . و فى أثناء فترة التدريب على مهنة البستانى فى إيرفورت، جلب كل كتب توخولسكى التى استطاع اقتناءها(*) . وعند مغادرته السريعة تركهم وراءه فى ڤسبادن . و هو أمر لا بأس به كما كان يحاول إيهام نفسه؛ لأنه سوف يعود إلى ألمانيا حينما يحل عنهم رعب العفريت المدعو هتلر، هذا من ناحية،ومن ناحية أخرى فهو يحفظ معظم القصائد و أكثر من ذلك قصصا كاملة عن ظهر قلب . أما ما جعل منه عدوا لدودا لا يحيد عن عدائه للنازيين، فهو أنهم أحرقوا علانية كتابات توخولسكى مع كتابات توماس و هاينريش مان وسيجموند فرويد و كتاب آخرين كثر. و هو ما حدث فى ربيع ١٩٣٣ . لم تشغل السياسة بال جونتر قط . كل ما كان يهمه هو النباتات، ولذا فقد عقد العزم على أن يصبح بستانيّا، و لكنه كان يعى كلمات هاينريش هاينى – كاتب آخر مفضل لديه : "حينما تحرق الكتب ، يحرق فى النهاية البشر أيضاً" .

سمع والده يقول إنه ليس هناك ما يدعو لذلك التخوف . فقد لا يتذوق هتلر والنازيون الفن أو الثقافة و لكنهم لن يجرءوا على إعادة عجلة التاريخ إلى العصور الوسطى أو محاكم التفتيش . فألمانيا أمة متحضرة على كل حال . ولكن بائع الكتب بيلتسر الذى كان الأب يتجاذب معه أطراف الحديث عن خبر حريق الكتب، أجابه قائلاً : "لا تنس ما قاله هاينى قبل هذه الجملة"

سأل الأب "ماذا إذًا ؟"

أجاب بيلتسر بصوت مكتوم: يقول هاينى: "هذه مجرد مقدمة ..."

خطر على بال جونتر بعض الأبيات لتوخولسكى ولكنه رددها عندئذٍ فى صمت :

(*) للعمل بستانيًا أو أى مهنة أخرى يجب أن يدرس المرء فى مدرسة مخصصة لذلك تسمى "المدرسة المهنية" تربط بين الدراسة النظرية و التدريب فى مواقع العمل. (المترجمة)

جوتس فون بير ليشينجن و كاميرون الجنرال

(هو نفسه لم يقل فى واترلو عند القتال

كما فى قصيدة الأبطال

تموت الكتيبة ولا تستسلم عند النزال

"اقتل" ذاك ما كان ببساطة قد قال)[1]

أما سر إعجاب جونتر بتوخولسكى، فهو أنه لا يوقر أى شىء أو أى إنسان، ويستطيع أن يسخر من كل شىء حتى من ذاته . و فى المقام الأول، أنه ضد الحرب وضد معارك الجنود التى كانت تثير الحماسة فى نفوس زملائه فى المدرسة. شد ما كانوا يأسفون لتحديد عدد جيش ألمانيا بمائة ألف جندى فقط ! قالوا إن ذلك سوف يتغير تحت قيادة هتلر .

كان عليهم يوما ما أن يحفظوا إحدى قصائد الشعر باعتبارها واجبا مدرسيًا، وقد ترك لهم حرية اختيارها، فاختار قصيدة "صلاة بعد المعارك"،و قد يرجع هذا الاختيار لمجرد أنه كان يحفظها، وعندما وصل فى أثناء التسميع إلى قول الشاعر :-

"لستة أشهر يصرخ أحدهم فى المستشفى العسكرى

قضت عليه عندئذٍ البقول الجافة و طبيبان ضابطان

كف بصر أحدهم و أدمن الأفيون سرا

ثلاثة منا ليس لهم إلا ذراع واحد

لماذا؟"[2]

اضطر للتوقف، لأن الفصل كله أخذ فى الصياح ضده، و قال المدرس إن مثل هذه الأبيات تتنافى و شرف الوطن.

حسن ، فى هذا المقام يستطيع أن يردد مع توخولسكى : "آه ، أيها الجمهور المحترم هلا أخبرتنى : هل أنت فعلاً بهذا الغباء؟"(٣) . و لكن اتضح له ألا فائدة ترجى، كما كان لزاماً علـى توخـولسكى أن يعى ألا فائدة . و لكنه و رغم كل ذلك كان دائما ما يحاول إعلان التمرد و العصيان، و ذلك سبب آخر للإعجاب به . و الآن فقد اصطحب جونتر أستاذه بشكل أو بآخر معه إلى السويد . فما أكثر اللحظات التى أعانته فيها قصائد توخولسكى وقصصه الطريفة على التغلب على شعور الحنين إلى الوطن مثل هذه الأبيات :-

إذا ذهبت القنافذ فى ساعة المساء إلى فئرانهم بهدوء

تعلقت أنا أيضًا بفمك هائمًا

حدث هذا من حولى

آنا لويزا(٤).

استطاع جونتر بعد جهد جهيد، أن يستعير من مهاجر ألمانى آخر نسخة من رواية "قصر جيربسهولم". يا إله السماوات ! ما أعظم شعار تيودور فونتانا الذى وقع عليه اختيار توخولسكى:

نستطيع أيضا أن نظل فى الأبواق نافخين

و أن نجوس خلال الأرض متصارعين

ولكن ما أجمل أن نغدو فى أيام مايو سائرين

بين ازدهار النباتات و تخبط الطيور متهادين

على حافة الجدول صامتين مفكرين(٥)

لابد أن تتوارد مثل هذه الأفكار على الخاطر باديء ذي بدء، ففيها تتمثل كل عبرة التاريخ . أو عبارات مثل :-

قالت الأميرة : "كيف تجد المكان هنا يا بيتر؟". لقد اتفقنا ضمن ما اتفقنا على بيتر و يعلم الله السبب.

"المكان المحيط بنا ، كان يوما من أيام يونيو المشرقة هواؤه لطيف عليل، و هذه الطبيعة النقية المتناسقة التي كانت تنتظر الصيف لتقول له : "إني قاحلة" .

قلت : "نعم ..." . "المكان ..." يمكنك بالفعل أن تقدمي لي شيئا له قيمة لديك، لقاء ما بذلت من مال"

فقالت : "هذه الطبيعة مثلها مثل فن الشعر المتجمد، ثم إنها تذكرني بمنطقة فيومي، و لكن الفرق أن النباتات هناك كانت أكثر كاثوليكية، أو شيء مثل ذاك " .

فقلت: "ليست ڤيينا موطني"

فردت: "حمداً لله"[٦].

نقل جونتر الكتاب كله، و ألف النغمة الموسيقية لبعض أبياته مثل :

" أحيانا أفكر فيك، و هو ما لا يسهل عليّ هضمه "[٧] .

و في يوم من أيام الإجازات سافر قاصدا ماري فريد، لكي يرى مكان الأحداث رأى العين. و في هذا اليوم بالذات كان قصر جيربسهولم مغلقا، فلاذ بأحد المقاهي وهناك – ظن أن في الأمر لبسا ما – كان توخولسكي جالسا على مائدة صغيرة مع قدح من القهوة . جلس إليه جونتر و بدا له الأستاذ متجهمًا نافرًا . مختلفا تماما على أية حال عما تخيله من خلال قصائده. طلب جونتر زجاجة من المياة المعدنية؛ لأن هذا هو أرخص مشروب. وأخذ يفكر كيف يلفت نظر الأستاذ إليه . و أخيرا تمتم قائلاً : "تمت إثارة حماستكم ، تم تدريبكم ......"[٨] .

فلم يغير الأستاذ من تعبيرات وجهه . خطرت على باله قصيدة أخرى، أقل فى مغزاها السياسى فردد جونتر أول مقطعين منها :-

ستكون النهاية أسعد النهايات
كما يحتم فى الأفلام الاعتياد
على شفتيها سوف نرى و نشاهد
البطل يغرس شاربه الثابت
فبالجنتلمان قد فازت
حسن، ماذا إذاً ؟

بكل حبور إلى السرير يذهبان
حسن هذا ما يسعد به هما الاثنان
ولكنا نتساءل فى بعض الأحيان
إذا لم يقبلا بعضهما فماذا يفعلان ؟
أهما طوال الوقت نائمان؟
حسن، ماذا إذاً(٩)؟

ظهرت على وجه الأستاذ ابتسامة خفيفة،و لكنه لم يقل شيئا أيضا . أظهر وجه البولدوج المهموم . آسف ولكن هذا ما بدا على وجهه فى حقيقة الأمر .

و فى النهاية خطر على بال جونتر شىء آخر، فتمتم بصوت خفيض و لكنه مفهوم لمن يجلس أمامه :

"أبرق توًا متسائلاً، هل تريدون شراء بحيرة (الملار) هنا بغرض الرى؟ مع ضمانة للماء؛ صالح للسباحة . نكاد نبعث لكم مزيد الاحترام..،

فريتس و كارل الصغير، مفتشا الرى"

هنالك حدث شيء ما ، فتح الأستاذ فمه و بابتسامة مصطنعة خاطفة قال : صحتها "لغرض السباحة" و ليس " للسباحة. لا تؤاخذني. قالها جونتر و أضاف : "لقد قلت شيئا أخيرا ، خلتك أصبت بالخرس"

- أنا كذلك

- إذا أردت ... فأنا أحفظ الكثير من أعمالك

- حسن، ولكن كيف لى أن أعرف أن حضرتك لست عميلاً مستفزا ؟

- أطلعك على تصريح إقامتى

- لا يكفى

- طلب هجرة إلى الولايات المتحدة

- قد يكون مزورا

- اللعنة .

تدافعت الكلمات من فمه: أتشك فيَّ ؟ ألا تعلم أن قصائدك تساعدنى على الصمود؟

- كلمات حضرتك لها وقع جميل، ولكنها ليست حقيقية بالضرورة

- ماذا تريد إذًا غير ذلك ؟

- الأمان . أنا أعيش هنا بصفة شخصية تماما ، فماذا تريد منى ؟

لقد خاطبه فجأة بصيغة "أنت" و ليس "حضرتك" . كانت هذه علامة طيبة لجونتر

- أريد أن أعرف ، أين يمكننى قراءة شيء جديد بقلمك ؟

- لا يوجد شيء جديد

– هذا لا يمكن

– بلى .... الصمت فضيلة ، لم يعد لى إلا الصمت

– أتعلم أنى أُجلك بسبب كل ما كتبت ؟! إنك تخيِّب أملى

رفع الأستاذ ذراعه و أتى بحركة من يده يصعب فهم مغزاها.

– الإجلال خطأ دائم

– و لكن افهمنى ...... أبياتك هى عزائى و سلواى منذ غادرت ألمانيا

– "بروتستانتى ؟

– لا ، يهودى

– آه ، حسن هذا أيضا ليس ضمانا لأى شىء، فبين اليهود هناك أيضا كلاب وخنازير . أظن أن علينا أن نتحدث معًا، و لكن ليس هنا حيث يمكن للكثيرين سماعنا

ثم ذكر له توخولسكى عنوانه و سأله : "متى ستأتى إذاً ؟" أوضح له جونتر أنه لن يتمكن من ذلك قبل اليوم الثانى لإجازات عيد الميلاد.

"جميل ، فلتغنِّ ببعض أغانى أعياد الميلاد الألمانية" . كانت هذه إجابة الأستاذ . حاول جونتر أن يتخيل وقع نص أغنية عيد الميلاد لعام ١٩٣٥ التى يؤلفها توخولسكى .

والآن وقف أمام هذا البيت يتملكهِ شعور بالإثارة يحسه فى بطنه و باطن ساقه، وقد قام الجرس بمهمته على أكمل وجه، فقد دق فى الداخل خلف الباب بشكل مسموع .

فتحت الباب سيدة و قالت "طلباتك ؟"

– نهارك سعيد، أنا اسمى جونتر شتيرنبرج و لدى موعد مع السيد توخولسكى

تغير وجهها تغيرا غريبا . كان فى صوتها شىء جاهدت للسيطرة عليه ثم قالت : "أنا جيترود ماير ، تفضل بالدخول يا سيد شتيرنبرج! " .

قادته إلى غرفة المعيشة التى لم يلفت نظر جونتر بها أى شىء غير عادى . فهناك كُرسيًّا فوتيه بجانب مائدة منخفضة و أريكة جلدية مستهلكة . و قالت "تفضل بالجلوس". لبرهة جلسا محملقين بعضهما فى بعض . ثم سألها جونتر "هل أخبرتِ السيد توخولسكى بوجودى ؟"

رأى كيف برقت الدموع فى عينيها و غطت وجهها بكمها، فسألها بخوف:

– ما الأمر ؟

– لقد مات توخولسكى

فأفلتت من لسانه الكلمات :

"لا ... لا يمكن أن يكون ذلك حقيقيا "

فردت: "بلى .... إنه كما أخبرتك".

انطلق جونتر قائلاً :

– ولكننا لانزال فى حاجة إليه

– ليت أحدهم قد أخبره بذلك من قبل

طاف بخلد جونتر أنه قد قال له ذلك سابقا . احتاجت السيدة بعد ذلك لفترة سكون حتى تستطيع أن تتكلم ثانيةً متماسكةً ثم بادرته قائلةً : "حدث هذا قبل أعياد الميلاد ... جئت إلى هنا حوالى الساعة الثالثة عصرا، و لم يكن قد استيقظ بعد، فاستغربت الأمر، و تنصتُّ على باب حجرة النوم، فسمعت حشرجة بالداخل . و لم يرد على قرع الباب، ثم رأيت ورقة أمام الباب، أخذتها و قرأتها : – "اتركونى أموت فى هدوء"[١٠] . فجئت بمن يكسر الباب، و نقلوه بالسيارة إلى جوتيبورج إلى مستشفى سالجرش . هناك مات بعد ذلك بيومين".

بعد لحظة طويلة مليئة باليأس سألها جونتر "و لكن لماذا ؟ "

رفعت السيدة كتفيها و قالت : "تضافرت عدة عوامل فيما يبدو"

"ماذا تضافر معًا ؟" سألها جونتر "أريد أن أعرف بدقة"

"بدقة"، قالتها السيدة و هزت كتفيها ثانية، ثم أضافت "لقد كان مريضا منذ زمن ... دائما ... تجويف الرأس ... عدة عمليات هنا وفى سويسرا ... إنها الـهمومَ الألمانية كما تعلم!، نعم كان هذا فى الأغلب و على وجه الخصوص السبب فى تقديرى. لم ير أى إمكانية للكفاح ضد هتلر. قال لى كثيرا: "أسوأ ما فى الأمر أنها كانت إرادة أغلبية الألمان، فما يمكننا أن نفعل حيال ذلك ؟ قد يعلم الآخرون و لكننى لا أعلم" .

– ولكن كانت له أفكار عظيمة!

– أجل، و كان يمكن أن نضحك على قصصه و قصائده بصفاء قلب

– اللعنة ! قالها جونتر بمرارة "ثم ينتحر! لماذا إذًا ؟"

– كل منا يصل ذات مرة إلى نهاية قواه"

لفتت السيدة نظره إلى ذلك ثم قالت : "هذا تفسير، و لكنه مجرد تفسير واحد . هناك أكثر من تفسير، أيها هو الصحيح ؟ أغلب الظن أن هذا ما لا نعلمه، فكيف لك أن تعرف ما يدور بخلد إنسان حينما يتخذ مثل هذا القرار، ثم ينفذه؟" .

جلسا لفترة طويلة متقابلين صامتين. رأى جونتر من خلال النافذة أن الثلج بدأ يتساقط ثانية . أثارت رقصة ندف الثلج سخريته، تملكته رغبة فى أن يكسر زجاج النافذة، و يصرخ بملء فيه، و لكنه وقف قائلاً: "آه ، أريد أن أنصرف الآن".

كـورت تـوخـولـسـكـى Kurt Tucholsky

ولد فى ٩/١/١٨٩٠ فى برلين، و توفى فى ٢١/١٢/١٩٣٥ فى جوتيبورج فى السويد



ولد كورت توخولسكى فى التاسع من شهر يناير عام ١٨٩٠ فى برلين . يعمل والده مديراً لإحدى الشركات التجارية . يذهب توخولسكى إلى المدرسة فى شتيتن Stettin وبرلين و يدرس بعد الثانوية العامة القانون، وينهى دراسته عام ١٩١٤ بدرجة الدكتوراه فى القانون .

يلتحق كورت توخولسكى فى العام التالى بالجيش، وبداية من عام ١٩١٧ يلتحق بوحدة فى مدرسة الطيران فى كورلاند، و يحرر من هناك جريدة عسكرية . قرب نهاية الحرب يصبح مفتش شرطة عسكرية فى رومانيا . يشارك بعد الحرب العالمية الأولى فى تحرير أولك– Ulk ؛ الملحق الأسبوعى الساخر لجريدة برلين اليومية Berliner Tagesblatt، و قد كان يكتب قبل ذلك و منذ عام ١٩١٣ فى جريدة مسرح الأحداث Schaubühne. فى أثناء فترة التضخم يعمل توخولسكي سكرتيراً خاصاً لوزير المالية الأسبق هوجو سيمون Hugo Simon بشكل مؤقت فى مقر البنك الخاص به فى برلين، ثم بعد ذلك مراسلاً لجريدة المسرح العالمى Weltbühne وجريدة فوس Vossische Zeitung فى باريس . ثم يتولى إدارة جريدة المسرح العالمى Weltbühne مع سيجفريد ياكبسون Siegfried Jacobsohn، ثم بعد وفاته مع كارل فون أوسيتكسى Carl von Ossietzky الذى يحصل بعد ذلك على جائزة نوبل للسلام، ويقع ضحية الإرهاب النازى. بداية من عام ١٩٢٩ يعيش كورت توخولسكى فى السويد وفى عام ١٩٣٣ يحرم من الجنسية الألمانية، وتمنع كتبه منعا باتا من قبل النازيين .

بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٣٢ يكتب كورت توخولسكى حوالى ٢٥٠٠ مقاله نقدية واسكتشات ساخرة و مناظرات وأشعارًا وطقاطيق للنشر فى مجلات عديدة يستخدم فيها أربعة أسماء مستعارة : إيجناس ڤروبل Iganz Wrobel الساخر والناقد لعصره ، بيتر بانتر Peter Panther مراقب المسرح والأدب وفوق ذلك كاتب رحلات، وتيو بالد تيجر Theobald Tiger شاعر عدوانى ساخر، ثم كاسبر هاوزر Kasper Hauser القادم متأخرًا إلى عالم عاجز عن أن يفهمه .

تتوج أعمال كورت توخولسكى الناقدة لعصرها قصتا حب مرحتين. فى عام ١٩١٢ تظهر رواية راينسبرج Rheinsberg كتاب مصور للعشاق . وفى عام ١٩٣١ رواية قصر جريبسهولم Schloβ Gripsholm التى يعاد طبعها عدة مرات.

فى عام ١٩٣٥ يضع كورت توخولسكى نهاية لحياته يأسًا، و خصوصًا بسبب الأحداث فى ألمانيا النازية، ويموت فى الحادى والعشرين من ديسمبر عام ١٩٣٥ فى مستشفى فى جوتيبورج Göteborg . ويدفن الوعاء الذى فيه رماد المتوفى فى مكان يحدده بنفسه؛ تحت شجرة بلوط فى مدفن مارى فريد - جريبسهولم Mariefred-Gripsholm.

مقترحات للقراءة

ينبغى البدء بقراءة بعض القصص على سبيل المثال " المكان فى الجنة " Der Platz im Paradiese أو " قفص القرود " Affenkäfig أو " البرغوث " Der Floh ثم يمكن قراءة قصص الرحلات و الحب " قصر جريبسهلم " و " راينسبرج ، كتاب مصور للعشاق " .

وينصح كذلك بقراءة " عندما يكون القنفذ فى ساعات المساء " Wenn die Igel in der Abedstunde مجموعة قصائد و طقاطيق تضحك القارئ وتبكيه فى آن واحد .

مزارات

تمثل المدن الكبرى باريس وبرلين عالم توخولسكى فى العشرينيات .وتتوجب زيارة قصر رايسنرج Rheinsberg فى ميكلنورج Mecklenburg . أما من يحط الرحال فى السويد بالقرب من جوتيورج فلا تفوته زيارة قصر جريبسهولم Gripsholm وبالطبع أيضاً قبر الأديب فى مدافن مارى فريد Mariefred .

برتولت برشت

بقلم فريدريك هِتمانّ

حلم أوجسبورج

شـابٌ فـى بداية العـشرينيـات من العـمـر ، طالب يدرس الطب و علوم المسرح ، أويجن ب ، اعتـاد منذ فتـرة الكتـابة فى الجرائد موقـعًا باسم برتولت ب ، ينـام فى ليلة عـيـد القـيـامـة من عـام ١٩١٩ فى الحـجـرة العلوية(*) فى بيت والديه و يحلم بمدينة أوجسـبـورج ... و بمـروج الليش التى أخـذ يتقافز فيـهـا فى يوم خريفى،اشـتـدت فيه الريح مع فتاة تدعى باولا بانهولتسر و يطلق عليها هو (بى) .

بدا كما لو أنهما يصطادان الفراشات، وفجأة حاول أن يقبلها،ففزعت حتى إنـها جرت فارة واختفت عنه لعدة أيام . تذكر أن روزا الـتـى وقع فى حبها قـبـل بى – وإن ظل يكن لها بعض الحب حتى الآن– كانت تظن أن الأطفال تأتى من القُبل. قد تـخشى بى ذلك أيضـا، رغم أن والدها طـبـيب، و قـد غلب الناس الظن أن رجـلاً له هذه المهنة يوضح لأولاده حقائق الأمور.

عندمـا يفكر أويجن فى السـيد الدكتـور بانهولسـتر ينتـابه غضبٌ عارم و يـصـبح ظالما. طالما تمنى أن يجثم بعل – الشخصية التى فى مسرحيته التى يكتبـها الآن – على صدر الدكتور بانهولستر ! كم تمنى للدكتور بـانهولتسر أن يفض بعل بكارة ابنته

(*) من المعتـاد فى المنازل الأوروبيـة أن يكون السقف على شكل مثلث لكيلا يتجمع عليه المطر وتبنى تحته غرف صغيرة يطلق عليها (الغرف التى تحت السقف) وهى المقصودة هنا بالحجرة العلوية. (المترجمة)

وليس هو أويجن ! ولن يبالي – دائمًا في الحلم فقط – إذا ذبح بعل الدكتور بانهولستر و قذف بالجثة مربوطة بحجرين في إحدى القنوات .

في الحلم تتداخل الأشياء والألوان زمانًا و مكانًا؛ جريمة قتل الدكتور بانهولتسر في حي الليش التي يرتكبها بعل، وفض بكارة باولا الذي قام به أويجن في إحدى الليلتين اللتين قضياهما معصًا في حجرة موحشة في فندق رايشس آدلر في ميونخ، بالقرب من محطة القطار الرئيسية (في الليلة الأولى لم يحدث سوى أنه ضمها بين ذراعيه وأوضح لها حقائق الأمور). ولكنه لا يريد أن يرى هذه الصور لليومين اللذين قضاهما معها في ميونخ في الحلم. فهما في كتاب قطع صفحاته في الحلم، وقرب منها عود ثقاب مشتعل ليحرقها.

يريد أن يذكر أيام حبها الأولى . يصر على ذلك إنه حقه في الحلم. إن له حقا مطلقا على النساء اللاتي وقع في حبهن، هو وليس أي إنسان آخر . فقد اكتشف أوتو باولا أولاً؛ فقد كان أوتو زميله في الفصل من الغباء وحتى يتفاخر باكتشافه أمام أويجن الذي تملى منها، وتحقق من أن: "ياه ، إن ذوق أوتو ليس سيئًا على الإطلاق " . فقال أويجن لأوتو : "بانهولستر الصغيرة، اصرف فكرك عنها لقد مست شيئًا في نفسي" .

فتبرم أوتو قائلاً : "نعم ؟ كيف عليَّ أن أجد ذلك؟"

فقال أويجن "سيان لدي كيف تجده، ولكن عليك أن تتقبله، وكلما كان أسرع كان أفضل".

ظن أوتو أن أويجن يرغي ويزبد فقط ولن يتبع القول الفعل . ولكنه كان واهمًا . كل ابن آدم خطاء . قالها الديك حين قام عن البطة . فذات مرة تتبع أوتو بانهولستر وكلمها في شارع فروليش بالقرب من محطة القطار و سار الاثنان لفترة وجيزة متقاربين . فظهر على الناحية الأخرى من الشارع طالب ثانوي يعرف بكابه المدرسي، إنه أويجن، أطلق صفارة و أشار بترفع لأوتو أن يأتي إليه : " ألم أقل لك إن هذه عروسي ؟" قالها زاجراً أوتو،"إما أن تغرب من هنا و إلا فإنه الفراق بيني و بينك" وبالفعل انسحب أوتو .

أجـل، إن لأويـجـن قـولاً نـافذاً على الآخرين و هو يعلم ذلك . و من خـلال هيبتـه وكلمتـه دفـع بأوتـو أن ينسل مـولياً . فـعبر أويجن إلى الناحـية الأخرى من الشـارع وقـال لباولا :- "أعـذريـنـي، و لكـنني كـان يـجب أن أبـعـث بـأوتـو إلى بـيـتـه . إنه لا يناسبك. أنت لي".

اندهشت باولا، وغلبها الضحك ، ثم قالت وهى تهز رأسها: "بم تسمح لنفسك !" فـرد قـائلاً: "إذا أعـجبتني فتاة مثلك أسمح لنفسي ببعض الأشياء، ليس في إمكاني إلا أن أفعل . ألم تسمعى أن الحب سلطان سماوى ؟ " فغلبها الضحك ثانية . كان لا يزال على الجانب الآخر من الشارع حينما انتابه شعور حقيقي بالخجل، ولكن الأمر تم على مـا يرام، وقد تمكن من الحديث مـعـها بسـلاسـة . "هل قـال لك أحـدهـم من قـبل إن لك ابتسامة جريئة ؟" سألها ثم أردف قائلاً : "أجل، حقا ، فلا تتعجبى أن تجتذبى المعجبين . فلى باع طويل فى ذلك، لأنني جرىء لحد التهور أيضا بشكل أو بآخر" .

أما إطلاقه عليها اسم بى، فقد استمده من استشـهـاد للشاعر الفرنسي باول كلاودل . فبى يعنى العسل المر : "فما من أحد يعرفك كما أعرفك أنا . فأنا بعسلك من المعجبين و عن مرك من العازفين"(١) .

ولكنه يشك أنهما يعرف بعضهما بعضاً حق المعرفة. فدائما ما نختلق قصة ما عن إنسان مـا، ونتمسك بهـا، ولكن ليتنا نكون منذ البداية قد تعارفنا تمام المعرفة . فكم يتمنى ذلك لنفسه . وفى الآونة الأخيرة أخذه شك عظيم كل مـأخذ، عما إذا كان المرء يعرف شخصا آخر أو حتى يعرف نفسه فقط ظاهراً وباطناً .

و عندمـا يقول أحـدهم ذات مـرة (الحب) فلا يعنى ذلك الحب دائمـا ، بل أحيـانا. فبعدها بلحظة سيثور فى نفسه السـأم و النفور . إذاً فللعسل المر معنى آخر خفى فى نفسه . فهو الآن يحب بى حبا جما و لكن فى لحظة ما ربما لا يكون به حاجة إليها؛ فهى تقلق راحتـه التى ليس له بد من أن يضع حـدودها، لذلك وجد فـى هذا العـالم. إن وقوفها حجر عثرة فى طريقه هو المر،أما الحب فهو العسل .

فى البداية تتبعها باستمرار . كان عندما يذهب من بيته إلى المدرسة مـاراً بمحل (الكاب الأزرق)، يقوده طريقه أمام البيت الذى تسكنه، وقد عرف دائما كيف يدبر الأمر

لكى يتقابلا . و بمرور الوقت اتضح له؛ متى تذهب إلى درس البيانو و دروس الرقص فكان يظهر فى طريقها إليها . كان يسبقها و يقف أمامها شاحبا ، ثم يتنحنح، و يدير كابه بين يديه. فصاحت به ذات مرة ثائرة : "إنك تكاد تطاردنى" . فأجابها قائلاً "أما سمعت هذه المقولة : "يقتفى أثرها خجولاً و يبتهج بتحيتها". إنها مقولة شيللر أحد أعظم شعرائنا . أعترف أنه كتب أيضا بعض الأعمال دون المستوى؛ فإذا سألتنى ففى عمله "معسكر فالينشتين" تجرى الأحداث كمعاقرة البيرة المعتقة فى مهرجان أكتوبر الشعبى(*). لا ينبغى لشاعر ألمانى كبير أن يتغاضى عن مثل هذه الأمور".

-"أنت، ليس لك مثيل" قالتها مهمهمة: "مهرج سيرك أنت . إنك شاحب جدا بالفعل".

ثم أشار على هنى هاج أن يخاطبها طالبًا موعداً . "فإذا قالت: لا. قل لها : آنستى المبجلة ، أتفهم جيداً أن قد يصيبك الملل مع شخص مثلى، ولكننا يمكننا أن نصطحب أويجن، فله القدرة على إضحاك كل الناس" و هكذا حدث أن تواعدا .

ذهب إليها وحده، وقبلت بصعوبة اعتذاره عن عدم حضور هاج، وللحظة خالها حانقة عليه و لكن ذلك يرجع فقط لأنها أرادت أن تحيره بعض الشىء، وهو فن تتقنه . ثم رجعت برأسها إلى الوراء قائلة: "حسن أضحكنى إذاً". "أهو كل ما فى الأمر؟" أجابها و قفز فرحًا. و منذ ذلك الحين تكرر ذهابهما إلى مرج الليش، ومرت عليهما أمسيات ارتحل فيها مع بتسولد و فانتسيلت الذى كان لزامًا عليه أن ينشز على الكمان، مصطحباً الفانوس و الجيتار تحت نافذتها ليغنى لها :-

الآن ظل القط و القمر مسهدين

كل البنات تنام ملء الجفون

سار فى الميدان كالمتباطئين

بفانوسه أويجن المفتون

(*) أحد أكبر المهرجانات الشعبية فى العالم، يقام فى النصف الثانى من شهر سبتمبر من كل عام فى مدينة ميونخ عاصمة ولاية بافاريا، وتحتسى فيه أنواع عديدة من البيرة التى تشتهر بها الولاية. (المترجمة)

وإذا بمايو الفتى قد صحا
وتفتحت الأزهار شيئًا فشيئًا
ففى الليل قد ثمل و انتشى
أويجن على عوده عازفا

حينما ترقدون فى السعادة الأبدية
تنعمون بجنات الفردوس العلية
يتعثر فى نار جهنم الحامية
أويجن بقوانيسه البالية(٢)

و هذا ما جاء بالمسئول عن البيت الذى أثار المشاكل، ولكنه، ويا للعجب، أسعد والدَىْ بى ؛ ربما لأنهم شعروا بالزهو و الفخار أن يحاول أحد الشبان التقرب إلى ابنتهم، أو لأنه فى داخل كل منا يضىء شعاع من الرومانسية حتى لو كان مؤرقًا بحرمة بناته.

ولا أعلم ما الذى غير الأجواء . فثم فرق بين موسيقى المساء التى يتباعد فيها الحبيبان بعضهما عن بعض، والتمشية التى تتلامس فيها أيديهما، أو يقبلان بعضهما بعضًا، ومن يدرى إلى أى مدى قد تصل الأمور . فذات مرة دعاه آل بانهولستر إلى كشف هيئة، وبعدها قالو لبى إنه لا يستطيع أن يمسك بالشوكة والسكين مثل علية القوم . وأن من يتوهم أنه سيكتب فى القريب العاجل مسرحيات أفضل من مسرحيات "فيلد نبروخ"(*)، فهو بالتأكيد مصاب بخلل ما فى أم رأسه، و هو مختال فخور و متعفن . وسوف تسوء عاقبته.

(*) إرنست ڤون ڤيلدنبروخ (Ernst von Wildenbruch) أديب ألمانى ولد عام ١٨٤٥ و توفى عام ١٩٠٩ . (المترجمة)

عندئذ حان وقت الخفاء. و قد تبين له أن كل شيء فى الخفاء أجمل؛ لأنه دائما ما تكون هناك عقبة ما عليه أن يتجاوزها و أن يتدبر الحيل لذلك . و هو ما يحتاج للخيال والحذق . و لكن فجأة ملَّ الخفية و انتابته موجة من التهور. وقد قرر بين لحظة وأخرى ألا يأخذ الحظر الذى فرضه والدا بى مأخذ الجد.

كان ذلك فى الأيام التى تلت امتحان الثانوية العامة، بعد ظهر يوم أحد، وقف على الرصيف المقابل لمنزل والديها . و تدلت بى من الشباك فسألها : "و والداك ؟" كان فى هذه اللحظة على يقين من أنها قد وقعت أخيرا فى حبه أيضا. امتلأت عيناها الحنونتان بدفء الشمس و أجابته صائحةً :

-"أنهما ليسا بالمنزل"

-"انزلى إذاً"

- "لقد أغلقا علىَّ الأبواب"

اتضح له فى هذه اللحظة أمراً مهمًا، ألا و هو: أن ما يطلق عليه البرجوازيون الأخلاق و التهذيب ما هو إلا نوع آخر من السيطرة ؛ نوع خفي. فاعتزم أن يثور على هذه السيطرة . ومن حسن طالعه أن يقع فى حب بى، فهى نِدٌّ له لا تفوقه ولا يفوقها. أجل نِدٌّ له هى الكلمة المناسبة . ففى نفسها يوجد قدر لا بأس به من المقاومة والاستقلال ،الاستقلال عن أى إنسان، و هكذا هى القطط .

فى هذه الآونة ولأنه تأكد أنها تحبه. وَدَّ ألا ينظر فى عينيها فقط ، وَدَّ أن يمسك بيديه نهديها، وأن يمر بشفتيه على هذا اللحم المستدير وأن يتذوق طعمه بطرف لسانه.

إنها الأحلام ... والآن إنه حلم داخل الحلم . ففى النهاية ملَّ أن يشرئب عنقه طوال الوقت. فخلع معطفه، ووضعه على البلاط، وفرده بعناية، ثم تمدد عليه، و شبك ذراعيه خلف رأسه و رسم على وجهه ابتسامة لا معنى لها، وصاح مناديًا عليها. يا له من إحساس سماوى ألا يرى إلا وجهها الضاحك و السماء الزرقاء . أما عن نهديها وما انتوى أن يفعل بهما، إذا وقعا فى يديه، فلم يقل شيئا. وقد نهر نفسه لذلك فى الحلم بقوله إنه جبان. فقد تتمنى من ناحيتها سراً، أن يفعل بهما ما انتوى، و عندما

يعترف عاشقان لبعضهما بأشياء مما يظل لدى غيرهما سرًا، ومما يعتمل بنفسيهما، فهذا ما يسميه هو الحصول على الحرية؛ إذًا فثم علاقة بين الحب والحرية.

و بعدها كان الحب بينهما هادئا و بدهيًا. وكان فى مقدوره أن يكتب إلى صديقه على الجبهة : "الآن تحبنى العسل المر . إنها رائعة، فى طراوتها تشبه الربيع ، خجولة وخطيرة. و يوميا أعرض نفسى للغواية لكى أتحرر من الآثام"(٢) .

ثم يرى نفسه ثانيةً فى مرج الليش،هذه المرة ليلاً . السماء عالية بعيدة، لونها أزرق يتحول تدريجيا إلى البرتقالى ثم البنفسجى . و تحتها ينساب النهر تغطيه طبقة كثيفة من الضباب، فيميل لون مائه إلى لون اللبن، وعلى البعد يظهر الخيال الأسود للمدينة بأبراجها و بيوتها . أما الحشائش فتبدو و كأن الثلج قد التصق بها، وهو مع الشلة هناك فى الخارج، يحاضرهم كالمعتاد . أعلن بحركات ذراعيه الدائرية ذات المغزى؛ أن كل شيء و كل إنسان يدين بفضل وجوده لرطوبة الحياة الدنيا. أى للصدفة البحتة. "نحن إذًا مخلوقات لا فائدة ترجى منها ، كتل من الطين، نتجت عن عملية كيميائية و عن الرطوبة". شرح ذلك للرفاق و أكمل : "و رغم ذلك نستطيع أن نفكر ونستمتع . قدرتنا على المعرفة محدودة و قدرتنا على المتعة تتناقص عند تكرار المتع، ولكنها تتزايد إذا كانت متعًا ممنوعةً" .

وقد كان يوضح لأعضاء الشلة،لأصدقائه – هذه المرة رأى نفسه فى الحلم فى حجرة ما، ربما حجرة كاس(*) أو فى حجرته المستقلة العلوية – تصوره عن التعليم السليم للشباب. فكل طفل يعطى عند دخوله المدرسة رقمًا . ولا يزال ينادى بهذا الرقم، حتى يلفت انتباه المعلم إليه بإجاباته الأصلية الفطنة، و بذا يستحق اسمًا شخصيًا . ويمكن إيضاح قواعد الأخلاق و ضرورة التعلم للتلاميذ من خلال عالم الطفولة؛ انطلاقًا من ألعاب الهنود الحمر على سبيل المثال .

(*) كاس اسم الشهرة لكاسبر نيهر Casper Neher زميل دراسة برشت الذى أصبح فيما بعد أحد أهم مصممى المناظر العاملين فى مجال المسرح الناطق بالألمانية. (المترجمة)

أما الطلبة المجتهدون و الموهوبون، فتقدم لهم ساعات إضافية لا يحق لغيرهم الاشتراك فيها . أما الأطفال الذين بهم ميل للكذب و عيوب الشخصية الأخرى، فيمكن وضعهم على الطريق الصحيح من خلال السخرية و عدم الاحترام المؤقت، ومكافأة للإنجازات الباهرة يسمح برنامج المدرسة لتلاميذ الصفوف العليا بزيارة البنات .

آه ، هذه المدرسة ! عندما يحلم بالمدرسة تبدو له مشاهد الخوف دائما . مرارا وتكرارا هذا التصور : إنه يجب أن يجتاز امتحان الثانوية العامة و يفشل بالذات فى مادة اللغة الألمانية.

رأى نفسه فى الحلم يكتب : أصابتنى المدرسة الشعبية بالملل لمدة أربعة أعوام، وخلال الأعوام التسعة التى كنت أغلى فيها فى مدرسة ثانوية فى أوجسبورج ،لم يتح لى أن أدعم معلميّ بشكل كبير. فلطالما أشادوا بلا ملل و لا كلل بميلى نحو هدوء البال والاستقلال[٤] .

ثم جاء موضوع المقال حول الاستشهاد بهوراس: (يالروعة و شرف الموت فى سبيل الوطن). و بسببه حصل على تقدير: "ضعيف بسبب المعالجة المستفزة" . ذلك أنه كتب :"فى تقديرى أن مطلب الموت الجميل و المشرف من أجل الوطن لا يهدف إلا إلى البروباجاندا. فوداع الحياة صعب سواء على الفراش أو فى ساحة المعركة، وعلى وجه الخصوص بالنسبة لشبان فى ريعان الشباب. و ذوو الرءوس الفارغة فقط هم الذين لديهم ما يكفى من الخيلاء لأن يتحدثوا عن القفزة السهلة من خلال البوابة الداكنة، وهم يفعلون ذلك فقط ماداموا يعتقدون أنهم بعيدون عن الساعة الأخيرة"[٥].

أرادوا طرده من المدرسة بسبب ذلك؛ فلديهم جميعًا قدر كبير من الحماسة للحديث عن موت الأبطال باعتباره عملاً عظيماً فى نهاية الأمر. ولقد ظنوا أنفسهم المقصودين فى الحقيقة بمصطلح "ذوو الرءوس الفارغة". فكانت كلمات جيبارد معلم اللاتينية ووكيل المدرسة كالرعد، أن كيف يجرؤ أحد أن يتهجم على هوراس، وخاصة حينما يكون هذا من يستبيح لنفسه الادعاء أنه شاعر . و لولا بيتر زاور لطردوه بالفعل. ثم فى النهاية اتفقوا على وصمه بعبارة : "تلميذ اختل عقله بسبب الحرب". يجب أن ندافع عن

أنفسنا ضد ضيقى الأفق و نقاومهم . و لكن مع من نتحد ؟ و مع من نتضامن؟ كتب ذات مرة لكاس حينما كان لا يزال فى الجبهة : "أنا مادى و شقى و منتم للبروليتاريا وفوضوى متحفظ ". لا يعلم على الإطلاق إن كان هذا صحيحا، فإذا حانت ساعة العمل يغلبه الشك، وتقف قدرته على النقد حجر عثرة فى سبيله فهو لا ينتمى إليهم، ويأبى الانتماء إليهم . يتخيل أن بإمكانه دائمًا أن ينأى بنفسه، و يقع دائما فى المشاكل حينما يضع الناس ثقتهم فيه على غير توقع . هو نفسه ليست لديه الثقة فى نفسه، وإذا وجدت فأكثر من اللازم.

برتولت برشت Bertolt Brecht

ولد فى ١٠/٢/١٨٩٨ فى أوجسبورج، و توفى فى ١٤/٨/١٩٥٦ فى برلين



برتولت برشت – اسمه الحقيقى أويجن برتولت فريدريش ب – ولد فى العاشر من شهر فبراير عام ١٨٩٨ ابنًا لمدير شركة الورق برتولت برشت و زوجته صوفيا Sophia المولودة باسم برتسينج – Brezing(*) فى أوجسبورج Augsburg و هناك يذهب برشت إلى المدرسة الشعبية ثم إلى المدرسة الثانوية الحكومية. فى عام ١٩١٤ تظهر فى جريدة أحدث أخبار أوجسبورج Augsburger neusten Nachrichten أول أشعاره ذات الاتجاه الوطنى الحماسى تحت الاسم المستعار بيرتولت أويجن، وفى عام ١٩١٥ يكتب برشت مقالاً داعيًا إلى السلام للمدرسة يكاد يؤدى به إلى الفصل من المدرسة الثانوية . بعد الثانوية العامة يدرس برشت الأدب فى ميونخ . فى نهاية الحرب العالمية الأولى يلتحق برشت لفترة قصيرة بالخدمة العسكرية ويعمل فى إحدى المستشفيات العسكرية فى أوجسبورج المخصصة لعلاج الأوبئة. ويكتب المقالات النقدية لجريدة إرادة أوجسبورج الشعبية Augsburger Volkswillen و يعود إلى ميونخ فى عام ١٩٢٠ .

فى عام ١٩٢٢ تعرض مسرحية "طبول فى الليل" Trommeln in der Nacht لأول مرة على مسرح الحجرة بميونخ، و بعدها بشهر يحصل عنها على جائزة كلايست Kleist-Preis، و يصبح بيرت بريشت أحد المسرحيين العاملين فى مسرح الحجرة بميونخ، و يتزوج ماريانا تسوف Marianne Zoff، و تولد ابنته هانى – ماريانا

(*) لأن المرأة الأوروبية تحمل بعد الزواج اسم زوجها فيذكر دائماً اسمها قبل الزواج على أنه الاسم الذى ولدت به. (المترجمة)

Hanne-Marianne. فى مارس من عام ١٩٢٣ . فى الانقلاب الذى قام فى ميونخ ضد هتلر يوضع اسمه مع اسم صديقه ليون فيوشت ڤاجنر Lion Feuchtwagner، و هو الكاتب الذى تعاون معه برشت لفترة طويلة على قائمة المطلوبين .

ينتقل برشت للإقامة فى برلين فى عام ١٩٢٤ و يعمل حتى عام ١٩٢٦ كاتبًا ومخرجًا مسرحيًّا مع كارل تسوكماير Carl Zuckmayer فى المسرح الألمانى- Das Deutsche Theater. هناك يتعرف على الممثلة هيلينا ڤايجل Helene Weigel ويتزوجها بعد ذلك عام ١٩٢٨ . و قبل ذلك بعام تظهر الأدعية المنزلية Die Hauspostille مجموعة من القصائد الشعرية و الدرامية. يحقق برشت بمسرحيته "أوبرا القروش الثلاثة" Die Dreigroschenoper التى عرضت على مسرح برلين فى شارع شيف باور دام Schiff Baurdamm أول نجاحاته الكبرى، وتصبح مسرحيه أوبرا القروش الثلاثة أكثر المسرحيات نجاحا فى فتره حكم جمهورية فايمر(*). وتكتسب الأغنيات التى لحنها كورت فايل شعبية كبرى مثل أغنية ماكى مسر الحزينة Das Moritat von Mackie Messer و أغنية المدفع Der Kanonensong و قصيدة القّواد الدرامية Die Zuhölterballade و أغنية جنى القراصنة Das Lied der Seeräuberjenny. ينهى برشت عام ١٩٢٨ أوبرا "صعود و هبوط مدينة ماهوجنى" Aufstieg und Fall der Stadt Mahagonny.

ينصب اهتمام برشت فى السنوات التالية على دراسة النظرية الماركسية بشكل مكثف ، و عندما يصعد النازيون إلى السلطة يهاجر عبر النمسا و سويسرا و فرنسا إلى سفيندبورج Svendborg فى الدنمارك ، وهناك فى عام ١٩٣٤ تنشأ "رواية القروش الثلاثة" Der Dreigroschenroman، وهى المعالجة النثرية للأوبرا . فى عام ١٩٣٥ يسحب النازيون الجنسية الألمانية رسميا من برشت . و فى عام ١٩٣٧ تعرض فى باريس مسرحية "خوف و بؤس الرايخ الثالث" Furcht und Elend des Dritten Reichs من إخراج برشت . و يبث راديو بيرومونستر Beromünster

(*) استمرت فترة حكم جمهورية فايمر من عام ١٩١٩ و حتى ١٩٣٣ . (المترجمة)

فى سـويسرا عام ١٩٤٠ التمـثـيلية الإذاعية "التحقيق مع لوكولوس Das Verhör des "Lukullus.

و مع تقدم الجيوش الألمانية يهرب برشت إلى فنلندا، وهناك فى مزرعة الشـاعرة هيلا ڤيوليـوكى Hella Wuolijoki، يكتـب مسـرحيـة "السـيد بونتـلا و تابعه مـاتى" Herr Puntila und sein Knecht Matti. فى عام ١٩٤١ تعرض مسرحية "الأم شجاعة وأولادها" Mutter Courrage und ihre Kinder على مسرح مدينة زيورخ . يرحل برشت مع عـائلته عبر موسكو إلى ڤالدى ڤوستـوك Waldiwostock ومن هناك إلى الولايات المتحدة ، و هناك يقيم فى سانتا مونيكا بالقرب من هوليوود.

يـعرض مسـرح زيورخ فى فبراير من عام ١٩٤٣ مسـرحيه "إنسان سشوان الطيب" Der gute Mensch von Sezuan، وفى سبتـمبر من العام نفسه يتبعها و فى نفس المسرح العرض الأول لمسرحية "حياة جاليلى" Leben des Galilei، ويقوم برشت بإخراج هذه المسرحية عام ١٩٤٦ فى الولايات المتحدة، وبطولة الممثل الشهير شارلز لاوجتون Charls Laughton. يَمثل برتولت برشت فى السابع من ديسمبر عام ١٩٤٧ فـى الـولايـات المتـحدة أمام "لجنة مجلس الشيوخ للتحقيق فى الأعمال التحريضية اللا أمريكية" فى واشنطن . يغادر بعدها الولايات المتحدة متجهًا إلى زيورخ . و هناك يتـقـابل مع مـاكس فـريش Max Frisch الذى كـان لا يـزال يعـمل مـعـمـاريا(*). فى الخامس من يونيو عام ١٩٤٨ تعرض مسرحية "السيد بونتلا و تابعه ماتى" على مسرح زيورخ . يود برشت العودة إلى ألمانيا، ولكن سلطات الحلفاء ترفض السماح له بدخول ألمانيا الغربية، فيسافر بجواز سفر تشيكى من براغ إلى برلين الشرقية، ويصبح هناك المدير العام للمسرح الألمانى، ويؤسس فى عام ١٩٤٩ مع هيلينا ڤايجل فرقة المسرح البرلينى Berliner Ensamble، ويعيد إخراج "الأم شجاعة" فى الحادى عشر من يناير بشكل يثير الانتباه . يحصل برشت فى أبريل من عام ١٩٥٠ على الجنسية النمساوية وفى بيته فى بوكوف Buckow، ترى مرثيات بوكوف النور Bukower Elegien.

(*) كاتب سويسرى شهير. يتضمن هذا الكتاب قصة له يتبعها نبذة عن حياته. (المترجمة)

وتتطور الأمور فى مارس من عام ١٩٥١ فى أثناء عرض "التحقيق مع لوكولوس" فى أوبرا برلين الحكومية إلى صدام مع الحزب الحاكم فى ألمانيا الشرقية (SED)، (حزب الاتحاد الاشتراكى الألمانى) .

وفى أكتوبر من العام نفسه يمنح برشت الجائزة القومية لجمهورية ألمانيا الديموقراطية من الدرجة الأولى . يبعث برشت بعد أحداث السابع عشر من يونيو عام ١٩٥٣ برسالة إلى ڤالتر اولبرشت Walter Ulbrecht رئيس جمهورية ألمانيا الديموقراطية تنشر منها الجملة الأخيرة فقط . فى مارس من عام ١٩٥٤ تنتقل فرقة المسرح البرلينى إلى دار المسرح القائمة فى شارع شيف باور دام . ثم تبدأ دار النشر الألمانية الغربية زور كامب Suhrkamp والألمانية الشرقية Aufbau فى نشر أعمال برشت الكاملة . يحصل برشت عام ١٩٥٥ فى موسكو على جائزة ستالين، وفى العام نفسه من مهرجان باريس، وبصحبة فرقة البرلينر إنسامبل جائزة عن إخراج مسرحية "دائرة الطباشير القوقازية" Der Kaukasische Kreidekreis. يشارك برشت فى أغسطس من عام ١٩٥٦ فى بروفات فرقة البرلينر إنسامبل لعرض مسرحيه "حياة جاليلى". و فى الساعة الثانية عشرة إلا ربعًا مساء الرابع عشر من أغسطس ١٩٥٦ يموت برشت إثر أزمة قلبية ويوارى الثرى فى مدفن دورتين شتادت Dorotheenstadtischen Friedhof.

مقترحات للقراءة

من يود التعرف على أعمال برشت الشاملة ينصح بقراءة "حكايات السيد كوينر" Geschichten von Herrn Keuner فهى تعد القارئ لتذوق أشعار برشت التى يمكن الاقتراب أكثر منها بقراءة "الأدعية المنزلية" .أما الشاعر المسرحى برشت فيتعرف المرء عليه، وينجذب إليه إذا شاهد مسرحياته على خشبة المسرح مثل "أوبرا القروش الثلاثة" أو "حياة جاليلى" أو "إنسان سشوان الطيب" .

مزارات

في أوجسبورج يمكن زيارة بيت والدَىْ برشت و بيت برشت نفسه و متحف برشت. و فى برلين يوجد قبر برتولد بريشت فى مدفن دورتين شتادت Dorotheen-stadtischen Friedhof . بجانب المدفن هناك يقع بيت برشت فى شارع شاوس شتراسه Chauseestraβe. يستحق كذلك المسرح المقام فى شارع شيف باور دام (فرقة برلينر إنسامبل) الزيارة . فى بوكوڤ يقع المنزل الصيفى الذى كتب فيه برشت أعماله، و بالقرب من سفيند بورج فى الدنمارك يمكن مشاهدة المنزل الريفى فى سكوسبو ستراند Skoosbostrand الذى عاش فيه برشت .

إيريش كيستنر

بقلم هارالد توندرين

لقاء أدبى

توقف الترام مُحْدِثا صريرا حادا ليبدأ عندها التدافع، كان الترام ممتلئًا عن بكرة أبيه. وهنا فى شارع تحت أشجار الزيزفون أراد جميعهم فجأة النزول. تلقى كيستنر دفعة من الخلف ليصطدم بأحد الرجال طوال القامة نحيلى الجسد، ارتسم فوق شفتيه شارب ضخم.

دار الرجل حول كيستنر دورة كاملة ورمقه بنظرة حانقة من عينيه الصغيرتين قائلا: "كيف تجرؤ؟"

ارتعد كيستنر؛ فللوهلة الأولى ظن أن من يقف أمامه هو يوبست، العميد القديم لمعهد المعلمين فى فليتشر. وكان قد كتب فيه ذات مرة شعرا يقول فيه:

دخل المدير ليتعشى
صالة الطعام بقسمات مُرّة
فزميل الدراسة كيرن قد توفى
وكان ذلك أول مرة[1]

غير أن هذا السيد النحيل طويل القامة ذا القبعة الخضراء فوق الهامة لم يكن بوست، كل ما فى الأمر أنه كان يشبهه بعض الشبه، كما أن وقفته كانت تشبه وقفة العميد. كان يمشى مفرود القوام تماما رافعا رأسه عاليا فى خيلاء:

السيد المدير يوبست كان رجل دين ذا حمية
يعمل من أجل الله والأوطان
وكل من كان يذهب إلى الحرب العالمية
كان يصافحه قبلها بامتنان(٢)

ظلت القبعة لبعض الوقت أمام أعين إيريش كيستنر، غير أن التدافع أخذ يزداد شدة على رصيف الشارع العريض، فما كان من كيستنر إلا أن وقع على ظهره.

أين يريد كل هؤلاء الناس الذهاب؟ بالتأكيد ليس إلى ميدان الأوبرا، أم يا تُرى إلى اللقاء الأدبى لجوبلس؟

علم كيستنر بالأمر بالمصادفة البحتة من بائع الكتب الذى يتعامل معه. دخل إلى دكان الكتب الواقع عند ميدان كورفورستين دَمّ لفترة وجيزة ليستلم فى عجالة بعض الكتب التى كان قد طلبها من قبل، وكان بائع الكتب قد انتهى لتوه من تصفية بعض الكتب من الأرفف، وقد بدت عليه آيات من اضطراب غير مألوف.

سأل كيستنر مبديا تفهما للموقف: "بضاعة بائرة؟" لحسن الحظ لم ينطبق ذلك على كتبه هو؛ فقد كانت تباع بشكل طيب جعلت بائعى الكتب فى غنى عن إعادتها إلى دار النشر.

غير أن كيستنر قام بعد ذلك برؤية أسماء مؤلفى الكتب التى قام بائع الكتب باستبعادها. توماس مانّ قرأه من قبل. هينريش مانّ، برتولت بريشت، كورت توخولسكى، آرتور شنِتسلِر، جاك لندن، هيمنجواى ... وتحت كتاب هيمنجواى حاول

بائع الكتب أن يخبئ كتابا صغيرا غير سميك بدا لكيستنر أنه يعرفة تمام المعرفة. قام كيستنر بسحب هذا الكتيب الموضوع تحت كتاب هيمنجواى، ورأى أنه كان أول مجموعة شعرية له على الإطلاق، والتى حملت عنوان "قلب على خصر". غير أنه حتى لحظتها كان قد أصدر ثلاث مجموعات شعرية أخرى.

وهكذا علم كيستنر بأمر النشرة التى وزعت من أربعة أيام خلت على كل المكتبات. أخذ وجه بائع الكتب – لما كان فيه من بالغ الإحراج – يتبدل ما بين الحمرة وما بين الشحوب إلى أن قام فى آخر الأمر بإحضار الخطاب لكيستنر من مكتبه.

"لجنة الكفاح" – أخذ كيستنر فى القراءة – "تطالبكم هنا باستبعاد كل الكتب التى تجدونها مشار إليها فى (القائمة السوداء) المرفقة من مكتبة الاستعارة ومن حركة البيع والشراء حتى يتسنى لنا حرقها علنا فى يوم العاشر من شهر مايو فى ميدان الأوبرا. كما أننا نحتفظ لأنفسنا بالحق فى أن نعلن رسميا تلك المكتبات التى تدعم كفاحنا دعما لائقا على أنها – من المنظور الشعوبى – مكتبات موثوق بها وينصح بالتعامل معها، وذلك من خلال حملة خاصة بذلك"(٣).

تلفت بائع الكتب حواليه فى حذر قائلا: "قل لى ماذا أفعل؟ هل يجب على بسبب ذلك أن أعرّض نافذة عرض دكانى للكسر؟"

عقب كيستنر على ذلك فى تعليق ساخر إنه سعيد أيما سعادة أنه يشترى من مكتبة موثوق بها وينصح بالتعامل معها. بدون سلام أو كلام غادر كيستنر الدكان ولم ينتبه إلا فى شارع روشير شتراسه، وقد كاد يصل لباب منزله أنه لا يزال يحمل فى يده "قلب على خصر". من فوره عاد أدراجه ليعيد الكتاب للدكان. هكذا كان كيستنر إنسانًا يسمع الكلام. وفى المدرسة فى درزدن كان دائما الأول فلم يكن من اللائق أن يخيّب توقعات أمه فيه، فقد كانت تكدح لكى ينعم هو يوما ما بحياة أفضل.

وفى الطريق إلى ميدان كورفورستين دَمْ، عجز فجأة عن مواصلة السير.

فالإنسان لا يعيد كتابه الذى ألّفه ليُحرق. فعلى أقل تقدير حتم عليه الواجب أن يدفع ثمن الكتاب.

لقد كانت أوقات مجنونة. وفى بعض الأحيان لم يعد أحد يعرف ما هو الصواب وما هو الخطأ.

كما كان الحال فى زيورخ من شهرين، حيث تقابل كيستنر فى طريق العودة من مدينة ميران التى كان يقضى فيها إجازته مع ناشره فى سويسرا. كانوا يريدون التحدث عن كتابه القادم. غير أن الحديث الذى دار بعد ذلك لم يرد فيه الكتاب بأى ذكر يُذكر. فكل من كان فى المقهى الذى كانوا يجلسون فيه أخذ فى الحديث عن الأحداث الجديدة فى برلين. "برلمان الرايخ يحترق!" سرت هذه العبارة بين المهاجرين الألمان فى زيورخ سريان النار فى الهشيم، حيث أخذ مزيد من الناس فى التوافد على مائدة كيستنر. كان كيستنر يعرف كثيرا منهم. كلهم كان مضطربا وقد ملأهم الخوف والقلق.

"حمدا لله أنك أنت أيضا خرجت فى الوقت المناسب، يا كيستنر"، قالها أحدهم معقبا فى ود. ربما كان هذا الشخص هو أنّا زيجيرس.

غير أن كيستنر سافر عائدا إلى ألمانيا. فهناك كان مكانه، هناك كان وطنه.

أكان هذا صوابا أم خطأ؟ هل كان يجب عليه أن يبقى فى الخارج مثله مثل الآخرين؟ وماذا كان سيصبح والداه عليه من حال؟ لم يكن فى مقدوره أن يتركهم وحدهم فى تلك الأوقات المجنونة.

مجنونًا أيضا كان ما وقع من واقعة مساء اليوم هنا تحت أشجار الزيزفون. يا له من تزاحم وتدافع! ومن الناحية الأخرى من الجامعة هب دخان أبيض مختلط بصوت مدو.

شب كيستنر على أطراف أصابع قدميه ومشق جسده، لكنه مع ذلك كان للأسف أقصر من أن يرى ماذا كان يحدث. كان الدخان قادما فيما يبدو من ميدان الأوبرا، كما كانت تُرى رايات ومشاعل.

استلقت يدٌ على كتف كيستنر من الخلف. ارتجف كيستنر من الفزع، ومن فوره بدأ يشعر مجددا بغصة فى قلبه. دُفع به جانبا فى قوة. كان رجال من كتيبة الهجوم(*) تشق طريقها وسط الزحام.

(*) كتائب الهجوم هى كتائب مسلحة كان أفرادها يلبسون القمصان بنية اللون وكانت إحدى التنظيمات السياسية للحزب النازى. (المترجم)

ظل كيستنر فى إثر الرجال؛ فهذه هى ميزة أن تكون قصيراونحيفا ومرنا، هى أنك تستطيع التسلل بين الحاضرين بسهولة. كان من الحتمى لكيستنر أن يظل فى أعقابهم، غير مرة، حينما نظر إلماحًا عاليا إلى الوجه الحجرى لڤيلهلم فون هومبولت(*) الشاخص أمامه مباشرة، حينئذ كان سيفقد أثر المسيرة، ومع ذلك فقد ألقى مجددا نظرة خاطفة على هذا الوجه. لم تخنه عيناه. ارتسم على جبهة همبولت أخاديد غاضبة. لم يكن يليق بمقام هذا الرجل أن يلعب مساء اليوم أمام الجامعة دور الشاهد الحجرى.

وجد كيستنر نفسه لايزال يُدفع به إلى الأمام دفعا فى تقدم مستمر. بدأت عيناه تؤلمانه؛ فقد أخذ الدخان يزداد كثافة. بدأ التدافع من جديد. وجد كيستنر نفسه لايزال يدفع به إلى الأمام. وفجأة انقشع من أمام كيستنر الزحام. فُزع كيستنر؛ فقد وجد نفسه واقفا فى الأمام تماما، فى الصف الأول.

أراد الرجوع، لكنه علق مكانه، بين شابين قويى البنية مرتدين قميصى كتيبة الهجوم ذواتى اللون البنى.

من عند المحرقة الكبيرة فى الميدان هبت أدخنة كثيفة. أخذ بعض الناس فى السعال. تسمّر ناظرا كيستنر مذهولتين على المحرقة المشتعل فيها النيران.

ما كانت إلا كتبا!

تكوّمت هناك آلاف من الكتب وأخذت ألسنة اللهب المرتعشة فى التهام الكتب التهاما بطيئا.

قبع الصمت على رءوس الأشهاد.

على الناحية الأخرى من المحرقة ظهر أحد الطلبة فى خيلاء وقد ارتدى زيا بنى اللون متأبطا مزيدا من الكتب. وبصوت مدو صاح ببعض الجمل المسفة قاذفا

(*) فرايّهر ڤيلهلم فون همبولت Freiherr Wilhelm von Humboldt 1835 - 1767 من كبار فلاسفة وعلماء اللغة فى العالم وليس ألمانيا فقط. أسس جامعة برلين. (المترجم)

بعدها الكتب إلى محرق الزنادقة، مستديرا إلى الخلف ليظهر بعدها الطالب التالي بمزيد من الكتب.

شعر كيستنر فجأة بشيء صلب ذي حواف في الجيب الداخلي لسترة بذلته. لقد كان الديوان الشعري الذي اشتراه بالأمس من بائع الكتب " قلب على خصر".

منذ ذلك الوقت كان يحمل الديوان معه كما لو كان من الواجب عليه أن يرعاه. وبدا الأمر كما لو كانت القصائد قد تجولت من جيبه إلى رأسه لتتخذ عشا لها هناك.

يا تاسعتي، أيتها الأخيرة، يا سيمفونيتي

عندما ترتدين القميص ذا الخيوط الوردية

تعالي مثل التشيللو بين ركبتي

ودعيني ألمس أوتارك في روية![٤]

كانت هذه الأبيات من قصيدة غناء ليلي لعازف الغرفة الموهوب، واحدة من قصائده المحببة إلى نفسه، ربما لأنها كلفته عمله محرراً صحفياً عندما نشر وقتها القصيدة خلسة في الجريدة في لايبزيج.

بيت آخر من الشعر تحرك فجأة في رأسه:

هل تعرف البلاد حيث تزدهر المدافع الهدّارة

لا تعرفها، ستعرف ما هيَ

هناك يقف وكلاء التجارة في شموخ وجسارة

في المكاتب وكأنها ثكنات عسكرية[٥]

كانت هذه الأبيات أكثر ملاءمة للمشهد هنا، بين كل هذه الأزياء العسكرية.

كان السؤال المهم هو عما إذا كانت القصيدة ستسبب مجددا المتاعب له؛ لأنها ختمت بهذه الأسطر الشعرية:

هناك لا تكبر الحرية، هناك الحرية خضراء كالنبات
فكل ما يبنى هناك لا يعدو أن يكون سوى الثكنات العسكرية
هل تعرف البلاد، حيث تزدهر الثكنات
لا تعرفها، ستعرف ما هي(٥)

مجددا ظهر أحد الطلاب ممسكا بحزمة مربوطة من الكتب. مثله مثل الآخرين التصق سير خوذته بأسفل ذقنه.

"ضد الانحطاط والانهيار الأخلاقي!"، صاح بصوت زاعق، "من أجل التهذيب والأخلاق في الأسرة والدولة!"

وبالرغم من أن كيستنر كان متأهبا لما سيحدث، إلا أنه أخذته الرجفة عندما سمع فجأة اسمه يُذكر، وكأن سوطًا قد ألهب ظهره.

"أُسلم للنار كتابات هاينريش مانّ، وأرنست جليزير، وإيريش كيستنر"، صاح بها الطالب.

شاهد كيستنر دواوينه الشعرية الأربعة وروايته فابيان وهي يقذف بها في النار. وفجأة تحرك في رأسه مطلع قصيدة أخرى له. كانت من ديوان رجل يدلي بمعلومات:

لو أن الحرب كنا كسبناها
بهدير الأمواج ورعدة العاصفة الهوجاء

لكانت ألمانيا للضياع أسلمناها

ولكانت أشبه بمستشفى لغير العقلاء(٦)

تلا المقطعَ الأول من القصيدة فى رأسه مقطعُها الأخير

ولرسف العقل فى أغلالٍ صنعناها

ولحوكم كل ساعة متهما بغير ذنبْ

ولكانت الحروب مثل أوبريتات أنشدناها

لو أن الحرب كنا كسبناها

لحسن الحظ لم نكسب الحربْ(٦)

لحسن الحظ، قالها كيستنر مؤكدا بينه وبين نفسه ليصيبه بعدها الهلع. فعلى بعد خطوات قليلة منه استدار أحد رجال الشرطة الذين أخذوا مكانهم بين رجال كتيبة الهجوم.

توقف قلب كيستنر عن العمل؛ فقد كان يعرف الرجل من شارع روشير شتراسه، ولا شك فى أن رجل الشرطة قد تعرف عليه أيضا. نظر كل منهما للآخر وكلاهما على الدرجة نفسها من الاندهاش من هذا اللقاء غير المتوقع.

تصاعدت دقات قلب كيستنر فى هذه اللحظة حتى بلغت عنان السماء.

لم يكن من الصائب أن يأتى إلى هنا. فمن بين كل الكتاب على "القائمة السوداء" كان هو الوحيد الذى لم يهاجر، أيضًا هل كان من المفروض أن يكون هو بالذات من يشاهد جوبيلس(*) وهو يأمر بحرق كتب الكتاب المغضوب عليهم؟

(*) باول يوزيف جوبلس (Paul Joseph Goebbels) (1945- 1897) وزير الإعلام، وأحد أهم الشخصيات السياسية فى عهد النازى. (المترجم)

لم يشهد ذلك فى أى مكان آخر من ألمانيا؛ فلقد كانت محارق النازى هذه مشتعلة مساء اليوم فى كثير من المدن الألمانية الأخرى، لا، هنا بالذات فى العاصمة الألمانية، فى ميدان الأوبرا، أمام جامعة هومبولت، حيث يشرف جوبلس بنفسه على حرق الكتب، كُتب عليه أن يقف بجوار الواقعة.

لم يدرك كيستنر عن وعى ما أقدم عليه سوى فى هذه اللحظة. كان يريد أن يكون شاهدا على الحدث، مشاهدا متخفيا. وها هو ذا يقف الآن فى الأمام تماما، فى الصف الأول، عالقا بين هذين الاثنين من رجال كتيبة الهجوم، اللذين اشتعلا حماسا بفعل الخطب والمشاعل والرايات وألسنة اللهب. وبطبيعة الحال سيشعران بالاستفزاز.

وماذا لو أمسكا به الآن وألقيا به من وراء كتبه بين ألسنة اللهب المشتعلة؟

دق قلب كيستنر دقا كاد يخلعه من بين أضلعه.

قُضى الأمر، ظن كيستنر فى داخل نفسه. لم يعد رجال كتيبة الهجوم حتى فى حاجة إلى مطاردته؛ فها هو ذا بين ظهرانيهم. كلمة من الشرطىّ كانت كافية.

فى هذه اللحظة رأى كيستنر الشرطى وهو يستدير فى هدوء، محولا ناظريه إلى اتجاه آخر.

نعم تعرف عليه الرجل لكنه لم يشِ به.

تمنى إيريش كيستنر لو أنه أسند ظهره، غير أن قلبه لم يرد أن يهدأ، كما لو كان يشتم مزيدا من الخطر.

يجب أن يرحل من هنا. دون أن يلاحظه أحد، فلا بد من أنه من الممكن بشكل أو بآخر أن يخترق هذا الحائط من ذوى القمصان بنية اللون.

فى هذه اللحظة سمع فجأة صوتًا نسائيًا حادًا، ظن أنه يعرفه. كان صوت ممثلة شابة.

"هناك يقف كيستنر بشحمه ولحمه!"، صاحت الممثلة الشابة من وسط الحشد الصامت.

ساد هرج ومرج، وأدار الناس أعناقهم.

"أين؟"

"أين، أين؟"

أخذ الناس يبحثون فى أوجه الواقفين. شعر كيستنر أكثر منه رأى أن الرجلين من كتيبة الهجوم أيضا الواقفين بجواره قد أدارا عنقيهما ومعهما جسديهما. خف الضغط من اليمين واليسار وتراجع كيستنر للوراء حاضر الذهن لخطورة الموقف. التصقت الأجساد الواقفة أمامه مع بعضها البعض من جديد، وأُغلقت الثغرة.

عندما جلس كيستنر فيما بعد على الدرجات الحجرية الباردة لإحدى الكنائس طويلا طويلا، كان لا يزال جسده على ارتعاشته. لم يكن يعرف فى أى مكان هو. كل ما يعرفه أنه سار فى خطوات متئدة حتى لا يلفت نظر أحد إليه.

شعر بالبرودة تزحف من بين طبقات القماش لمعطفه ولبنطلون بذلته. غير أنها لم تزعجه، فما أجمل البرودة حينما يكون الإنسان لتوه قد نجا من لهيب المحرقة.

بأصابع متصلبة أخرج كيستنر الكتاب من جيبه.

لقد أنقذ على أية حال هذه النسخة. .

على ضوء مصباح الشارع الخافت لم يكن من الممكن التعرف على غلاف الكتاب إلا قليلا. لكنه كان يعرف أيضا فى هذا الضوء الخافت ما كانت تبدو عليه الصورة التى رسمها له صديقه إيريش أوزير، إيريش الأكبر، كما كان يطلق عليه.

فهم إيريش الأكبر عنوان الكتاب فهما حرفيا تماما، ورسم قلبا أحمر فى ارتفاع الخصر.

بأيدٍ مرتعشة رفع كيستنر الكتاب عاليا وطبع عليه قبلة.

كان يأمل أن تكون على القلب.

إيريش كيستنر Erich Kästner

ولد فى ١٨٩٩/٢/٢٣ فى مدينة دريزدِن، توفى فى ١٩٧٤/٧/٢٩ فى مدينة ميونخ



ولد إيميل إيريش كيستنر فى الثالث والعشرين من شهر فبراير من عام ١٨٩٩ فى مدينة درزدِن لأب كان يعمل عامل جلود وكان اسمه إيميل كيستنر Emil Kästner ولأم كان اسمها إدا أماليا Ida Amalia. ولم يعرف كيستنر إلا بعد سنوات كثيرة أن والده الحقيقى ربما كان هو طبيب الأسرة يهودى الديانة مستشار الصحة د. تسيمرمان Zimmermann.

أما الأب فى شهادة الميلاد إيميل كيستنر فقد كان يمتلك دكانا صغيرا فرضت عليه الظروف أن يغلقه ليعمل بعدها عاملا فى مصنع للحقائب وما كان يتكسبه من مال كان لا يكفى بأى شكل من الأشكال. كانت الأم هى الشخصية المسيطرة فى الأسرة الصغيرة، وكانت تضحى بكل شىء من أجل ولدها، وكانت تتحصل على بعض الدخل الإضافى من عملها فى بيتها. فى بادئ الأمر كانت تخيط أحزمة بطن للتدفئة. فيما بعد أجّرت الجزء الأكبر من الشقة إلى مدرسين وافتتحت صالونا للحلاقة فى ركن من غرفة نوم الزوجية بعد أن أنهت فى سن الخامسة والثلاثين دراستها لتعلم تصفيف الشعر.

زرع كيستنر فى نفسه أن يكون صبيا مثاليا حتى لا يخيب أمال أمه فيه. دائما كان أول الفصل. كان كيستنر يريد أن يعمل مدرسا. فى عام ١٩١٣ وعمره أربعة عشر عاما التحق كيستنر بمدرسة المعلمين الفلتشرية Das Fletschersche Lehrerseminar فى درزدِن وأبهر هناك أيضا الجميع بحصوله على أحسن التقديرات.

مع بدء الحرب العالمية الأولى استُدعى إيريش كيستنر إلى الجيش ليقع هناك فى براثن الوحش السادى ڤاوريش Waurich الذى أمر الفتى كيستنر بالعدو فى فناء

الثكنة العسكرية ذهابا وإيابا ما شاء له من الوقت للدرجة التى استلزمت نقل كيستنر - وهو الذى كان يمارس لعبة الجمباز عن حب، مما يعنى أنه كان رياضيا من الدرجة الأولى - إلى المستشفى العسكرى وقد أصيب فى قلبه إصابة خطيرة، مما جعل كيستنر يقضى بقية حياته وهو يعانى من مشاكل فى قلبه.

بعد تسريح كيستنر من الجيش أنهى كيستنر دراسته المؤهلة للعمل مدرسًا ليعترف لأمه مع ذلك أنه لا يشعر أن قَدَره قد أعده ليكون مدرسا. وفى إحدى مدارس درزدن الثانوية أنهى كيستنر دراسته الثانوية التى تأخر فى أدائها، ليبدأ من خريف عام ١٩١٩ فى دراسة علوم اللغة الألمانية وآدابها، والتاريخ، والفلسفة، وتاريخ المسرح فى جامعة لايبزج بناء على المنحة الذهبية التى قدمتها له مدينة درزدن.

غير أن الوقت كان سيئا؛ فلم تكن المنحة تكفى للمعيشة، مما اضطر كيستنر إلى أن يقوم بأعمال إضافية، أن يكتب للصحف ليحصل فى آخر الأمر على وظيفة فى جريدة لايبزج الجديدة **Neue Leipziger Zeitung**. فى عام ١٩٢٥ أنهى كيستنر امتحان الدكتوراه. وفى عام ١٩٢٧ فصلته جريدة "نيويه لايبتسجر تسايتونج" لأنه نشر قصيدة حسية صريحة فى الجريدة، وهى قصيدة غناء ليلى لعازف الغرفة الموهوب **Nachtgesang des Kammervirtuosen**.

رحل كيستنر إلى برلين، حيث عمل ناقدا مسرحيا ومحررا حرا للجرائد والمجلات الكبيرة من أمثال المسرح العالمى **Weltbühne** وفوسّيشه تسايتونج **Vossische Zeitung**، كما واصل كتابة القصائد ليصدر فى عام ١٩٢٨ الديوان الشعرى " قلب على خصر" **Herz auf Taille** الذى لاقى تقديرا كبيرا. وفى العام الذى يليه ظهر له ديوانه الشعرى التالى ضوضاء فى المرآة **Lärm im Spiegel**. وقد استطاعت ناشرة جريدة ڤيلت بونه إديت ياكوب زوون **Edith Jacobsohn** والتى كانت أيضا صاحبة دار نشر الأطفال ڤيليامس وشركاه **Williams & Co.** أن تقنعه بفكرة الكتابة للأطفال، وكان ذلك فى عصر أحد الأيام الذى اعتادا فيها شرب الشاى سويا. كتب كيستنر عن أحد الفتيان الذى لم يكن أحدا سواه هو، عن فتى مثالى كان يحب

أمه حبا يفوق كل شيء والذى كان مع ذلك "جنًا مُصورًا"، وأعطى كيستنر الفتى من اسمه المركب الاسم الثانى إيميل. وما لبثت أن أصبحت " إيميل والمخبرون " Emil und die Detektive من أكثر الكتب مبيعا.

وقد استطاع كيستنر أن يشترى بعدها شقة بالمقربة من شارع كور فورستن دم Kurfürstendamm، شارع روشير شتراسه رقم ١٦ Roscherstraβe 16، فى منزل بحديقة، الطابق الرابع، بعدما كان يشغل فى برلين فى بادئ الأمر غرفة مفروشة فى شارع براجر شتراسه Pragerstraβe الذى تسكنه الطبقة المتوسطة العليا، بل إنه عيّن سكرتيرة كانت تنظم توزيع أعماله على مجالس تحرير الصحف، وكان أحب شيء إلى قلب كيستنر أن يعمل فى أحد مقاهيه الدائمة، كل على حسب ما اختص به. ونرى كيستنر يتحدث عن مصنع الأبيات الشعرية الصغير الخاص به والذى أطلق عليه اسم كيستنر وشركاه.

ها هو ذا كيستنر نراه وقد أصبح كاتبا ناجحا. كما نراه وقد أصدر ديوانين آخرين من الشعر رجل يدلى بمعلومات Ein Mann gibt Auskunft وغناء بين الكراسى Gesang zwischen de Stühlen. كما أن روايته الأولى فابيان. قصة واعظ أخلاقى Fabian. Geschichte eines Moralisten لاقت هى الأخرى قبولا لدى الناس، وما زالت إلى يومنا هذا تجد مكانها بين أيدى القراء. إنها قصة دارس علوم اللغة الألمانية وآدابها الموهوب ياكوب فابيان، الذى فقد فى برلين فى فترة ثلاثينيات القرن العشرين عمله والذى يصل فى بحثه عن المستقبل إلى معارف من شاكلة "ماذا يفيد النظام الإلهى، طالما ظل الإنسان خنزيرا؟"(٧).

بالإضافة إلى ذلك واصل كيستنر تأليف كتب الأطفال، حيث ظهرت له النقاط الصغيرة وأنتون Pünktchen und Anton والفصل الدراسى الطائر Das fliegende Klassenzimmer. كان الاشتراكيون القوميون قد انتزعوا سدة الحكم فى ألمانيا. وعندما أُشعل الحريق فى برلمان الرايخ فى السابع والعشرين من ألمانيا من عام ١٩٣٣ كان كيستنر خارج البلاد. ضاربا بنصيحة كثير من الأصدقاء والزملاء عرض الحائط، عاد كيستنر إلى ألمانيا. وعندما أُحرقت كتب الكتاب غير المرغوب فيهم علنا فى العاشر

من شهر مايو من عام ١٩٣٣ فى برلين وكثير من المدن الأخرى كان كيستنر هو الكاتب الوحيد من الكتاب على "القائمة السوداء" الذى لم يهرب للخارج. بل إنه كان حاضرا فى ميدان الأوبرا فى برلين، عندما قذف بدواوينه الشعرية الأربعة وروايته فابيان فى النار. حُظر على كيستنر أن ينشر فى ألمانيا.

أما كتب الأطفال التى ألفها كيستنر فقد سُمح مع ذلك بمواصلة بيعها؛ لكى يتجنب النازيون احتجاجات جمهور القراء.

اعتقلت شرطة الدولة السرية المعروفة بالجستابو كيستنر مرتين، غير أنه أُفرج عنه مجددا فى المرتين. لفترة لا بأس بها استطاع كيستنر أن يعيش من الدخل القادم له من الخارج، غير أن هذا الدخل أخذ فى التناقص والتناقص حيث أخذ عدد الدول التى سقطت ضحية لاحتلال القوات الألمانية فى التزايد تزايدا مستمرا.

فى أثناء حكم النازى سنحت لكيستنر فرص عديدة للهجرة، إلا أنه تمسك بالبقاء فى ألمانيا، لأنه لم يرد التخلى عن والديه اللذين بلغا من العمر عتيًّا، وربما أيضا لأنه قلل من شأن النازيين فى بادئ الأمر. أراد أن يكون شاهد عيان، ومع ذلك فإن الكتاب الذى يتناول فترة النازى بالعرض والذى انتظره منه كثيرون بعد الحرب العالمية لم يكتبه كيستنر مطلقا.

أجبرته فوضى ما بعد الحرب على الرحيل إلى ميونخ، حيث شارك هناك فى تأسيس الملهى الأدبى خشبة المسرح **Die Schaubühne** ، كما أدار القسم الفنى لجريدة الجريدة الجديدة **Neue Zeitung** وعاد لكتابة الروايات والسيناريوهات. وما اشتهر من كتاباته كانت فى المقام الأول كتبه للأطفال: الفتاة لوتشن المزدوجة **Das doppelte Lott-chen** وعندما كنتُ فتى صغيرا **Als ich ein kleiner Junge war**. كما تحول كثيرٌ من كتبه إلى أفلام أو تم إعدادها لعرضها على خشبة المسرح.

فى السابع والعشرين من شهر يوليو من عام ١٩٧٤ توفى إيريش كيستنر فى ميونخ.

مقترحات للقراءة

لا تزال قصائد إيريش كيستنر إلى يومنا هذا تمتعنا عند قراءتها، ومنها غناء ليلى لعازف الغرفة الموهوب، قصيدة ملحمية خفيفة موضوعية Sachliche Romanze وأين ما هو إيجابى يا سيد كيستنر؟ Und wo bleibt das Positive, Herr Kästner ، كما أن روايته فابيان لا تزال محتفظة بحيويتها وجرأتها بالنسبة لقارئ اليوم. أما من لم يقرأ إيميل والمخبرون فعليه تدارك الموقف.

مزارات

راح المنزلان الكائنان فى برلين فى شارع براجر شتراسه رقم ٦ وفى شارع روشير شتراسه رقم ١٦ ضحية لقنابل الحرب العالمية الثانية. ومع ذلك فإنه يستحق التعرف على المنطقة التى عاش فيها كيستنر. أما قبر كيستنر فتجده فى ميونخ فى جبانة القديس جيورج بوجين هاوزيير Bogenhauser St. Georgsfriedhof.

أنّا زيجارس

بقلم فريدريك هِتمانّ

الرحلة الأخرى للفتيات الأموات

بدأت محاكمة المدعو "ى" فى يوم الثالث والعشرين من شهر يوليو من عام ١٩٥٧ أمام المحكمة العليا فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية، فى شارع شارنهورست شتراسه الواقع مباشرة على الحدود مع برلين الغربية، وكان من المقرر أن تمتد المحاكمة لأكثر من أسبوع.

وفى مساء أحد أيام المحاكمة خرجت أنّا من مبنى المحكمة إلى الشارع وبدا لها أنها تشعر بدوار خفيف. كانت حالتها السيئة لا تقتصر على جسدها فقط، وإنما كانت تشعر فى أعماقها بشعور ما مثل الغثيان، كان شعورا غريبا، مثل ذلك الذى كان ينتابها عندما كانت تكذب على والدتها وهى طفلة. كان هذا الشعور يشل قدرتها على التفكير السليم.

لقد سمعت مرة أخرى الصياح والتهليل اللذين انطلقا فى قاعة المحاكمة عندما جرأ "ى". على أن يقاطع ادعاء النيابة له بأنه ينتمى لتنظيم مناهض للثورة صائحا بأن هذا تشهير به. بالطبع كان هؤلاء الصائحون ممن أمرهم الحزب بحضور المحاكمة. كانت أنّا نفسها قد تلقت دعوة لحضور محاكمة "ى". كان "ى" صديق قديم، كما كان الناشر والمصحح اللغوى لأعمالها. فى البداية فكرت أنّا فيما إذا كانت تقدر على ألا تنفذ مطلب الحزب، ولكنها عدلت عن ذلك، واعتبرته أمرا خطيرا للغاية. حسنا، فقد كانت هى فى ذلك الوقت أكبر شاعرة فى دولة الفلاحين والعمال، وكان معروفا لجميعهم أنها

لطالما دافعت عن أول دولة اشتراكية على الأرض الألمانية ضد أعدائها بالقلم والكلمة، وهو بالمناسبة ذلك الواجب الذى طالما اضطلع به المتهم "ى" بضمير يقظ. أما فى حالة أنّا فقد كانت هناك دائما هذه النقطة السوداء الخاصة بزوجها الذى عاد بعدها بوقت سحيق من المهجر فى المكسيك إلى ألمانيا الديمقراطية... من دولة تنتمى للكتلة الرأسمالية وهو الأمر الذى كان يؤاخذها عليه كثير من الكبار حتى ذلك الوقت.

وهو الأمر الذى كان يشكل نقطة ضعفها الوحيدة، مثلها مثل ذلك الموضع من ظهر البطل زيجفريد فى الأسطورة القديمة، الذى سقطت عليه ورقة من شجرة الزيزفون وهو يستحم فى دماء التنين.

تجرى المحاكمة الآن منذ أربعة أيام، تبدأ فيها الجلسة كل يوم فى الساعة التاسعة صباحا وتنتهى فى السادسة مساء. ولم يكن يُسمح للحاضرين - فقد كان هناك إلى جانب هؤلاء المهللين عدد كبير من المثقفين الذين أُمروا بالحضور- بمغادرة القاعة فى أثناء المحاكمة. كان يُنصب فى وقت الظهيرة بوفيه بارد فاخر حيث كان يمكن لجميعهم أن يتناولوا ما يشاءون.

عندما كان أحد الحاضرين فى حاجة لقضاء حاجته، كان يصحبه حارس أو حارسة حتى باب الحمام، وكان على الباب الفاصل بين الحمام والمدخل المؤدى له أن يظل مفتوحا نصف فتحة، عندما كان أحدهم يقضى حاجته. حسنا، لقد كان ذلك أيضا واحدا من الإجراءات الوقائية حتى لا يتسرب أى خبر خارج قاعة المحكمة، الأمر الذى من شأنه أن يؤثر على مجرى القضية إذا وصل الأمر إلى الصحافة فى الغرب.

ها هى ذى أنّا ترى مرة أخرى ذلك الكرسى الوثير الذى كانت تعتليه وزيرة العدل فى مقدمة القاعة وبجوارها القاضى وممثل الادعاء والمتهم، حيث كان يرميها ممثل الادعاء بنظرته أحيانا فى المواقف الحرجة.

عندما تذكرت أنّا الوزيرة القبيحة التى كانت تراها دائما شبيهة إلى حد ما بضفدع سمين، بدأ المشهد يدور حولها فجأة مثل عربات الملاهى المسرعة، فسيل

الشتائم الذى أمطر به ممثل الادعاء العام ميلشينجر المتهم "ى" كان يدوى مرة أخرى بعنف فى أذنيها: "أنت كاذب خبيث..جبان لا تعترف بجريمتك..ستلقى العقاب الذى تستحقه"(١).

تداعى إلى ذاكرتها عندئذ السيد فريزلر رئيس ادعاء النازى فى قاعة محكمة الشعب. فقد شاهدت ذات مرة الفيلم الوثائقى الناطق لمحاكمة ضباط الجيش الذين اشتركوا فى محاولة اغتيال هتلر. كان الموقفان متشابهين بشكل مذهل.

هفهفت جملة "هل كنا فى حاجة إلى ذلك؟" المكتوبة على شريط من الورق فى الهواء فوق عربات الملاهى التى كانت تدور هنا وأنا جالسة فيها.

بعد ثورته هذه توقف المدعى العام ميلشينجر قليلا ليلتقط أنفاسه ويفك رباط عنقه قليلا ليواصل فى النهاية صياحه الذى أصبح مدويا: "أنت عدو للسوفيت، عميل ماكر لحزب شمال الأطلنطى، عميل لمكتب الحزب الديمقراطى الاشتراكى فى الشرق، جاسوس لصالح الإذاعة الأمريكية فى برلين الغربية"(٢).

بعد ذلك أفقده اضطرابه تسلسل الأفكار فترك نفسه يهبط فى كرسيه كما لو كانت قواه قد خارت.

أن نكره الآخرين بهذا الشكل، أن نذل الآخرين بهذا الشكل – لم تكن أنا تعلم ذلك منذ هذا اليوم فقط – كانا إذن أيضا من بين الاحتمالات البشرية.

ولكن هل يجب علينا نحن الذين نناضل فى هذه الدولة من أجل عالم أفضل، وأكثر عدالة أن نلجأ لهذه الاحتمالات؟

على الفور سمعت أنا صوتا آخر، صوتا لم يكن يُسمع فى قاعة المحكمة، صوتا له لكنة سكسونية، صوتا حاضرا دائما فى هذا البلد. رأت فى أثناء ذلك ذقنه المدببة، وتلألأ زجاج نظارته، ذلك الرجل عالى المقام، القديس، المنزه عن الخطأ والفانى فى الوقت نفسه، وهو يقول(*) :

(*) المقصود هو ڤالتر أولبرشت Walter Ulbricht 1893-1973 الذى كان فى الفترة من ١٩٥٣–١٩٧١ أقوى رجل فى ألمانيا الديمقراطية والرئيس الفعلى للبلاد. (المترجم)

"لقد تقدم حزبنا بخطى واثقة نحو الأمام فى العام الماضى الذى كان مفعما بالأحداث المعقدة. حقق الزملاء إنجازا رائعا، وتمكنوا من صد الهجمات الحانقة للخصم ضد حزبنا، وضد قوة العمال والفلاحين سويا مع الأحزاب الأخرى الحليفة، والقوى الأخرى فى الجبهة القومية. والآن نحن نتحول إلى الهجوم المضاد..."(٣)

فى ثورة المدعى العام تطاير لعابه حتى أمطر وجه المتهم "ى" الذى حرك كرسيه الذى بلا أذرع مترا إلى الوراء، وشرع يمسح بمنديله آثار خطبة ميلشينجر الرطبة.

على الفور اندفع السيد بانكه، ممثل الادعاء ومساعد السيد ميلشينجر، نحو المتهم يسأله بغضب شديد: "لماذا حركت مجلسك إلى الخلف؟"

أجاب المتهم فى هدوء تام: "سيدى ممثل الادعاء، أكره أن يبصق أحد فى وجهى؛ لذلك أرغب فى أن أجلس إلى الخلف شيئا ما"(٤).

. أن يجرؤ "ى" على الرد، وألا يمتثل على الفور لما قيل له أثبت لأنَّا أنه لا يزال ذلك الرجل الشجاع الذى اعتادت أنَّا أن تقدره أيما تقدير...فى المهجر، هناك فى المكسيك، هنا...وأيضا فى أثناء الحرب الأهلية الإسبانية مدافعا عن الجمهورية الإسبانية فى القوات الدولية المقاومة للفاشية. ذلك ما عرفته من خلال القصص الكثيرة للرفقاء. رجل شجاع، وزميل موثوق به، مناضل لا يلين من أجل الشيوعية... وها هم قد يرسلونه إلى المعتقل. أترى سيخرج منه حيا مرة أخرى، هذا احتمال بعيد بعيد. فالحكم فى القضية أمر مفروغ منه منذ أمد بعيد: ربما يتعلق الأمر فقط بما إذا كانت مدة العقوبة ستزداد أو تنقص سنتين أو ثلاثًا.

كان الحكم صادرا من أعلى رجل فى الدولة. ولو خطر على بال أحد القضاة أن يعترض، لناله بالتأكيد غضب وانتقام ذلك الرجل ذى الذقن المدبب.

كان صوت بانكه المتقطع الذى يحمل فى طياته نبرات الحماسة والخنوع فى الوقت ذاته مثل ضربة السوط. " أجننت يا رجل؟ عد فورا إلى مكانك السابق! فورا!"

اقترب شرطيان فى الزى المدنى كانا قد تواريا حتى لحظتها فى الخلفية بعض الشىء متخذين هيئة متوعدة متحسبة.

كانت هذه هي اللحظة التي همس فيها شيء ما بداخل أنّا همسا ملحا بأنه يجب على أحد المشاهدين أن يفعل شيئا، أن يعترض، أن يقفز من مكانه، أن يصرخ، أن يصف على الأقل ما يتم هنا على أنه ظلم يرفع شكواه للسماء.

كان شيء من هذا القبيل لا يمكن توقعه من قبل زميلها "ب" الذي كان يجلس بين الآخرين ممن أمروا بحضور المحاكمة. مِمَّن إذن ؟ من الصحفيين الموالين للسلطة المخلصين لها؟ من شهود الدعوى الذين سيخاطرون عندئذ بالذهاب مع المتهم على الفور إلى المعتقل؟ لا. منى أنا، ذلك ما اعتقدته أنّا، على مرأى من الجميع، منى أنا. كانت هذه الفكرة تومض أمامها لحظتها بقوة، غير أن الخوف القابع فوق قاعة المحكمة قتل كل قطرة من شجاعة، وملأها جبنا حتى أخمص القدمين.

فجأة خيل إليها أنها تسقط للأمام، أنها تدور في فضاء يعمه الضباب الذي كان يشبه في واقع الأمر حالة الجو في ذلك الوقت إلى حد كبير، ذلك الضوء الخافت الذي يعم الشارع بين النهار والليل.

ثم حدث شيء في منتهى العجب، شيء كان قد حدث لها ذات مرة منذ أعوام في المهجر في المكسيك في يوم قائظ، عندما نظرت أنّا في هذا البلد البعيد إلى مجموعة من نباتات الصبار في الحرارة الشديدة. كان شيء ما مثل أحلام اليقظة، ذلك ما كانت أنّا متأكدة منه آنذاك مثل تأكدها منه الآن. أما هذه المرة فهي ترى نفسها فجأة في سوق الخضار الذي يزهو بالألوان المبهجة أمام الكاتدرائية في مدينة ماينتس، تتبادل الآن مع إحدى بائعات الخضار التي تبيع السفرجل بعض الكلمات، عندما رأت ثلاثا من زميلاتها في الفصل. وبدا واضحا لها على الفور أن الثلاث لم يعدن على قيد الحياة.

فها هي ذا إرنا التي كانت عضوا معها في الجمعية الشيوعية للشباب. فقد قامت قوات الجستابو بضربها حتى الموت، لأنها لم ترغب في أن تفصح عن مكان زوجها. ثم هيلا وكانت من الأنصار المخلصين للحزب الاشتراكي القومي، وكانت رئيسة رابطة سيدات الرايخ في ماينتس. كانت إرنا قد توجهت إليها، عندما تم الكشف عن طريق الخيانة عن الخلية الشيوعية التي كانت إرنا وزوجها عضوين فيها. كانت الطريق الوحيدة حتى لا يقبض عليها هي أن يتم نقلها في سيارة إلى الحدود الفرنسية. ولكن

هيلا رفضت أن تساعد صديقتها، ودار بينهما حديث شديد اللهجة قالت فيه هيلا إنه من العدل أن يدخل أعداء المجتمع أمثالهم إلى معسكرات الاعتقال.

بينما ماتت إرنا بعد أيام قليلة بسبب ما تلقته من سوء معاملة فى الطابق السفلى من مبنى الجستابو، فإن هيلا راحت ضحية القنابل الفوسفورية التى استخدمت فى الغارة الجوية الكبيرة على مدينة ماينتس قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد روى البعض لأنّا أن هيلا كانت كالشعلة البشرية تجرى فى الشوارع وتصرخ:" ساعدونى، مزقوا الملابس من على جسدى وإلا سأحترق!". وفى النهاية قذفت بنفسها فى النهر لتطفئ النيران التى كانت تلتهم جسدها وغرقت.

كان هناك لا يزال شخص آخر. شخص كان من المستحيل أن يتأبط ذراع إرنا أو هيلا ويسير معهما فى السوق فى ماينتس، هذا الشخص كان ريبيكا، يهودية مثل أنّا، ولكنها على عكس أنّا متدينة، لم تكن تتمتع بالثقة بالنفس، ولكنها كانت دائما منذ عهدها بالمدرسة خجولة وشاحبة، ترتدى دائما فستانها الرمادى القديم البالى الذى كانت تبدو عليه النجمة الصفراء فى وضوح.

وبالرغم أن الأمر كله لم يكن حقيقيا - فقد كانت أنّا تدرك جيدا أن زميلات المدرسة الثلاث أموات - اقتربت أنّا من ثلاثتهم وحيتهم بود وسألتهم عما إذا كن يرغبن فى الذهاب إلى المقهى عند الكاتدرائية لتناول الشاى وتجاذب أطراف الحديث. أسرعت الفتيات الثلاث الخطى نحو المقهى، وكانت أنّا تسير بجوارهم. ولكن بدلا من أن يعطفن على باب المقهى، واصلن السير حتى دخلن إلى الكنيسة الصغيرة التى كانت تبدو كما لو كانت ملتصقة بالكاتدرائية، حيث كان يوجد صليب رومانى قديم عليه تمثال للمسيح المصلوب. كانت أنّا تتذكره جيدا، فلطالما كانت تتأمله بإعجاب بالرغم من أصلها اليهودى.

وقفت ثلاثتهن تحت تمثال المسيح الصليب ليستدرن معا ناظرين إلى أنّا. كانت أنّا تقف أمامهن الآن كالمتهم أمام هيئة المحلفين فى المحكمة.

وبدأت إرنا بالحديث وتساءلت:" بم يتهمون المدعو "ى" هذا؟"

أجابت أنّا: " لقد كان يريد السفر إلى بودابست ليوفر لزميله لوكاش مكانا آمنا، بعدما قامت هناك ثورة ضد نظام ستالين ..."

فسألت إرنا: "وماذا بعد؟ ألم يسافر؟"

"لا. فقد حظر ذلك أعلى رأس فى الدولة."

"لكن لماذا؟"

" كان لوكاش رجلا ألمعيا، ولربما استطاع أن يعلن عن بعض آرائه فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية التى ربما قد يكون فيها خطورة على أعلى رأس فى الدولة أيضا."

بدا على وجه إرنا علامات الدهشة، ولكنها صمتت.

فى هذه اللحظة تحدثت ريبيكا سائلة: "وما علاقتك بهذا كله؟"

" لقد كنت واحدة من هؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا قد فكروا فى إرسال "ى" إلى بودابست لإنقاذ لوكاش".

"أكان لوكاش شيوعيا؟"

"نعم بالتأكيد، كان شيوعيا وعالم أدب شهير".

قاطعتها إرنا فى ارتياب: "فى القضية وردت فى سياق الحديث عنه كلمة مناهض للثورة."

أجابت أنّا بعصبية: "عزيزتى، خائن أو مناهض للشيوعية....هذه مسألة تتعلق بالزمن."

فسألت إرنا: " ولماذا كنتم تريدون أن يسافر "ى" بالذات؟"

أجابت أنّا: "إنه رجل أحوط وله خبرة كبيرة فى الأمور التنظيمية وزميل مجرب للقتال"

فتساءلت هيلا التى تحدثت لحظتها لأول مرة: "ربما كان عدوا للدولة؟"

نظرت إليها أنّا طويلا باحتقار ثم سألتها: "أمازلت تبحثين عن أعداء الدولة كما كنت تفعلين آنذاك"؟

أجابت هيلا: " هذا هراء. أتعتبرين التوبة مستحيلة"؟

"فى بعض الأحيان نعم".

قالت ريبيكا فجأة: "حسنا جدا. لقد نطقت أنّا بالحكم على نفسها. فهذا يعفينا من القيام بذلك".

تساءلت أنّا: "ماذا تعنين بذلك؟"

ولكن الفتيات الثلاث أومأن فقط برءوسهن وابتعدن عنها إلى بوابة المُصلى.

التفتت إرنا عند الباب مرة أخرى للوراء وقالت لأنّا: "أنت لست بالساذجة ولا بالغبية، فكرى فى ذلك جيدا".

صرخت أنّا فيها: "ولكن ما لدى لأدافع به عن نفسى...لماذا لا تستمعن إليه؟"

عندئذ كانت البوابة الثقيلة قد أغلقت من وراء ثلاثهن.

استدارت أنّا، وقالت فى مواجهة المسيح الصليب المعلق عاليا: "لقد كنتَ مرتين عند القهّار. إنك تعلم ذلك جيدا. لماذا لا تتكلم"؟

نظرت إلى أعلى وهى مقتنعة تمام الاقتناع بأن هذا الذى على الصليب سيجيبها، ولكنه ظل على صمته.

"لقد كتبت إلى زميل فى الغرب، إلى رجل مشهور فى العالم أجمع، بالرغم من أنى أعرِّض نفسى بذلك للخطر... وقد كان واضحا أنهم سوف يلتقطون الخطاب ويقرأونه. كان زوجى لاسلو فى خطر. فقد كان مراقبا فى كل خطوة يخطوها و فى كل حركة يأتيها. ومن يدرى؟ فأكبر الظن أنا أيضا. والآن لتقل شيئا."

وبالفعل تحدث المصلوب فى هذه اللحظة.

"ولكنه قد راق لك أن تجلسى مع الأعلى ومساعد الأعلى على طاولة واحدة. فقد رموك بالجوائز، بل وسمحوا لك بالسفر إلى البرازيل. كيف كنتم تسمون ذلك عندكم"؟

ردت أنّا بنبرة لا حياة فيها: "كوادر سفر"

"لقد راق لك أن يُحتفى بك فى المؤتمرات ... "

"إن مهمة الأديب الأولى أن ينقل للناس ما هو كائن بالفعل".

"أحقا هذا؟ هل تجرئين على كتابة قصة عن هذه المحاكمة"؟

"لا أدرى. حتما لن ينشرها أحد."

" قولى لى فقط شيئا واحدا: ما رأيك؟ ما هو واجب الإنسان ..."؟

ردت أنّا بمرارة: "الإنسان مخلوق ناقص. وما تطلبه هذا ليس إنسانيا".

أجاب الصوت: "أتعلمين أنه الشيطان. الشيطان أيضا له يد فى ذلك".

تساءلت أنّا: " إذن فأنت أيضا ترانى مذنبة"؟

أجاب المصلوب: "ليس لى أن أحكم عليك".

"إن الحكم لا يقع إلا فى يدك أنت".

غادرت أنّا المصلى.

لكن فى الخارج لم تكن مدينة ماينتس.

فى الخارج كانت برلين.

فى الخارج كانت حركة المرور فى المساء كما هى. كل شىء كان كما على حاله تماما. اختفى الشعور بالدوار. سارت فى هذه اللحظة بخطى واثقة دون أن تترنح.

كانت تكره نفسها. كانت تكره هذه الدولة. كانت تكره العالم بأسره.

ولكن عندما كانت تقف فى المترو وتتأمل الناس من حولها كانت تجد أن التعاطف معهم شىء حتمى. ولماذا لا يتعاطف الإنسان مع نفسه أيضا بالنظر لحقيقة أنه كُتب عليه أن يعيش فى مثل هذا المجتمع، فى مثل هذا العالم؟

شعرت فى نفسها بالعجز الكامل.

لا، لا يزال هناك شىء آخر. ليس بوسع أحد أن يطلق عليه الخلاص، كان أكثر منه شيء ما مثل الالتزام الصامت بالواجب، بعيدا عن الحلال والحرام. نعم، هكذا كان يمكن وصف هذا الشيء... أمام الحزب، أمام الناس، أمام المحكمة ...

عندما رجعت إلى منزلها، جلست أنّا أمام الآلة الكاتبة ووضعت فيها ورقة كتابة وزينت الورقة التى كانت ناصعة البياض إلى حد مخيف بهذا العنوان: "الرحلة الأخرى للفتيات الأموات". بعدما انتهت من النص قرأته مرة أخرى بإمعان. بدا لها أنه من الخطورة بمكان أن تضع النص مع بقية النصوص غير المنشورة فى الخزينة. فكان أن قامت بتمزيق الصفحات العشر إلى قصاصات صغيرة، وألقت بها فى أكبر مطفأة سجائر موجودة فى شقتها، ثم أشعلت فيها ثقاب الكبريت. عندما صارت القصاصات رمادا، وتصاعدت بعض أعمدة الدخان الرمادية، ابتسمت أنّا رغما عنها.

أنّا زيجارس Anna Seghers

ولدت فى ١٩/١١/١٩٠٠ فى مدينة ماينتس Mainz، وتوفيت فى ١/٦/١٩٨٣ فى مدينة برلين.



ولدت أنّا زيجارس فى التاسع عشر من نوفمبر من عام ١٩٠٠ فى مدينة ماينس، وكانت تدعى فى الحقيقة نيتى رايلنج Netty Reiling ثم حملت بعد ذلك اسم عائلة زوجها رادافانى. كانت أنّا زيجارس من أسرة يهودية ميسورة الحال. فوالدها كان يعمل بائعا للتحف الفنية وخبيرا فى الفن، وقد درست فى مدينتى كولونيا وهايدلبرج مادتى تاريخ الفن واللغة الصينية. فى عام ١٩٢٤ حصلت على الدكتوراه فى موضوع اليهود واليهودية فى أعمال ريمبرانت.

فى العام التالى تزوجت أنا زيجارس من الشيوعى لاسلو رادافانى László Radványi وسافرت معه إلى برلين، حيث كان يرأس مدرسة العمال الماركسية. فى عام ١٩٢٧ نُشرت لها قصة جروبتش Grubetsch على حلقات فى جريدة فرانكفورتر تسايتونج Frankfurter Zeitung ، حيث حصلت أنّا زيجارس فى عام ١٩٢٨ عن هذه القصة على جائزة كلايست Kleist-Preis بناء على توصية من الكاتب وصانع الأرغن الشهير هانز هينى يان Hans Henny Jahnn. فى العام نفسه ظهرت لها قصة أخرى وهى ثورة الصيادين فى مدينة سانت باربرا Aufstand der Fischer von St. Barbara.

فى عام ١٩٢٨ دخلت أنّا الحزب الشيوعى الألمانى (KPD). بعدها بعام أصبحت عضوا مؤسسا فى اتحاد كتاب البروليتاريا الثوريين. وعندما استولى النازيون على السلطة فى عام ١٩٣٣ هربت أنّا زيجارس عن طريق سويسرا إلى فرنسا، حيث انتهت من كتابة روايتها الصليب السابع Das siebte Kreuz هناك والتى تُعتبر أهم أعمالها. هرب الزوجان فى عام ١٩٤١ من مدينة مارسيليا على ظهر سفينة بضائع إلى نيويورك،

ومن هناك إلى كوبا والمكسيك. فى عام ١٩٤٢ رُحِّلت والدتها إلى مدينة لوبلين فى بولندا لتلقى هناك حتفها.

فى عام ١٩٤٣ أتمت أنّا زيجارس روايتها ترانزيت Transit. بعدها بعام أتمت كتابة قصة رحلة الفتيات الأموات Der Ausflug der toten Mädchen.

فى عام ١٩٤٧ عادت أنّا زيجارس عبر نيويورك والسويد إلى برلين، بمفردها فى بادئ الأمر. أما زوجها فلم يعد من المكسيك إلى ألمانيا إلا بعد ذلك بفترة طويلة. حصلت أنّا زيجارس على جائزة بوشنر Büchner-Preis ، وجائزة ستالين للسلام Stalin-Friedens-Preis. فى عام ١٩٥٢ تم انتخابها رئيسة لرابطة الكتاب فى جمهورية ألمانيا الديمقراطية. فى عام ١٩٥٤ سافرت أنّا زيجارس إلى الاتحاد السوفيتى.

فى عام ١٩٥٧ جرت محاكمة رئيس دار نشر أوف باو Aufbau-Verlag ڤالتر يانكا Walter Janka ، حيث حضرت أنّا زيجارس المحاكمة مشاهدة دون أن تتدخل لصالح المتهم البرىء. ولكنها على ما يبدو كانت قد حاولت قبلها أن تتدخل لصالح يانكا لدى رئيس مجلس الدولة ڤالتر أولبرشت، ولكن بلا جدوى.

فى عام ١٩٦١، وعام ١٩٦٣ سافرت أنّا إلى البرازيل. فى عام ١٩٧١ حصلت على الجائزة القومية لجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وفى عام ١٩٧٥ على جائزة الثقافة من مجلس السلام الدولى، وأصبحت المواطنة الشرفية لبرلين الشرقية.

فى عام ١٩٧٨ مرضت أنّا زيجارس مرضا شديدا، فتركت رئاسة رابطة الكتاب، وأصبحت رئيسا شرفيا لها. ولم تعلن مدينة ماينتس أنّا زيجارس مواطنة شرفية لها إلا فى عام ١٩٨١ . توفيت أنّا زيجارس فى الأول من يونيو من عام ١٩٨٣ فى مدينة برلين.

مقترحات للقراءة

لا غنى عن قراءة رواية الصليب السابع التى جعلت من أنّا زيجارس كاتبة مشهورة فى العالم أجمع، والتى تحولت لفيلم فى عام ١٩٤٤ بالفعل فى

الولايات المتحدة الأمريكية، أما قراءة قصة رحلة الفتيات الأموات فهى تعد بداية جيدة للتعرف على أعمال أنّا زيجارس الأدبية.

مزارات

كانت أنّا زيجارس تلميذة فى مدرسة الفتيات العليا فى شارع بيترشتراسه Petersstraße فى مدينة ماينتس. وبالقرب من مدينة ڤورمس Worms يوجد أحد معتقلات النازى والذى يحمل اسم أوست هوفن Osthofen ، حيث أوحى ذلك الاسم لأنّا زيجارس باسم المعتقل ڤيست هوفن Westhofen فى روايتها الصليب السابع. ويوجد فى برلين نصب تذكارى لأنّا زيجارس فى شارع أنّا زيجارس رقم ٨١ . وقد دفنت أنّا زيجارس فى جبانة دوروتين شدتيشن فى وسط برلين Dorotheenstädtischer Friedhofen in Berlin-Mitte.

ماكس فريش

بقلم فريدريك هِتمانّ

التعبئة

"كان يوما طويلا: فى الصباح كنت لا أزال أجلس إلى مائدة الرسم الهندسى، ثم العودة إلى المنزل، حيث كان كل شىء معدا، قهوة سريعة ثم العودة مرة أخرى إلى محطة القطار، ربع ساعة من الانتظار، حركة دائبة من جنود هنا وهناك. والآن ها هم ينتظرون هناك، ليس فقط على الناحية الأخرى من بلادنا، بل قل فى عالم آخر تماما. بدا الأمر كما لو كان الزمان قد قفز إلى الأمام، ولم يعد بالإمكان معرفة كيف يمكن أن ينظر إلى كلا الجزأين على أنهما وحدة واحدة"(١).

عندما وصل فى الكتابة إلى هذه النقطة توقف عن الكتابة. أصغى لشخير الزملاء الأربعة الراقدين معه فى العنبر، وقد ذهبوا فى سبات عميق. لم يكن هناك فى المبيت فى "تيسِن" إضاءة كهربائية. تم توزيع الشموع. لم يستطع النوم. هب من رقاده وبدأ فى الكتابة. الكتابة! مع أنه أنهى عهده بها. لماذا سمح لنفسه الآن أن يُجر إليها مرة أخرى؟ ولا شك أنه فى هذه الأوقات سيعد من قبيل الإسراف أن يشعل شمعة من أجل الكتابة. إذا استيقظ أحد من الآخرين فإنه بالتأكيد لن يفهم، لن يتفهم ضرورة الكتابة الآن. إنسان شاذ عن المجموع. فأى شيطان ذلك الذى دفعه للكتابة من جديد؟

لم تكن به أدنى رغبة فى أن يتورط فى مزيد من هذه الأفكار طالما استمر وحى الجمل فى التدفق. بدلا من ذلك دوّن الآتى: "من المتوقع حدوث هجوم ألمانى على سويسرا.

ولأكون صريحا فإننى خائف. أنا ممتن لكل ما يبدو عليه أنه سلاح. ولا يساورنى أدنى شك فى قواتنا المسلحة"[٢].

لماذا عاد يكتب من جديد؟ نعم، لا بد من أن يُوضح هذا الأمر أولاً. أراد أن يكون كاتبا فأصبح مهندسا معماريا. أقسم بينه وبين نفسه وقتها، أقسم أن يتوقف عن الكتابة. "كان يقصد ذلك بشكل جاد جدا. وانطلاقا من ذلك: لم يكن هذا القصد كافيا"[٣].

كان الليل قد انتصف فعلا فى تلك اللحظة. بالأمس، فى يوم الثالث من سبتمبر من عام ١٩٣٩ أدى اليمين العسكرية. بعد أداء اليمين سألهم النقيب رئيس البطارية كلهم عما كانوا يؤدونه من مهن حتى ذلك الوقت. "وقد كان رد فعله على إجابتى بأننى طالب هندسة معمارية: لأناس مثلك عندى لهم فى حالة الضرورة موقع خاص جدا"[٤] كان المقصود بحالة الضرورة هو ما ينتظر انتظارا لا يكاد يتطرق إليه الشك من أن تهاجم جيوش ألمانيا الهتلرية سويسرا. حسنا، كانت هناك خطة تنص على التخلى عن الوادى وانسحاب الجيش لحصن تحت الأرض فى جبال الألب حول منطقة جوتهارد. وللإنسان أن يتخيل ما يمكن أن يكون عليه الحال إن ظل محبوسا فى كهف هائل شهورا طويلة. تذكر صورة الكهف عند أفلاطون. ما نستشعره ليس إلا مسرحا لخيال الظل للواقع وليس الواقع نفسه، أما حقيقة الأشياء فتكمن هناك بالخارج، فى الضوء، هناك يمكن التعرف عليها. "إما أن يكون لدى قدرة على البقاء أو لا. سيكون من المؤسف ألا أرى البحر بعد ذلك، ليس كتابا أو امرأة، بل البحر"[٥]. إذن فالكتابة لها فائدة بوصفها عونا على البقاء، حيث كان على استعداد أن يمنح لها جواز المرور بهذه الصفة. فيما عدا ذلك كان لا بد لليمين الذى قطعه على نفسه من أعوام خلت أن يظل سارى المفعول.

"كل الخطابات والمخطوطات التى تكتب تظل مسخا. وتجدنا دائما نتشبث فيها بالأحداث، وليس نادرا بأصغرها، لأننا لا نستطيع الإمساك بالواقع الآخر. غير أن الواقع الحقيقى والمشقة يكونان فى انعدام الحدث نفسه"[٦].

أطفأ الشمعة، ونحى دفتر المذكرات وقلم الرصاص جانبا وتحسس طريقه إلى سريره المكون من بعض الألواح الخشبية. لم يجد للنوم سبيلا، هذا الإغراء بالكتابة من جديد، وربما بإعادة النظر فى الحكم المترتب على القسم، شغلا تفكيره مجددا وحرماه من الرقاد.

من الصعب تحديد بداية الطريق الذى أدى إلى القسم. هل كانت هى كيتة، تلك الطالبة من مدينة برلين التى تعرَّف عليها فى زيارته لألمانيا عام ١٩٣٣؟ كيتة التى أحجمت فى آخر الأمر عن أن تتزوجه. آنذاك تخيل أن الطريق لكى يكون كاتبا يمر عبر بوابة الصحافة.

وقد كتب فى انطباعاته عن ألمانيا آنذاك الآتى: "من قديم الأزل كانت الشخصية الألمانية، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى عموم الشعب، تتأرجح ما بين إحساس بالدونية وثقة متضخمة فى الذات"[٧]. عندما يتأمل هذه الجملة الآن تبدو له متغطرسة. قد يكون صحيحا أنه لم يدوّن سوى مشاهداته آنذاك، ولكنه كان من غير اللائق أن يصدر مثل هذه الأحكام المختصرة عن شعب بأكمله. أما ما يخص النازيين فلم يجانبه الصواب. فجمل دوّنها فى عام ١٩٣٥ فى أثناء زيارة أخرى لبلد تقاسمت معه سويسرا لغة فصحى مشتركة تجد لها مسوغا حتى إلى يومنا هذا: "فى إحدى مكتبات الحزب رأيت اليوم كل الرءوس التى لم أكن أعرفها سوى من الأقاويل: هتلر، فريدريش الأكبر(*)، بالإضافة إلى هندنبورج(**) وهورست فِسِّل المقدس(***)، وبين كل كتب الحرب والكتب النثرية كان يقبع ثلاثة سيوف لامعة"[٨].

(*) فريدريش الأكبر Friedrich der Groβe 1740-1786 قيصر ألمانى كان له الفضل فى الارتقاء ببروسيا إلى مصاف القوى الأوربية الكبرى. (المترجم)

(**) هندنبورج Hindenburg 1847-1934 من أبرز قواد ألمانيا العسكريين فى الحرب العالمية الأولى. كان ممن مهدوا الطريق لنشأة النازية. (المترجم)

(***) هورست فِسِّل Horst Wessel 1907-1931 من أشد الطلبة المتحمسين للنازية، قدسته النازية بوصفه شهيدا بعد الحادث الذى لقى فيه مصرعه. ألف نشيدا بعنوان "ارفع العلم عاليا"، جعلته النازية السلام الوطنى الثانى لها. (المترجم)

أطلت صورة كيته ثانية لتحتل مكانها قبل هذه الذكريات. آهٍ، لكم كانت تلك المرأة مهمة له! رأى نفسه جالسا معها فى أحد المطاعم فى مدينة نونبِرج، أطلت من زجاج نافذته لوحة تقول "اليهود غير مرغوب فيهم!" تعمد أن يتجاهل هذه اللوحة، وأن يدخل المطعم بالرغم منها. غير أن الطعام - رغما عنه - لم يرق له على الإطلاق. وفى مرة أخرى استوقفهما فى محطة قطار بادنِ فى مدينة بازل أحد رجال شرطة النازى، وسأله عن مهنته. "صحفى"، أجابه ماكس. غير أن ضابط الشرطة رد فى سخرية لاذعة مشيرا إلى كيته: "وهذه اليهودية تمدك ولا شك بفظائع القصص".

كانت كيته تدرس فى زيورخ. أما المال اللازم للدراسة فقد كان يأتى من عم مقتدر، عالم آثار من القاهرة. فى هذه الأعوام كانت تقطع المسافة إلى بريمن ذهابا وعودة لزيارة والديها. وبالنظر إلى المعاناة التى كان يتعرض لها اليهود فى الرايخ الألمانى قالت له: "لا يحق لك بالرغم من ذلك أن تفكر بشكل سيئ فى ألمانيا". بعدها عرض عليها الزواج. أما الجملة التى بررت بها رفضها للزواج منه فمن غير المنتظر أن يسهل عليه نسيانها: "لا شك أنك ستتزوجنى فقط لتحمينى، وليس لأنك تحبنى".

بعدها بفترة قصيرة غيرت الجامعة وانتقلت إلى بازل.

كيف يمكن للإنسان أن يقنع أحدا أنه يحبه حقا وصدقا؟ ثم ماذا يمكن أن تعنى مثل هذه الجملة، حتى لو نطقها الإنسان بكامل الاقتناع؟

ربما رفضت كيته عرضه بالزواج منها لأنها كانت تعرف تمام المعرفة أنه لم يخلق للزواج، وأنه كما يبدو لم يستطع التخلص من شك ما تجاهه.

ثم يا ترى ماذا سيكون رأيك فى رجل عبر عن الحياة المشتركة الدائمة مع امرأة على النحو الآتى: "الزواج آية من الآيات. هو ممكن طالما أنك لا تطلب منه المستحيل، طالما تجاوزت الوهم بأن فى مقدوركما أن تفهما بعضكما البعض، بأن من الحتمى أن تفهما بعضكما البعض، طالما توقفت عن النظر إلى الزواج على أنه وسيلة ضد الوحدة"(٩).

ربما أيقنت - هكذا دار به الفكر وهو على السرير الخشبى - أننى صغت هذه الجمل على أنها معرفة من المعارف، لكننى لم أستطع أن أعيشها حتى لحظة كتابتها

بأى حال من الأحوال. ربما لاحظت أن لى دائما فى العلاقات الإنسانية متطلبات كثيرة للغاية، أننى أطلب المستحيل. الكتابة - غرق فى مزيد من التأملات - هى أيضا بديل عن الحياة وإمكانية للالتفاف على نواقصنا.

وإذا كنت قد توقفت عن الكتابة فليس إلا لأننى أيقنت حينذاك أننى لم أكن على مستوى ما أتطلبه.

يا لها من مادة أدبية غبية، تلك التى اختارها لكتابه بعنوان يورج راينهارت. رحلة قدرية صيفية. بدأ العمل فيه من صيف عام ١٩٣٣ حتى ربيع عام ١٩٣٤، ليظهر الكتاب أخيرا فى عام ١٩٣٤ فى مؤسسة النشر الألمانية. "كان هناك كثير جدا من النصوص، لأرانى بعدها أتوقف، كانت أجزاء نشرت على صفحات الفن لصقتها لصقا"[١٠]. بطبيعة الحال لا يصح ذلك، عرف ذلك أيضا بمرور الوقت. لكنها العزة بالإثم، أحد أكثر أعداء الحقيقة خبثا. كما أنها كانت ضرورة حتى يثبت هذا الرجل الشاب أخيرا للعالم أنه ليس بفاشل.

نظر فى رقاده إلى حدث الرواية على أنها مخزية على طول الخط. تدور القصة فى الصيف، فى مدينة راجوسا، فى إيطاليا، فى فندق صغير على البحر. راينهارت، بطل القصة، يتعرف فى الجنوب المشمس على ثلاث نساء: دوقة هولندية، الخادمة هيلده، والأبنة المريضة لصاحبة الفندق. ثلاث مرات يفشل البطل. هرب من أمام السيدة الأولى، منقذا نفسه من عرضها لقضاء ليلة متعة معه بالقفز فى الماء البارد. أيضا مع الثانية تسير الأمور مع الاثنين إلى السيئ بطريقة مضحكة فى غرابتها. مع الثالثة يتحدث راينهارت كثيرا عن خجله، عن تردده الذى يعرف كيف يبرره أمام نفسه بطريقة عقلانية تماما:

"عندما لا تكون الليلة الأولى مع سيدة فذلك حدث يمنح أخيرا كل الأشياء فى هذا العالم معنى ذا مغزى، عندما يتوجب عليك الاستيقاظ ولا تجد نفسك إنسانا جديدا، عندما لا تعنى المرأة السعادة: لا أعرف أين يجب على الإنسان أن يبحث عن السعادة إذن"[١١].

لم يدرك وقتها بعد فكرة أن الحياة، الحياة الحقيقية، ليس بالضرورة أن يكون لها ارتباط ما بالسعادة.

غير أنه نظر إلى الأمر فى لحظة رقاده بشكل مختلف: أكثر عقلانية وبذهن صاف. هكذا أفضل. غير أن هذا الكتاب الذى سبب له رعدة فى لحظة رقاده والذى حمله هو الآخر مسئولية رفض كيته كان به مشكلة أخرى، فقد دفعه ميله إلى المأساة أن يحسّن من وضع حدث الرواية عن طريق بعض التأملات الفلسفية، ذلك الحدث الذى لا شك أنه أيقن ضعف حبكته.

عندما عاد راينهارت بعد غياب طويل إلى راجوسا وجد ابنة صاحبة الفندق وهى تُحتضر، فما كان من راينهارت إلا أن ساعدها على الموت. كان هذا الموضوع وقتها شائكا خاصة أنه بعدها بوقت قصير تسللت إلى سويسرا أنباء عن برنامج النازية للتخلص من المرضى.

احتاج الأمر لبعض الوقت حتى استطاع ماكس أن يكبت ما كان به من خيلاء. فى أثناء ذلك ظهر له كتاب آخر صغير الحجم بعنوان رد من بين ثنايا السكون، والذى يحكى قصة أحد المدرسين الذى ينفصل عن خطيبته والذى يتضح له فى أثناء صعود الجبل حقيقة ماذا يريد: "حياة حقيقية، حياة بلا تعوّد ... حياة كما تعرفها أشواقنا، حياة جديدة ومختلفة، حياة تستحق أن نحياها".

فى ذلك الوقت كان ماكس لا يزال يراهن على الأدب، حيث أرسل خطابا إلى الأديب المشهور هرمان هيسه ليحرك عنده الاهتمام بعمله الأدبى الجديد خاصة أنه عرف أن هسه قد تناوله بالعرض: "أقصوصتى صغيرة جدا، لأنى لم أرد أن أتخطى الحدود التى أريد أن أحققها فعلا فى الوقت الحالى. غير أن هذا الإحساس بعينه أنه ليس شيئا فخما أو ادعاء بذلك، إن هذا الإحساس لم ينشأ بدافع الطموح – كما أظن – يمنحنى الشجاعة فى أن أعرضه عليك وفى أن أنتظر هل سأحظى برد"(١٢).

غير أن هسه الشهير لم يرد. وربما كان هذا هو آخر المسببات لقراره. "أنهيت عهدى بالكتابة الأدبية: عرفت أنه من ناحية المبدأ أساسا لم يكن عندى ما يكفى من الموهبة، وحرّقت كل الأوراق، المكتوب والخالى منها تحريقا مع آمالى الزائفة"(١٣).

كان عمره آنذاك ستة وعشرين عاما. كان نكرة. فى عيون العالم البرجوازى. كان قد أضاع وقتا لا حصر له، بتقارير صحفية عن بطولة العالم لهوكى الجليد فى براغ، باقصوصتين زاد فشلهما أو نقص. قرأ للمرة الأخيرة قصة "هاينريش الأخضر" للأديب

جوتفريد كيلر، التى تحكى هى أيضا قصة رجل شاب أراد أن يكون كاتبا، حيث يتحرر من ضيق الأفق السويسرى، ويمضى بعيدا - ويفشل.

مر بخاطره أنه بالرغم من عدم وجود أى قانون مكتوب من قوانين المجتمع البرجوازى، ولكنه مع ذلك قانون سارى المفعول تماما: على الإنسان أن يكون ناجحا، بشكل أو بآخر، هكذا كان يقال. الفشل لم يكن له مكان. الفشل كان ذنبا.

أما ما يتعلق بخطته لحياته والتى لا شك أنه وضعها آنذاك، فقد أسعفه فيها الحظ. كان عنده صديق حميم كان على أتم الاستعداد أن يعطيه سنويا ٤٠٠٠ من الفرانكات ليبدأ دراسة الهندسة المعمارية فى المعهد العالى السويسرى للهندسة فى زيورخ. كان الطريق المهنى الوحيد الذى كان مستعدا لقطعه بلا نفور، ربما لأن والده كان هو الآخر مهندسا معماريا.

عندما كان طفلا كان يتردد بشكل متكرر على مكتب والده؛ ليريه فيما بعد المبانى التى انتهى منها، وهو الأمر الذى خلّف عنده شيئا ما كالسحر لعمل المهندس المعمارى. ففى بادئ الأمر ليس هناك سوى بعض ضربات من قلم، بعض خطوط، بعض رسومات وأوراق مليئة بالأعداد - لتكون فجأة شيئا يمكن الإمساك به والتجول بداخله. إذن فقد درس الهندسة المعمارية ليبدأ بعدها بقليل أيضا العمل فى مكتب للهندسة المعمارية بجانب دراسته.

وفى هذا الوقت أتت إذن الحرب.

مجددا وردت على ذهنه بعض الجمل أراد أن يسجلها: "لأول مرة نعتقد فى وجود الشتاء، دون أن نعتقد قبلها فى وجود الربيع على الإطلاق"، ثم هذه الجمل: "ماذا يعنى السلام لنا طالما كان ملك أيادينا؟ أنركع أمام الشمس بدون ظلام الليل ؟ كيف نعى فى أى وقت من الأوقات معنى الوجود بدون هلع الموت ؟ كل ما فى الحياة ينمو من بين ضلوع الخطر"(١٤).

هكذا كان الأمر إذن، هذه الحرب، كانت أمرا جادا. انتزعت منه هذه الحرب الجمل انتزاعا. لا مفر له من أن يكتب من جديد.

وإذا بدأ فى الكتابة الآن فلن تكون انطلاقة خاطئة كما كان الأمر سابقا.

بهذا الشكل من أشكال التبصر تسلل إليه النوم.

ماكس فريش Max Frisch

ولد فى ١٩١١/٥/١٥ فى زيورخ، وتوفى فى ١٩٩١/٤/٤ فى زيورخ.



ولد ماكس فريش فى الخامس عشر من شهر مايو من عام ١٩١١ فى مدينة زيورخ . كان الأب برونو فريش Bruno Frisch يعمل مهندسا معماريا، أما الأم بيتى ڤيلدرِموت Betty Wildermuth فقد كانت تعمل قبل عقد القران مربية للأطفال فى مدينة أوديسا الأوكرانية. لم يكن فريش التلميذ محبا للقراءة لكنه كان مغرما بالمسرح. كان يسأل نفسه: "لماذا لا يذهب الناس الذين معهم ما يكفى من المال، وليس عندهم واجبات منزلية كل مساء إلى المسرح"؟(١٥) فى عام ١٩٢٧ أرسل أول عمل مسرحى له بعنوان الحديد الصلب Stahl إلى المسرح الألمانى فى برلين، غير أن ماكس راينهارت Max Reinhardt رفض المسرحية.

فى عام ١٩٣٠ بدأ فريش فى دراسة علوم اللغة الألمانية وآدابها . فى عام ١٩٣١ وجب عليه الالتحاق بمدرسة المجندين. فى مايو من العام نفسه ظهرت له فى جريدة زيورخ الجديدة Neue Zürcher Zeitung (جريدة) أول أعماله المنشورة بعنوان المدونة الأوركسترالية الإيمائية Mimische Partitur.

فى عام ١٩٣٢ توفى والد فريش ليقطع ماكس فريش دراسته. فى حديث مع رئيس الصفحة الفنية لجريدة نويه تسوريشِر تسايتونج طرأت على رأسه الفكرة: "ماذا سيحدث لو كتبت روايات؟ أو قصصاً؟ أو أعمالاً كوميدية"؟

فى عام ١٩٣٢ سافر فريش مراسلاً صحفياً لبطولة كأس العالم فى الهوكى فى براغ، وبعدها واصل سفره إلى بلجراد، ودوبرُڤنيك، وإسطنبول، وأثينا، وروما . وبدلا من الأسبوعين المخطط لهما استمرت الرحلة نصف عام. فى العام الذى يليه ظهرت فى مؤسسة النشر الألمانية Deutsche Verlagsanstalt أولى روايات فريش بعنوان يورج راينهارت Jürg Reinhart.

فى عام ١٩٣٥ زار فريش ألمانيا لأول مرة، حيث كتب عن زيارته تلك فى جريدة نويه تسوريشر تسايتونج بعنوان دفتر المذكرات الصغير لرحلة ألمانية Kleines Tage-buch einer deutschen Reise . كانت علاقة الحب التى جمعته باليهودية كيته روبين زوون Käte Rubinsohn قد تحطمت، وكان فريش قد قرأ رواية هاينريش الأخضر Der Grüne Heinrich لصاحبها جوتفريد كيلر Gottfried Keller، حيث تسبب خاطر أن يفشل كما فشل بطل هذه الرواية فى صدمة عنيفة لفريش مما دعاه إلى مواصلة دراسته مرة أخرى. بدأ بعد ذلك فى دراسة الهندسة المعمارية، حيث دعّمه صديقه ڤيرنر كونينكس Werner Coninx، وهو ابن لأبوين مقتدرين، ماليا بمبلغ ٤٠٠٠ فرانك سنويا.

فى عام ١٩٣٧ ظهرت له قصة ردٌ من بين ثنايا السكون Antwort aus der Stille، حيث منح بسببها جائزة كونراد فيرديناند ماير Conrad-Ferdinand-Meyer-Preis لمدينة زيورخ. ومع ذلك كان يساوره الشك فى قدراته كاتبًا. نذر فريش أمام نفسه ألا يعود للكتابة، إلا أنه لم يف بهذا النذر فى هذا اليوم الذى أعلنت فيه التعبئة العامة لسويسرا. وفى الفترة التى خدم فيها فريش خدمة نشيطة جندى مدفعية نشأت فى ٦٥٠ يوما حتى عام ١٩٤٥ أوراق من جُوال الخبز Blätter aus dem Brotsack.

فى أثناء إحدى الإجازات حصل فريش على دبلوم الهندسة المعمارية. فى عام ١٩٤٢ تزوج فريش من المهندسة المعمارية جيرترود أنّا كونستانس فون مايّنبورج Gertrud Anna Constance von Meyenburg. فى هذا العام فاز فريش من بين ٨٢ متسابقا بعقد بناء مجمع حمام سباحة مدينة ليتسى جرابِن Letzigraben. فى عام ١٩٤٣ رزق بابنته اورزولا Ursula، وبعدها بعام بابنه بيتر Peter.

فى ذلك الوقت نشأت رواية أعشق ما يحرقنى أو صعاب الناس J'adore ce qui me brûle oder Die Schwierigen، وقصة بِن أو الرحلة إلى بكين Bin oder Die Reise nach Peking. بتشجيع من كورت هِرشفلد Kurt Hirschfeld المعد الدرامى لبيت تمثيل زيورخ بدأ فريش فى الكتابة للمسرح. فى عام ١٩٤٥ وكانت الحرب العالمية

الثانية لا تزال تدور رحاها عرض بيت تمثيل زيورخ مسرحية "ها هم يغنون من جديد" Nun singen sie wieder ، كما عرضت مسرحية سانتا كروز Santa Cruz فى زيورخ عرضها الأول.

كان فريش لا يزال يعمل حتى ذلك الوقت مهندسا معماريا. فى عام ١٩٤٧ استطاع فريش أخيرا البدء فى بناء حمام سباحة مدينة ليتسيج جرابن. بجانب ذلك كان فريش يكتب فى مذكراته، حيث ظهر له مذكرات مع ماريون Tagebuch mit Marion. فى عام ١٩٤٩ رزق بابنته شارلوتّه Charlotte.

فى عام ١٩٥٠ ظهرت له المذكرات ١٩٤٦-١٩٤٩ Tagebuch 1946-1949. فى عام ١٩٥١ عرضت له مسرحية الدوق أوديرلاند Graf Öderland عرضها الأول. حصل فريش على منحة لدراسة الدراما من مؤسسة روك فلّر Rockefeller-Stiftung ليسافر لمدة عام إلى الولايات المتحدة الأمريكية. بعد العودة إلى سويسرا ظهرت له رواية شتلّر (Stiller) ، حيث تمثل جوهر الرواية فى الجملة الآتية: "الإنسان يستطيع رواية كل شىء إلا حياته الحقيقية".

أصبح ماكس فريش بعدها كاتبا يُحتفى به. حصل فريش على جائزة ڤيلهلم رابه Wilhelm-Raabe-Preis ، وعلى جائزة شيللّر(Schiller-Preis)، وعلى جائزة بوشنر Büchner-Preis. أما رحلته الثانية إلى أمريكا فقد ألهمته أحداث روايته الإنسان الصانع. Homo faber كما عرضت مسرحيته بيدر مان ومشعلو الحرائق Biedermann und die Brandstifter عرضها الأول.

فى باريس تقابل فريش مع الكاتبة إنجبورج باخّمان، ويطلق من زوجته أنّا كونستانس فون ماينّبورج، ليستقر مع إنجبورج باخّمان فى روما. احتفل فريش بعيد ميلاده الخمسين فى اليونان. أما مسرحيته أندورا Andorra فقد توجت بكثير من الجوائز.

أعقب تلك المسرحية روايات، وقصصًا، ومذكرات، ومشروعات سينمائية. وقد اشتهر من أعماله " اسمى جانتن باين " Mein Name sei Gantenbein، و" يظهر الإنسان فى عصر الهولوسين " Der Mensch erscheint im Holozän ، و" ذو اللحية الزرقاء " Blaubart، و" ڤيلهلم تِل للمدرسة " Wilhelm Tell für die Schule.

كان لماكس فريش مداخلاته فى الحياة السياسية. وعندما وقعت ما تسمى باضطرابات زيورخ احتجاجا على إغلاق أحد بيوت الشباب عمل فريش معلقًا سياسيًا فى جريدة Weltwoche العالم الأسبوعى. وفى خطابه سويسرا وطنًا Die Schweiz als Heimat بمناسبة منحه جائزة شيللر الكبرى أبدى فريش تأملاته عن الوطن والهوية، عن التفريق بين حب الوطن والتعصب له الذى وصفه على أنه النقيض من الوعى بالذات. كما كانت له مداخلاته فى الحوار الدائر عن ضرورة وجود قوات مسلحة فى سويسرا.

فى مارس من عام ١٩٩٠ أُكتشفت إصابة ماكس فريش بسرطان الأمعاء، حيث أُجريت له جراحة طلب بعدها أدوية مساعدة على الموت. فى الرابع من أبريل من عام ١٩٩١ توفى ماكس فريش. "كان يؤمن بأن الروح تشغل حيزا مكانيا، وأنها تتحلل بعد الموت؛ لذلك أوصى بأن يبعثر رماد جسده فى الهواء، أن يُسلم إلى الهواء والأرض". Urs Bicher über Max Frisch.

مقترحات للقراءة

ما أمكن ذلك، ينصح بمشاهدة مسرحيته أندورا على المسرح. أما من أعماله النثرية، فينصح فى المقام الأول بقراءة أقصوصته ڤيلهلم تِل للمدرسة، ورواياتيه شتلّر، وهومو فابِر. فضلا عن ذلك يجدر القراءة فى المذكرات.

مزارات

فى زيورخ يمكن مشاهدة البيت الذى ولد فيه ماكس فريش والمدرسة الثانوية للعلوم واللغات تسوريش بِرج Zürichberg. أما من يهتم بالمهندس المعمارى فريش وجب عليه أن يزور الإستاد الواقع على أطراف مدينة ليتسى جرابِن (ليتسى باد) Letzibad. وفى بيرتسونا Berzona ، فى وادى أُنوزيرنونه تال Onsernonetal فى ولاية تِسين Tessin يمكن مشاهدة المنزل الذى عاش فيه ماكس فريش. ومن الممتع أيضا التجول فى الطريق الذى سار فيه الرجل العجوز فى قصة يظهر الإنسان فى عصر الهولوسين.

هاينريش بول

بقلم فريدريك هتمانّ

أحدهم يصنع سلامه

هذا الرجل الراقد على الحشائش يدعى هاينريش. سطعت شمس الربيع على أنفه. يضع سلاحه بجانبه وبجاره صندوق معدنى مطلى بلون الزيت. كانت هذه هى الأشياء الوحيدة على امتداد البصر التى تذكره أنها الحرب. كان يراقب النمل الذى يحمل بجد واجتهاد شيئًا ما إلى كومة ما، والطيور التى انشغلت ببناء العش. رأى هناك على حافة الغابة بين الأشجار المورقة ، عدة أشجار كرز برى تكاد تزدهر، وَدَّ لو يُدخل الخيوط البيضاء فى البراعم الخضراء ولكن الأشجار كانت بعيدة عنه. كان يرتدى زيا عسكريا متسخًا ، ففى اليومين الأخيرين تم تكليفه بالعمل مراسلاً. وكثيراً ما حاولت الطائرات منخفضة الارتفاع اصطياده ماشيًا أو واقفًا ، وحينئـذ اضطر لأن ينبطح أرضًا. والآن أرسلوه إلى المقدمة. يساراً بجانب ذلك الجزء من الغابة الذى تنتشر فيه أشجار الكرز البرية يقع مرج يتدرج هابطًا حتى مجرى نهر. من هنـاك سيهاجمنا الأعـداء. غالبًا ما ستكون دبابات أمريكية تزحف صاعدة من ذلك الاتجاه. على البعد كانت تبدو مثل الضفادع الكبيرة التى كان يصطدم بها بين الحين والآخر عندما كان يقلب أرض حديقة والديه فى منزلهم.

أما الصندوق المعدنى الذى بجوار السلاح فقد كان وعاءً لتليفون الميدان الذى يربطه بمركز القيادة الذى كانت أوامره تقضى بأن يتصل بهم حينما تظهر الدبابات؛ لكى تفتح المدفعية التى تقع فى الخلف النار. كان كل شىء يبدو له فى الحقيقة نوعًا

من الجنون الكبير. كان الكل يعلم أن هذه معركة خاسرة ولكن قبل أن تنتهى تماماً لابد أن يفقد الآلاف حياتهم، لماذا؟ فقط لان هناك أوامر يجب أن يطيعها الجندى. لقد رأى العديد من الرفاق الذين لم يطيعوا الأوامر و هربوا من الجندية فشنقوا ، أو أُعدموا رميًا بالرصاص على سور خلف المقابر. حتى جثثهم لم تدفن؛ خونة الوطن. إنه يتذكر منظر جثة ممتد ذراعها على حافة حفرة ناتجة عن قنبلة؛ ليس هارباً من الجندية ولكنه مراسل مثله وقع فى مرمى نيران مدفعية العدو.

استقر فى ذهنه أنه لا يفزع من الموت قدر ما يفزع من صور الموتى؛ فهم مستقرون فى ذاكرته يطفون على سطحها حينما يكون لديه وقت لإمعان الفكر مثل الآن. أما فكرة أن يهرب هو نفسه من الجندية فقد راودته أكثر من مرة ، وكان دائمًا ما ينبذها. ولم يمثل له الحنث بقسمه للقائد والوطن أية مشكلة، فهذا القائد كان مجرماً والوطن – إذا كان هناك ما يدعى كذلك – يُخدم بشكل أفضل لو حل السلام قريبًا ، ولكنهم الرفاق. فقد كان يتصور دائمًا أنه يعرض الآخرين للمخاطر لو ولى هاربًا. أما هنا فالفرصة مواتية؛ فلن يؤذى أحداً بشكل مباشر، لو أنه لم يعلن عن ظهور أول الدبابات. فقبلما يرسلونه إلى هنا سمع فى مركز القيادة حديثًا بين الضباط الملتفين حول خريطة الموقع. وقد سمع أحدهم يقول إن قوة وحدات الدبابات الأمريكية تفوقهم ، بحيث إن الكتيبة كلها ستباد عن بكرة أبيها إذا لم تنسحب. فرفع الآخر كتفيه وأوضح : "إنها أوامر من جروفاتس شخصيا". وقد اعتاد هاينريش على ألا يلفظ أحد قط اسم القائد الأعلى للمعركة ، وأن يطلق عليه فى الآونة الأخيرة هذا الاسم سخريةً. وجروفاتس هى الأحرف الأولى من كلمات عبارة: "أعظم قائد حربى على مر العصور". يا إلهى ! هؤلاء السادة لا يتسمون بأى قدر من الشجاعة. هذه الألقاب الساخرة هى كل ما سمحوا لأنفسهم به ، وفى آخر الأمر يطيعون شعارات الصمود الآتية من أعلى ، حتى لو كان الأمر يعنى أن يفقد بضعة آلاف من الرجال هنا وهناك حياتهم، ورغم يقينهم بالطبع بخسارة كل شىء.

أثار تصور أن هتلر شخصيا قد أصدر الأوامر إلى الكتيبة قدراً لا بأس به من السخرية لديه ، حتى إنه اضطر لأن يكتم ضحكة ساخرة ، لما فى الأمر من عبثية.

ويبدو أن الضابط الذى يقف منحنيًا على الخريطة فى الناحية المقابلة له "بالورب" قد لاحظ تقلصات عضلات وجهه ، لأنه انتصب واقفًا بحركة فظة وانطلق بصوت كالصرير قائلاً : "ما الذى يضحكك ؟ سأعمل على أن تزول عنك أسباب سرورك. راتسك، ابعث بهذا الرجل إلى أحد مواقع مراقبتنا الأمامية". هذا ما حدث صباح اليوم فى مركز القيادة الرئيسى. وقد خطر على بال هاينريش مشهد آخر يعود لزمن أطول من ذلك بكثير ، لعدة سنوات مضت. فقد سمع مدرس الألمانية الواقف أمام فصل ترتسم على شفاه تلاميذه ابتسامة صفراء صائحًا: "ما الذى يضحككم ؟ ستزول عنكم جميعًا أسباب السرور". وقد أمكن له أن يحدد بدقة كبيرة توقيت هذه الصيحة وسببها. نهاية شهر يناير عام ١٩٣٣ قبل انتخاب أدولف هتلر لمنصب المستشار بقليل ، كتب زميل هاينريش فى الفصل ديتر لينهوف قبل بداية الحصة الأولى على السبورة : هتلر يعنى الحرب! وما كاد مدرس اللغة الألمانية يدخل الفصل ويقرأ هذه الجملة حتى صاح : "فليمسح أحدكم هذا فوراً". ثم نظر فى وجوه عديدة ساخرة و تلاها بتلك النبوءة الشجاعة ، أنه سيذهب عنهم جميعًا الضحك. ورغم أنه لم يكن هناك مجال الحديث عن "التوحد مع فكر الجماعة" فى ذلك الوقت فإن ديتر لينهوف قد فصل من المدرسة. ليس لأنه قد حذر من النازيين ولكن أكثر من ذلك لأنه – كما جاء فى التقرير الكتابى – "فى مدرستنا يعد كل نوع من البروباجاندا ليس فقط غير مرغوب فيه بل أيضًا – كما هو معلوم للتلميذ – ممنوعًا قطعيا". اقترب هاينريش حينئذٍ من مصير لينهوف اقترابًا شديداً ، خاصة أنه لم يكن فى المدينة كلها مدرسة أخرى على استعداد لقبول ذلك التلميذ المشاغب. ولكن ولحسن الحظ استطاع أحد معاونى القسيس بعد سنة أن يعمل على قبول لينهوف فى مدرسه ثانوية تابعه للكنيسة فى مدينة أخرى.

وتذكر هاينريش الآن أيضًا حواراً أجراه فى ذلك الوقت مع لينهوف ، فقد قال للينهوف: "ألم يكن واضحًا لك أنك تلقى بنفسك إلى التهلكة ؟". فكانت إجابته : "هذا ما تحتم أن يكون".

ولم تهدئ هذه الإجابة من روع هاينريش، "ولكن أن تقامر بحصولك على الثانوية العامة... وبالدراسة...أن تفسد كل شىء على نفسك...". ولكن لينهوف كرر إجابته :

"هذا ما تحتم أن يكون". في ذلك الحين استشعر هاينريش أن هذا الموقف حاد أكثر من اللازم، بل أكثر من ذلك لا فائدة ترجى منه.

كان هاينريش قارئًا نهمًا وفي يوم ما وقع في يديه مجلد به عدة قصص لهيرمان ميلفيل، ووجد فيه أحد أحب الأعمال إلى نفسه الذي يقول فيه الكاتب بارت لبي جملة عجيبة : "لا أحبذ". مقاومة هادئة ولكنها عنيدة لأوامر محددة : "لا أحبذ". لم يكن بارت لبي هذا حادا ولا عدوانيا. كان يعي تمامًا غموض إبائه بالنسبة للآخرين ، وكذلك كان على وعي تام بقابلية نفسه لأن تجرح. (لا أحبذ). كانت كلٌّ من إجابة لينهوف وإجابة الكاتب في قصة بارت شديدة الغرابة؛ أما إجابة لينهوف، فهي، وإن لم تكن غامضة تمامًا، ليست من الكياسة في شيء. وأما رد فعل بارت لبي، فقد أعجبه فيه الطريقة التي قُدم بها ، فقد خلقت هذه الجملة شخصية الرجل سواء في شكله الخارجي أو في عالمه الداخلي أمام القارئ. جملة واحدة تكفي ...

ولكن الآن ، وبعد خبرة ما يقرب من خمس سنوات من الحرب، فإن هاتين الجملتين اللتين تطفوان على سطح ذاكرت هاينريش تعنيان له معاني عدة مختلفة تمامًا : نعم، لقد فهم الآن ما قصد لينهوف في ذلك الحين عندما قال : "هذا ما تحتم أن يكون". والآن فقط اتضح له أن بارت لبي قد صد بعبارته "لا أحبذ" كل إساءة وكل مساس بكرامته. والجملتان تدفعان هاينريش في هذه اللحظة لاتخاذ قرار ما هو بذكي ولا متعقل بل إنه قد يبدو في عيني بعضهم جبنًا وخسة بل حنثًا بالعهد. ولكن بلى ، هذا ما يتحتم أن يكون. يتحتم أن يكون من أجل الأطفال الذين قد ينجبهم من تلك السيدة التي تنتظره هناك في منزلهم. يتحتم أن يكون لأن هذه هي الإمكانية الوحيدة للاعتراض و لتحقيق الكرامة في عصر بلا كرامة، وفي مؤسسة سوف يطلق عليها بعد انتهاء الحرب إجرامية بمعنى الكلمة. ارتسمت على وجهه ابتسامة جريئة. لديه قدر ضئيل من المجازفة يسمح له بما انتوى. ليس بلا خوف على الإطلاق، ولكنه اعتاد في هذه الأثناء إحساس الخوف. وقد ثبت له في السنوات الماضية أن مزحة قد تهدئه أو تعطيه شعورًا بالأمان. ولذا فقد قرب الصندوق ذا التليفون الميداني إليه ورفع السماعة

و أدار المنقلة. فرد عليه مركز القيادة : "هل هناك جديد ؟" سأله الصوت على طرف السماعة الآخر بتجهم. وعرف هاينريش الرجل الذى رد على التليفون فهو من كولونيا مثله. فقال بهدوء " النمل ، براعم الكريز.... ولا تزال الحشائش رائحة المطر الذى تساقط فى الليلة الماضية". رد عليه الصوت بعد لحظة من الاندهاش: "ماذا ؟ اسمع ... أيها الزميل ألم تصب بالخبل؟" فرد قائلاً "لا، ولكنى سأرحل الآن .. سأترك السلاح فى مكانه وكذلك تليفون الميدان. يمكنكم إحضار السلاح والصندوق لاحقًا. فالوضع مستقر هنا فى هذا الموقع".

- "ماذا...؟"

- "سأنفض يدى من الأمر كله"

- "لا ترتكب حماقة أيها الزميل"

- "لا أعتقد أنها حماقة...."

- "اللعنة ... ما الذى أصاب عقلك ؟" لا يزال صوت زميله ذا رنة متجلجلة إلى حدٍّ ما.

خطرت على رأس هاينريش المقولة الجميلة للجندى المطيع شفيك : "الساعة الخامسة بعد الحرب فى كليش ..." أو شيئًا من هذا القبيل. فقال : "إننى أصنع سلامى . ألا تفهم ، لقد انتهت الحرب بالنسبة إلىّ. إلى اللقاء بعد الحرب عند محل شافيجر فى السوق الجديدة لنشرب قدحًا من بيرة كولونيا".

- "يجب علىّ"

فقاطع زميله قائلاً : "أجل ... أجل ... افعل إذًا"، ولم يسمع ما قاله بعد ذلك فقد وضع السماعة. وأغلق الصندوق الآن بتمهل ، وخلع الخوذة الفولاذية و وضعها بجانب الأشياء الأخرى من ممتلكات الجيش الألمانى، فبدت وكأنها نصب تذكارى . عنّ له أنها نصب تذكارى للسلام. ثم وقف، وعدا على المرج هابطًا نحو النهر. ظل يسير لمدة ربع ساعة حتى فتحت المدفعية خلفه النار. تصور أنهم أرادوه، و لكنه رأى أن الأمريكان قد

بنوا جسرًا عائمًا على النهر ، وهو ما يضرب بالنار. ثم رأى منخفضًا على مقربةٍ منه يمكنه أن يحتمى به ، فجرى إلى هناك وجلس على الأرض. وعندما ظهرت بالقرب منه أولى الدبابات الأمريكية ، أخرج من جيب سرواله منديلاً لا يمت للون الأبيض بصلة ، ولوح به. فتوقفت الدبابة وسمحوا له بالاقتراب ، ثم انفتحت كوة، عندئذ كان يفكر مليا فى الجملة الإنجليزية التى سوف يخبرهم بها أن الحرب قد انتهت بالنسبة إليه.

هاينريش بول Heinrich Böll

ولد فى ١٩١٧/١٢/٢١ ، وتوفى فى ١٩٨٥/٦/١٧ فى كولونيا



ولد هاينريش بول فى الحادى والعشرين من ديسمبر عام ١٩١٧ ابنًا ثالثًا للنحات وأسطى النجارة فيكتور بول Viktor Böll وزوجته الثانية ماريا Maria والمولودة باسم هيرمانس Hermanns درس فى المدرسة الثانوية ثم بدأ بعد امتحان الثانوية العامة تعلم مهنة بيع الكتب.

يُستدعى عام ١٩٣٨ لخدمه الرايخ. فى صيف عام ١٩٣٩، يدرس لمدة فصل دراسى فى جامعة كولونيا Köln علم اللغة الألمانية وآدابها وعلوم اللغات القديمة. ثم يستدعى إلى الجيش وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية يظل جنديا فى سلاح المشاة.

فى عام ١٩٤٣ يتزوج هاينريش بول من المدرسة سيس Cec التى يترجم معها سلسلة من أعمال الأدباء الأيرلنديين والأنجلوساكسون إلى الألمانية . فى عام ١٩٤٥ يولد ويموت ابنه كريستوف Christoph وفى عام ١٩٤٧ يولد ابنه رايموند Raimund و ١٩٤٨ ابنه رينيه René ثم عام ١٩٥٠ ابنه فينسنت Vincent .

ينشر هاينريش بول أولى قصصه عام ١٩٤٧ . وبعدها بعامين تظهر قصة "القطار يصل فى موعده" Der Zug war pünktlich . يكتب بول القصص القصيرة والقصص للمجلات التى يدين فيها الحرب. ويجمع هذه القصص القصيرة عام ١٩٥٠ فى مجلد بعنوان "أيها الجوال ، هل تأتى إلى إسب ...؟"(*) Wanderer, kommst du nach Spa..? . يعرف قدر هاينريش بول سريعًا ويحصل فى عام ١٩٥١ على جائزة

(*) إسب هى اختصار لكلمة إسبرطة . (المترجمة)

المجموعة ٤٧ - Gruppe 47 المهمة عن قصته "الخراف السوداء" Die schwarzen ويعقبها عدة جوائز أخرى(*).

بول هو أستاذ الأشكال الأدبية القصيرة، فالقصة القصيرة - كما يقول - "تظل بالنسبة لى أكثر أشكال النثر إثارةً، لأنها أقلها قابلية للقولبة" . ولكنه متمكن أيضاً من الأشكال الطويلة. ففى عام ١٩٥١ يقدم أولى رواياته : "أين كنت يا آدم؟" Wo warst du Adam? التى تدور أيضاً حول عدم جدوى الموت فى الحرب . ثم يتبعها بروايات "بيت بلا حراس" Haus ohne Hüter و "لعبة بلياردو فى التاسعة والنصف" Billard um halb zehn التى تتناول قصة عائلة من منطقة الراين ينعكس فيها مصير ألمانيا السياسى، وفى عام ١٩٦٣ يؤلف "تأملات مهرج" Ansichten eines Clowns" وهى قصة شخص منطو على نفسه، سوداوى المزاج وصعب المراس .

وفى هذه الأثناء يكتشف هاينريش بول عشقه لأيرلندا، فيقتنى هناك بيتاً وينشر عام ١٩٥٧ "يومياته الأيرلندية" Irisches Tagebuch ، ويزور عام ١٩٦٢ لأول مرة الاتحاد السوفيتى حيث تظهر كتبه شيئاً فشيئاً مترجمة، ويقرؤها جمهور عريض. كذلك فى ألمانيا يدرك الجمهور قدره بشكل أوضح. فى عام ١٩٦٤ يدعى لمحاضرات الشعر فى جامعة فرانكفورت . فى عام ١٩٦٧ يحصل على جائزة جورج بوشنر Georg-Büchner-Preis . تدريجيا يحتل بول موقع السلطة الأخلاقية فى ألمانيا. ومن عام ١٩٧٠ حتى عام ١٩٧٢ يتولى رئاسة نادى القلم PEN فى جمهورية ألمانيا الاتحادية، فى نادى القلم PEN-Club يتجمع الكتاب (شعراء - مسرحيون - كاتبو مقالات - ناشرون وقصاصون) ليكونوا اتحاداً ضد العنصرية وقمع حرية الرأى. من عام ١٩٧١ حتى ١٩٧٤ يصبح بول أيضاً رئيساً لنادى القلم العالمى. وبصفته هذه يسهم إسهاماً كبيراً فى تقديم صورة لألمانيا المتجددة والمتوجهة نحو الديمقراطية والإنسانية للعالم.

(*) المجموعة ٤٧ مجموعة أدبية نشأت من عدة أدباء ألمان عام ١٩٤٧ واستمرت حتى عام ١٩٦٧ تحت رئاسة هانز فيرنر ريشتر ، ولعبت دوراً مهماً فى الأدب الألمانى بعد الحرب العالمية حتى الستينات من القرن العشرين (المترجمة).

فى عام ١٩٧١ تظهر رواية "صورة جماعية مع سيدة" Gruppenbild mit Dame . وفى العام نفسه يزور بول ولأول مرة الولايات المتحدة الأمريكية، ويحصل عام ١٩٧٢ على جائزة نوبل فى الأدب، بعد أن حث على كتابة تقارير صحفية أكثر موضوعية حول جماعة بادر ماينهوف Baader-Meinhof-Gruppe ، نشر نداء بعنوان "شهادة حرة لأولريكه ماينهوف "، ويُشك فى تعاطفه مع الإرهابيين، فتقوم الشرطة بتفتيش بيته فى منطقه الإيفل. ينفعل بول بهذه الخبرة، على المستوى الأدبى أيضًا، فتظهر عام ١٩٧٤ روايته "شرف كاتارينا بلوم المفقود" Die verlorene Ehre der Katharina Blum التى تعالج طرق المراقبة فى الدولة ودور وسائل الإعلام فى المجتمع.

عام ١٩٧٤ يؤوى بول الكاتب المبعد من روسيا ألكسندر سولشينزين Alexander Solschenizyn . وفى عام ١٩٧٩ يخرج من الكنيسة الكاثوليكية، وهو الذى تتبع مواقفه الحياتية دائمًا من اعتقاد فى الأخلاقيات المسيحية. وبذلك فهو يحتج على مطالب الكنيسة فى السلطة والسيادة. ولكن هذا لا يعنى أنه ابتعد عن عقيدته التى كانت يومًا ما عقيدة مسيحية متطرفة.

بالنسبة لبول يمثل القرن العشرين قرن "المشردين و الأسرى ، المستضعفين والمعنين بتهاوى الإنسانية".

تعالج معظم رواياته وقصصه مصيرهم، وعجز جيل المعجزة الاقتصادية فى الجمهورية الاتحادية فى أن يتعامل مع عصر النازية وجرائمها.

أما كتاب فولبرت شتفينسكى Fulbert Steffensky بعنوان "احتفال بالحياة – روحانية اليوميات" Feier des Lebens-Spiritualität im Alltag – فهو أحد المطالعات لأحداث الأشهر الأخيرة فى حياة بول، وفيه ترد الجملة التالية : "هناك جماعة واحدة تستحق حماية الله الخاصة، ومعرفة حقيقته المميزة ورعايته المتميزة. إنهم الضحايا. فالحقيقة تكمن لدى الضحايا".

مات هاينريش بول فى ١٦ يوليو عام ١٩٨٥ فى كولونيا Köln.

مقترحات للقراءة

بداية تجب قراءة قصص : "وصل القطار فى ميعاده" و "ميزان باليكس" Die Waage des Balks ثم "مجموعة الصمت للدكتور موركس" Dr. Murkes gesammeltes Schweigen. بعد ذلك ستتملك المرء بالتأكيد رغبه لقراءة رواية "شرف كاترين بلوم المفقود" و "لعبه بلياردو فى الساعة التاسعة و النصف".

مزارات

من يرد أن يقتفى أثر هاينريش بول فإنه ينبغى أن يزور حى سانت سيفرين St. Severin فى كولونيا وفيه البيت الذى ولد فيه الكاتب وعنوانه أوبى رينج رقم ٢٧ Ubierring 27. وقد سكن هاينريش بول فى هولشراتر شتراسه رقم ٧ Hülchrather Straβe 7. أما بيته فى منطقه الإيفل die Eifel فيوجد فى لانجن برويش Langenbroich. أما آخر مساكن هاينريش بول فهو البيت الواقع فى مارتن شتراسه رقم ٧ Martinstraβe 7 فى منطقة بورينهايم Bornheim بالقرب من بون. و يشغل أرشيف هاينريش بول هذا البيت فى الوقت الحالى. أما من تتح له فرصه زيارة جمهورية ايرلندا فبإمكانه زيارة بيت هاينريش بول على الشاطئ الغربى فى دوجرت Dugort، هناك يوجد مسكنٌ للأدباء الشبان.

فريدريش دورينمات

بقلم فريدريك هتمانّ

ما لا يمكن أن نتعلمه فى المدرسة

كان كلما جلس فى مقهى سنترال يقرأ عادة كتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت"، وينقل فقرات منه ، ولكنه فى هذا اليوم أخذ يتمعن فى كتابات برنارد شو ، حتى وجد العبارات الآتية حول موضوع كان يلح عليه فى الآونة الأخيرة :

"تعد طرق الامتحانات الأكاديمية أحسن من لاشىء ، ولكن بدون الخبرات الحياتية الحية لا يدخل أى إنسان فى عداد المثقفين. وحتى أكثر خريجى الجامعات علمًا الذين لا يملكون إلا الدرجات الأكاديمية ليسوا فى نهاية الأمر إلا مجرد أغبياء ، بل جهلاء ، حتى لو كانوا مثقلين بمعارف سطحية عن اللغات القديمة الميتة ، أوبزنة قيراطٍ من الجبر. فلا يمكن للدرجات الأكاديمية أن تعبر عن البون الشاسع بين القراءة والمعايشة. واستنادًا إلى هذا الفرق ، أزعم أننى أحد مثقفى هذا العالم"(١).

كان لهذه العبارات – من ناحية – وقعٌ فى نفسه العازفة عن المدرسة ، ولكنه رأى فيها أيضًا أن السيد شو – من ناحية أخرى – لا يرفض هذه المؤسسة التعليمية رفضًا باتا. حسنًا يا سيد شو ، ماذا إذًا؟

جفف فريتس هذه العبارات بالنشافة ، حيث اعتاد أن يدون العبارات التى يستحسنها على الفور فى دفتر صغير. فى أثناء جلساته تلك كان يستغرق فى أحيان ليست بالقليلة فى الأحلام، فمنذ عدة شهور وهو يقضى فترة الصباح فى مقهى سنترال ، بدلاً من المشاركة فى دروس المدرسة الثانوية. وعاد بالذاكرة فى هذه اللحظة

إلى أول مـراحل الهـروب من المدرسـة ، بعـدمـا انتـقل مع والديه إلى مدينة برن بفـتـرة وجـيزة.

قَدِمَ إلى المدينة طفلاً قرويا ، يملؤه الفضـول لمعرفـة كل ما يختلف فـى المدينة عن القرية. وبالفعل بدا له كل شىء غريبًا وعجيبًا. أحس كمـا لو أنه انقسـم إلى شخصين بقى أحدهمـا فى القرية ، أمـا الآخر فقد أُلقى به فى خضم المدينة ، فـأخـذ يترنح بين جنباتها ، وكلما خبر كنهها ، أحس أنها متـاهة يجرى المرء فيها ويجرى دون أن يصل إلى نهايتها.

بدلاً من الذهاب إلى المدرسة ، كان يتردد كثيراً على دور السينما ، وفيـها حـازت الأفلام البوليسية إعجابه بشكل خـاص. أمـا فـى القرية فقد شـاهد عرضـًا سينمـائيا واحداً عن قصـة سيدنا يوسف فـى مصـر ، وضـع فيه صـاحب العرض يده على عدسة آلة السينما ، حينما تجردت زوجة بوتيفار من ثيابها.

وكذلك صعد إلى أعلى برج الكنيسة ، حيث بدت له المدينة بأشجارها الكثيفة التى يختفى تحتها البشر خالية مرعبة. وتكررت زياراته لمحجر المدينة الكبير الذى يخال المرء أن بيـوت المدينة قـد قـدت منه. وفى أثنـاء سـيره على شـاطئ النهـر تمثله بمنحنيـاته والتواءاته كثعبـان التف حول المدينـة. وعـاد بالذاكرة إلى معـــركته مع كلب الجيران الذى كان جالسـًا فى سكون لفترة طويلة وفجـأة أصابه الفزع ، ربما على إثر صـوت ما فهجم عليه.

ولكنه لايكاد يذكر كيف بدأ فى الهروب من المدرسة؟ نعم ، حدث ذلك تجنبًا لحالة فقـدان الثقة بالنفس التى أوشك أن يقع فـيهـا ، حـينمـا جـاء من القــرية إلى المدينـة؛ وكأن الإلمـام بكل ماتحتويه المدينة سيدفع بشعوره الغريب ذاك إلى الاختفاء.

وعلى أية حال فقد كانت نتيجة الهروب من المدرسـة ، أنه اضطر إلى ترك المدرسة الثـانوية المسيحية فى نهاية العام الدراسى ، والتحويل إلى مدرسة خـاصـة. ولكن هذه أحداث ترجع إلى عدة سنوات مـضت. أمـا اكتـشـافه فى الأسـابيع الأخـيرة لمقـهى "سنترال" الهـادئ صباحـًا وإعجابه به ، وبمقاعده الجلدية وموائده الرخامية ، فله قصة

أخرى. كان يحصل على درجات متميزة ؛ لأن الدراسة فى المدرسة الخاصة كانت شديدة السهولة بالنسبة إليه ، فبدأ الملل يتسرب إلى نفسه ، حينئذٍ اكتشف مقهى "سنترال" كمكان رائع يمكن للمرء أن يخلو فيه إلى نفسه وأن يقرأ الكتب ، بخاصةٍ تلك الممنوعة فى المدرسة وفى بيت والديه مثل كتب نيتشه أو دفاتر رولف تورينج. قصص تأخذ بالألباب.

ما أشد إعجابه بهما! لقد أطلق عليهما لقبًا بينه وبين نفسه لا يكاد يفهم معناه - للأمانة - سواه هو: (هدامون). ولو عنَّ لأحدهم أن يسأله عما يقصده لفسره بقوله: إنهم ضد التيار. أولئك الذين يسبحون ضد تيار "المعتاد" فى الحياة والكتابة يكسبون احترامه الشديد.

هذا المحل الصغير الذى يطلق على نفسه "مقهى" ما هو - على وجه الدقة - إلا حانة يتوافد عليها زائروها من العمال والموظفين الصغار مساءً فى طريق عودتهم إلى منازلهم لاحتساء قدحٍ من البيرة. أما صباحًا فيسود الهدوء مقهى "سنترال" ويخلو من البشر. قد يصل إليه - على أقصى تقدير- ذات مرة أو أخرى ، وبطريق الخطأ ، أحد السكارى أو عاشقان ، ولذا فقد اختاره ملاذًا لم يصبه فيه الملل قط. كان يعبث بالقلم راسمًا أشكالاً أو ينقل فقرات من الكتب التى اصطحبها. واستمر الحال على هذا المنوال حتى منتصف العام الدراسى. ومن يوم لآخر كان يزداد إصرارًا على عدم الذهاب إلى المدرسة. فإذا سأله أحدهم عن السبب رد قائلاً: لأن هناك ما هو أكثر إثارة وتشويقًا من الجلوس فى الفصل والاستماع إلى مدرس متبلد المشاعر يحاضر بشكل أصم. بالإضافة إلى ذلك ما الذى يمكن أن يتعلمه فى المدرسة؟ كان يتمنى أن يصبح رسامًا ودروس الرسم هى أكثر مايستحق الشفقة فى المدرسة.

وفى اللحظة التى جعل يفكر فيها فى الفرق بين الهروب من المدرسة الآن وقبل عدة سنوات ، دفع شخص ما الباب ناحية الشارع ودخل المقهى . لم يُعر فريتس الأمر فى البداية التفاتًا ، واستمر فى حالة الاستغراق فى ذاته ومزاجه الحالم.

ولكن هذا الشخص الذى دخل المقهى لتوه ، اتجه مباشرة إلى مائدته ، فتحقق على الفور من هويته وأنكر فى الوقت ذاته معرفته بها. ظن أولا أن هذا الشخص شبح أو أنه وليد تأنيب ضميره ، ولكن لا لم يكن ثَمَّ مجال لخطأ ، لقد كان فعلاً وحقا أباه. سرت فى جسد فريتس برودة وحرارة فى الوقت نفسه ، ولكنه قال لنفسه: كان يجب أن يحدث ذلك ، لابد أن تحل تلك المصيبة ذات يوم. اعتقدَ دومًا أنه مستعد لهذه اللحظة. حاول أن يدافع عن نفسه بمئات الأفكار ، نسج فى رأسه العديد من المبررات ، فجاء هذا الحدث وكأنه إعصار هب على النسيج ، فمزقه وجعله خيوطا متناثرة تعبث بها الريح.

جلس والده ولم يقل شيئا ، بل نظر إليه مهموما ثم سأله أخيرا: "ماذا يمكن للمرء أن يشرب هنا؟". رد فريتس قائلاً: "قدحا من القهوة ماركة جولد". وأشار إلى قدحه الفارغ ، فصاح الأب طالبا مشروبه من البوفيه ، فظهرت النادلة فى لحظة ما ووضعت أمامه القدح.

هذه الأحداث البدهية اكتسبت بالنسبة لفريتس أهميه غريبة. بحيرة أخذ الأب يقلب فى القهوة دون أن يضيف إليها اللبن والسكر . ولم ينبس أحدهما ببنت شفة. بعد أن أخذ الأب رشفة من القهوة سأله فريتس :"كيف علمت بالأمر"؟

فرد الأب بمرارة :"يالك من ولد غريب !"

فأجاب فريتس بلا اكتراث: " الأمر يثير فضولى بالفعل ".

– "لا تطلق لخيالك العنان" ، واستطرد الأب قائلا "كنت أشارك فى إتمام مراسم جنازة وقابلت مدرسكم – السيد ماونتنر– إنه يدرس لفصلك أليس كذلك ؟"

– بلى ، الحساب.

– كيف تسير أمورك معه ؟

– آه ، انه ليس سيئًا ولكنه أيضًا لا يستحق الاحتفاء .

– ألا يعجبك أى من المدرسين؟

–هذا ما تقوله ...

– طيب. حكى لى ماونتنر أنك تهرب من المدرسة منذ شهرين أو ثلاثة ، وقال لى أيضا أين أجدك. منذ شهرين أو ثلاثة !

– "لقد فهمت الآن" قالها فريتس وهو يهز رأسه ، "لقد كان هنا ذات مرة وحاول إقناعى . قال إننى مولع بقتل نفسى على الأقل عقلياً".

رد الأب: "أعتقد أن ماتفعله أقرب ما يكون لذلك" ثم أضاف "على ما يبدو لم ينجح ماونتنر فى أن يصرفك عن عنادك".

– لا .

– ولِم لا ؟

فرفع فريتس كتفيه وقال: "كانت حججى أقوى ، لقد وضعته بشكل أو بآخر فى خانة اليكّ ".

– والخطاب الذى بعثته المدرسة إلىّ بناء على ذلك ؟

– فتحته وزورت توقيعك.

فقال الأب: "ألا تخجل من نفسك؟"

حملق فريتس فى وجهه قائلا: "لا ، لقد كان هذا ضروريا وبالطبع لم يكن أمراً سهلا".

– واحدة واحدة. ثم ساله الأب : ضرورى؟ وما وجه الضرورة؟.

– أردت ألا تتبلد مشاعرى.

– اسمع ، لم يحدث أن تبلدت مشاعر أحد فى المدرسة العليا ، هذا إذا انتبه وشارك فى الدرس ، ولكن بطريقتك هذه ستتبلد مشاعرك بلا شك. قالها الأب بإصرار.

– لا أعتقد ذلك؛ فأنا أسير على الطريق الصحيح. سوف أدرس الفلسفة بنفسى. أكثر ما يشغلنى الآن هو الفلسفة ، لقد تناولت بالقراءة كلاً من كانط وأرسطو وتوماس فون أكفيون ووصلت الآن إلى نيتشه.

هز الأب رأسه وظهرت الحيرة على وجهه.

– وماذا تقصد جنابك بقولك إن الأمر لم يكن سهلاً ؟

– قصدت التقاط الخطابات وتزوير توقيعك ، كان على أن أفكر فى العديد من الحيل لإتمام ذلك.

– ألا ترى أن ذلك أمر إلى حد ما ...." أخذ الأب يبحث عن كلمة ما: "أمر لا يليق؟

– بل أقول إنه إجرام.

– أى أن هذا واضح لك؟

– ما أكثر ما يحدث فى هذا العالم من أمور مستهجنة!

– هذا ليس بعذرٍ .

– معك حق ، ولكننى أردت أن أعرف شعور الإنسان حين يرتكب جريمة. بالتأكيد ينتابه نوع من الغموض والإثارة.

– وكيف تحصل على الثانوية ، إذا كنت دائم الهروب من المدرسة؟

– لا أعلم. يبدو أننى لن أجتاز الامتحان ، وعلىَّ أن أتدبر أمرى بدون الشهادة الثانوية.

– ثم ماذا؟

– سوف أجد شيئًا بالتأكيد.

– أتريدُ أن تصبح متشردًا؟

– ولِمَ لا؟

– أعتقد أنك كنت تتمنى دائمًا أن تصبح رسامًا ، ولكي تتحقق أمنيتك يجب أن تدرس في الأكاديمية ، وبلا ثانوية لا أكاديمية.

– هذا أمر واضح لي أيضًا.

– يالصلابة رأيك اللعينة! لا أريد أن أقول عنادك!

– بعد تفكير عميق وجدت أن المدرسة ليست إلا سجنًا للأطفال.

– كلام سخيف.

– سخيف؟...لا ، اسحبها من فضلك! أرفض العيش قردًا خلف القضبان. راودني يوميًا الإحساس بأن المدرسة قفص يسلب حريتي ويضيع وقتي. ليس الآن فقط ، بل في الماضي أيضًا ، في القرية في كونو لفينجن ... خذ عندك مدرس الفرنسية والكتابة هناك ، رجل قاس يضربنا ويقرصنا ويشد شعرنا ، وهنا في برن في المدرسة المسيحية ... مدرس التاريخ الأحدب ذاك.... أما إلقاء كتاب اللغة اليونانية وكراستها من النافذة ، فكان تعبيرًا فعليا عن شعوري الذي تعجز الكلمات عن وصفه. ولذا كانت هذه الإشارة. ورويدًا رويدًا نما لدي قرفٌ وغيظٌ فضلاً عن الملل. من الممكن أن أعكس المنطق الذي أسوق به مبرراتي؛ كان لدي فضول أن أعرف كل مالا نتعلمه في المدرسة ، حتى حانت اللحظة التي قلت فيها لنفسي: إذا كان لديك ذرة من احترام الذات فإياك أن تخضع لقهر المدرسة ومللها ثانيةً. بعدما طفت هذه الجملة على السطح في أثناء حواري مع نفسي أقلعت عن الدراسة ، وجئت بدلاً من ذلك إلى مقهى (سنترال) كل صباح.

نظر إليه الأب في دهشة ثم قال:

– بدأت أتفهم.

– شكرًا.

– ولكن ماذا إذا فكر الجميع وتصرفوا مثلك؟ بما أنك تعمقت في أعمال كانط ، فإنك تعرف بلاشك عبارته هذه:" تصرف كما لو أن الأسس التي بنيت عليها اختياراتك مبادئ قابلة في الوقت نفسه للتطبيق كمبدأ تشريعي عام"(٢).

فقال فريتس: "حقًا لقد فكرت فى مشروعية هـــروبى من المدرسة أكـثر من مرة" ثم أردف: "ثم توصلـت إلى أن المدرسة والمدرســين هـم الذين ينبـغى أن يتـغــيـروا ، وليس التلاميذ".

– بل الأفضل أن تطالب بتغــيير العالم حتى يروق الأمر لك .

قالها الأب محتدا.

– هل أنت راضٍ عن الأوضا ع فى المدرسة؟

– "أعتقد أننا يجب ألا نبالغ فى تقدير أهميتنا نحن الاثنين فى هذا الشأن.

– ولكن كيف يحدث التغيير؟

– ألست أنا هنا صاحب الحق فى طرح الأسئلة وتوجيه الاتهامات؟

– حسنا ماذا تريد ؟ أن أعترف بتأنيب الضمير ؟

– من خـبـرتى بـوصـفى واعظًا ، أرى أن هذه الاعـتـرافـات خـيـر مـعين فى بعض الأحيـان.

– هذا إذا كان المرء يعتقد فى وجود الله.

– وأنت ، من رأيك ألاتعتقد فيه؟

– يؤسفنى يا أبى ، أن هذا هو الواقع.

– ألا يوجد ما تعتقد فيه إذًا ؟

– أعـتـقـد أنى مـخـتلف عن الآخـرين... على سـبـيل المثـال لا أعـرف أحـدًا يرفض المدرسة مثلى ، ولديه من الشجاعة ما يجعله لا يذهب إليها.

– أتسمى ذلك شجاعةً ؟ كيف وصل الأمر إلى هذا الحد؟

قالها الأب كما لو كان يحدث نفسه.

– لقد حاولت إيضاح الأمر لك للتو : تلال من الخبرات السيئة. في المدرسة الابتدائية كنت أدعي المرض ، لأنني أريد أن أظل في البيتِ ، وبذلك تم لي ما أردت آنذاك ، ثم هنا في المدينة في المدرسة التي ذهبت إليها أولاً وطردوني منها ، كان مدرس الفرنسية يصلي مغمض العينين على حين يتصايح التلاميذ ويتراقصون على المقاعد . أتريد أن تسمع المزيد ؟ قائمة طويلة من الخبرات السخيفة.

ساد بينهما صمت مريب ثانيةً.

ثم سأله الأب: "و تريد أن تستمر على هذا الحال ؟"

رفع فريتس منكبيه: "ليس أمامي حل آخر . أنا ضائع. أتعلم ذلك ؟ ابن ضال ... يحدث ذلك كثيراً ، حتى إنه قد ورد في الإنجيل".

هتف الأب: "اللعنة! هل أنت بهذا الحمق ؟ أم انك تدعي ذلك فقط؟ ماذا يعتمل في نفسك؟ "

– ينبغي على المرء أن يفكر في أسوأ الاحتمالات ، حتى يتضح له مخرج.

– إذا كان بإمكانك أن تقيِّم نفسك، فهل تعتبر أن درجة غبائك أعلى من المتوسط، أم أنك تعد من الأذكياء؟

– بل من الأذكياء.

– هل يمكن القول إن متطلبات الدراسة أقل من قدراتك؟

– لا أدري إن كان هذا الوصف دقيقا . على أية حال كثيراً ما أصابني الملل.

– جميل ، كم من الوقت تبقَّى حتى امتحان الثانوية؟

– نصف عام بالكاد.

– حسنًا ، أنت لم تضل الطريق بعد. لست الابن الضال ، وإلا فإننا نبسط الأمور أكثر من اللازم. لقد تحدثت مع ماونتنر كثيرا بشأنك . وأخيراً قال لي إنه من الممكن التأثير على مدرسيك ليعطوك فرصة أخرى. أتجد في نفسك الجدارة لأن تعوض ما فاتك من الدروس حتى ميعاد الامتحان ؟

– لقد قال لى فى نهاية مقابلتنا هنا فى المقهى إننى حالة ميئوس منها.

– من الممكن أن يغير المرء رأيه.

– عرض مغر لمن أصبح مجرمًا.

– مجرمًا ؟ لن تلفت الأنظار إليك بذلك.

– يعنى ... لقد زورت الشهادة ، وامتدت يدى إلى مصروف البيت الخاص بأمى مرتين أو ثلاثًا.

رد الأب قائلا :"اعترافات مدهشة".

ساد الصمت ثانية. وشرد ذهن فريتس فى كارل ماى . تمثلت لعينيه فجأة صورة الحلوانى المتقاعد فى القرية الذى أعاره تلك الكتب ذات اللون الأخضر الداكن ، جزءًا بعد جزء. لقد كان كارل ماى أيضا فى شبابه مجرمًا بشكل مثير للسخرية . تذكر كذلك تلك اللحظة المحرجة التى قرأ فيها على أمه دامع العينين مشهد موت ڤينتوس ، متخيلاً ضحكاتها وسخريتها نحيبًا وتشنجًا.

– فيم تفكر يا ولدى؟

– ماونتنر إنسان طيب . قالها فريتس مؤكـدًا وأضاف: قفز كارل ماى للتو إلى ذهنى.

– كيف يخطر كارل ماى على بالك الآن ؟

– يعنى ، كارل ماى ارتكب فى شبابه من السرقات والأكاذيب ما تشيب له الولدان ، ولكنه فى النهاية أصبح كاتبًا مرموقًا.

– إنك تختار أغرب الشخصيات لتتخذهم قدوة.

– هل يمكن بحق السماح لى بدخول امتحان الثانوية؟

- كما قلت لك ، إذا كان بإمكانك تعويض ما فاتك من دروس ، ولكن كان من رأى ماونتتر أن ذلك يكاد يكون مستحيلا.

فاستحوذ الحماس على فريتس. هذا الإحساس الرائع بالقدرة على الإتيان بما لم يأت به الآخرون.

فقال: "ها ، لا مستحيل إذا أردت ، أو فلنقل : لأن الأمر يبدو مستحيلا فسأحققه".

فريدريش دورينمات Friedrich Dürrenmatt

ولد فى ١٩٢١/١/٥ فى كونولفينجين، - مقاطعة برن - بسويسرا، وتوفى فى ١٩٩٠/١٢/١٤ فى نيوشاتيل بسويسرا



ولد فريدريش دورينمات فى الخامس من شهر يناير عام ١٩٢١ فى قرية كونولفيجين Konolfingen فى مقاطعة برن السويسرية. كان أبوه - راينهولد دورينمات Rein-hold Dürrenmmatt - قسيس القرية . تمسك الأم - هولدا Hulda - بمقاليد الأمور فى العائلة ، وتقوم بتنظيم الاجتماعات وترعى الفقراء .

ينتظر من ابن القسيس سلوك مثالى ، وهو ما يجعل فريدريش منفرداً دوماً . كان فريدريش دورينمات تلميذاً فاشلاً ، لا يستطيع التركيز ، على الأقل فى المواد الدراسية، بل يفضل الرسم أو الذهاب إلى السينما والمقاهى للقراءة . وما إن يحل عام ١٩٣٥ حتى تنتقل العائلة كلها إلى مدينة برن حيث يعمل الأب واعظاً فى إحدى المستشفيات Salemspital وفى بيت الشمامسة.

أما فريدريش فيذهب إلى المدرسة الثانوية ، ثم إلى معهد همبولدت. وبعد حصوله على الشهادة الثانوية يدرس الأدب والفلسفة فى برن وزيورخ.

بدأ فريدريش دورينمات الكتابة مبكراً ، وكتاباته الأولى الباقية حتى الآن تعود إلى عامى ١٩٤٢ و١٩٤٣ فى أثناء الحرب العالمية الثانية. وتتناول الطفل يسوع الميت والرب معذباً . كان أول أعماله المنشورة قصة بعنوان "العجوز Der Alte" عام ١٩٤٥ فى جريدة يومية تصدر فى برن.

تزوج دورينمات الممثلة لوتى جيسلر Lotti Gießler عام ١٩٤٦ ، وانتقل للعيش معها فى مدينة بازل. وفى العام التالى ولد ابنه بيتر ، ثم ابنتاه باربارا وروت فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥١ على التوالى.

حاول دورينمات الذى كان يعلق على باب حجرته التى سكنها وهو طالب لافتة مكتوبًا عليها (فريدريش دورينمات شاعر عدمى) ، أن يكسب قوت يومه من الكتابة. وهو ما تبين أنه مجازفة وسرعان ما عجز آل دورينمات عن العيش فى مدينة بازل الغالية ، فانتقلوا للإقامة مع حماته فى شرنليتس على بحيرة بيلر Schernelz am Bieler See ولكن وضعهم المادى يظل متأزمًا ، فيمد لهم الأصدقاء والمعارف والمعجبون بالفن يد العون بين حين وآخر. وفى هذه الأثناء يكتب دورينمات المسرحيات والتمثيليات الإذاعية ، وتحصل مسرحيته "جاء فى الكتاب" Es steht geschrieben التى عرضت لأول مرة على مسرح زيورخ على جائزة من مؤسسة ڤلتى Welti-Stiftung لتشجيع الدراما.

ويجانب التوفيق مسرحيته التالية "الأعمى" Der Blinde التى عرضت لأول مرة على مسرح مدينة بازل.

ويقبول دورينمات الذى لا يزال يعانى من الأزمات المادية لعرض الجريدة الأسبوعية المراقب السويسرى der schweizerische Beobachter عام ١٩٥٠ لكتابة قصة مسلسلة ، ترى الرواية البوليسية (القاضى والجلاد Der Richter und sein Henker النور ، وتحظى هى وبطلها المفتش بيرلاخ Bärlach بنجاح منقطع النظير وتطبع كتابًا ، بعد نشر ثمانى حلقات منها فى جريدة البئو بأختر الأسبوعية. ثم يكتب دورينمات عام ١٩٥٢ رواية الشك Der Verdacht رواية بوليسية بطلها المفتش بيرلاخ أيضا.

ويضيق بيت الحماة على عائلة دورينمات ، فينتقل بهم إلى بيت جديد فى ليجريتس ، وحينما ضاق عليهم اقترض دورينمات ليشترى بيتًا يقع إلى الشمال من نيو شاتيل وعنوانه Pertuis du Sault 34 .

وفى ذلك الحين كان دورينمات يعيش من أجره الذى تدفعه الإذاعات الألمانية لقاء التمثيليات الإذاعية.

وقد ذاعت شهرة دورينمات الذى كان كان فى معظم الأحيان يؤلف عدة نصوص فى الوقت ذاته ، من خلال المسرحيات إلى جانب التمثيليات الإذاعية والروايات البوليسية.

أما الطفرة الحقيقية والمادية فى حياة دورينمات ، فقد تحققت عندما بلغ دورينمات الخامسة والثلاثين من العمر؛ وبالتحديد فى ٢٩ يناير ١٩٥٦ حينما عرضت مسرحية زيارة السيدة العجوز Der Besuch der alten Dame لأول مرة على مسرح زيورخ. وتحكى هذه المسرحية قصه كلير زاخانستين التى خُدعت وحملت فى مدينتها الصغيرة جولن Güllen ، ثم عادت مليارديرة ، تطالب بالثأر ، وتعرض على المدينة ذات الوضع الاقتصادى المتدنى مليارًا من الفرنكات ، لقاء أن يقدموا لها من خدعها ميتًا. وقد أحضرت معها بالفعل نعشًا لجثته . فى خلال وقت قصير حققت هذه المسرحية نجاحًا عالميا ، وعرضت على مسارح العديد من الدول ، وأخذت عنها أوبرا فى ڤيينا ، وأخيرًا تحولت إلى فيلم سينمائى عام ١٩٦٤ بطولة إنجريد برجمان Ingrid Bergman وأنتونى كوين Antony Quinn . وبذا يتخلص فريدريش دورينمات من أعبائه المادية ، ومن الآن فصاعدًا لن تملى عليه متطلبات السوق نوعية أعماله . ولعدة مرات يمنح جائزة مدينة برن الكبرى فى الأدب وجائزة نقاد نيويورك ، وجائزة التمثيليات الإذاعية من اتحاد فاقدى البصر فى أثناء الحرب، ثم جائزة جريلبارتسر Grillparzer-Preis من النمسا، وجائزة جان بول Jean-Paul-Preis وجائزة جورج بوشنر Georg-Büchner-Preis وجائزة ذكرى شيللر Schiller-Gedächtnis-Preis ، ويكرم بعديد من جوائز الشرف والتميز ودرجات الدكتوراه الفخرية.

تعددت مواهب فريدريش دورينمات فهو يكتب ويرسم ويخطط الإسكتش ويُخرج ، ولكن شهرته العالمية ترجع إلى أربع مسرحيات: "زواج السيد مسيسيبى" و"زيارة السيدة العجوز" و"علماء الطبيعة" ثم "النيزك".

توفيت لوتى زوجة دورينمات عام ١٩٨٣ فتزوج عام ١٩٨٤ من المخرجة والممثلة والصحفية شارلوته كير Charlotte Kerr . وقد توفى دورينمات فى الرابع عشر من شهر ديسمبر عام ١٩٩٠ متأثرًا بأزمة قلبية فى منزله فى نيوشاتل.

مقترحات للقراءة

للتعرف على فريدريش دورينمات ، ينصح بداية بقراءة روايته البوليسية الشائقة (القاضى والجلاد) ثم أشهر مسرحياته (زيارة السيدة العجوز) التى يفضل ، إن أتيحت الفرصة ، حضور عرضها على المسرح.

أما القصيدة الدرامية Ballde من الشعر المنثور بعنوان مينوتاوروس Minotaurus التى كتبت عام ١٩٨٥ . فتخلب لب القارئ بتصويرها لحياة وموت مارد له جسم إنسان ورأس ثور ، يعيش محبوساً فى متاهة من المرايا .

وللاستزادة عن حياة دورينمات وطفولته وشبابه ووالديه ، يمكن للقارئ الرجوع إلى كتاب مواد Stoffen الأجزاء من ١ إلى ٣ .

مزارات

يعتبر بيت القسيس الفخم الذى ولد فيه دورينمات فى قرية كونولفينجن Konolfingen فى مقاطعة برن بسويسرا أحد أهم المزارات. وفى الخلف منه مباشرة تقع المدافن التى لعب فيها يوماً ما دورينمات(*). كما تستحق المدينة القديمة فى برن الزيارة ، حيث كان دورينمات يقضى وقته حينما يهرب من المدرسة . أما المنزل الذى عاش فيه دورينمات ما يقرب من أربعة عقود ومارس منه عمله فعنوانه Pertuis du Sault 34 ، هذا وقد أضاف إليه دورينمات مع مرور الزمن عدة مبانٍ أخرى. وبجواره مباشرة يقع متحف دورينمات الذى بناه المعمارى ذو الشهرة العالمية ماريو بوتا Mario Botta ، وفيه تعرض لوحات دورينمات.

(*) من المعتاد فى الدول الأوروبية أن تزرع المدافن بالأشجار والنباتات، فتشبه الحدائق الغناء، وتجتذب الأطفال للعب والكبار للتنزه . (المترجمة)

ڤـولفـجـانج بـورشـرت

بقلم هارالد توندرين

«إنهم قادمون وسيطلقون عليّ الرصاص»

ذلك الشاب الذى سجن فى أبريل من عام ١٩٤٤ فى الزنزانة رقم ٩ فى السجن الاحتياطى فى نورنبرج قادم لتوه من المستشفى؛ من المستشفى العسكرى ، إن شئت الدقة . ولم يكن قد تعافى بعد بأى حال من الأحوال .

بينما يجيل الجندى الشاب النظر فى الزنزانة، ويرفع ناظريه إلى النافذة المربعة القذرة، ويندفع خلال الضوء الخافت فى الزنزانة، سمع كيف أغلق الباب من خلفه. باب كريه رقمه ٩ . أغلق المزلاج وظل السجين وحده فى الزنزانة . ولأنه ليس لديه شيء آخر يفعله ألقى ڤولفجانج ب. بنفسه على البرش ، ونظر إلى سقف الزنزانة الذى تشقه شقوق صغيرة وأخرى كبيرة وبدأ فى التفكير فى أحب إنسان إلى نفسه: فى ذاته هو .

ولد ڤولفجانج لواحد وعشرين عامًا خلت؛ فى العشرين من مايو عام ١٩٢١ فى حى أيبندورف فى هامبورج . وهناك أصبح عربيدًا حقيقيًا . كان ساحرًا لديه العديد من الأصدقاء ، موهوبًا فى رواية النكت ولديه مواهب استعراضية . ليس لديه أى قدر من الخجل لأن يقف أمام الجمهور ملقيًا أشعاره، أمام أى نوع من الجمهور . وقد كتب عمومًا أكثر كثيرًا من ألف قصيدة. فى بعض الأحيان عشرًا أو أكثر فى اليوم الواحد. ما أسرع ما كان ينجز ذلك. كانت الأبيات تجرى على ريشته ، وهو يراها منتهية حينما يلقى بآخر بيت منها على الورق. أما أن يعيد صياغة نصوصه أو ينقحها فهو

ما يصيبه بالملل، وما لا يستطيع عليه صبراً. كان الأهم له أن يجد مستمعًا لأحدث إنتاج له ، وغالبًا ما وجده فى أبيه؛ رجل من ميكلينبورج هادئ ، متحفظ ، وبطبيعة عمله كمعلم يدرس فى المدرسة الشعبية فى أبيندورف الواقعة فى شارع أريكا شتراسه . فى ذلك الحين ظهر ڤولفجانج فى المحافل المختلفة غالبًا باسم فولف ماريا ب وذلك لإعجابه العميق بمثله الأعلى العظيم الذى كان دائمًا ما يتبع أسلوبه مقلداً ، وقد ذكر ذلك كثيراً فى خطاباته إلى أصدقائه وصديقاته . وأكثر من ذلك فقد أدى به هذا المثل الأعلى يومًا ما إلى السجن. كان فى الثامنة عشرة حينذاك ، وقد التقط جواسيس الجستابو خطاباته – غلبه الضحك الآن حينما تذكر التحقيق فى ذلك الوقت. فقد اعتقد السادة ذوو الملابس البنية حقيقةً أنهم قادرون على إثبات اللواط عليه. فقد كتب – كما عابوا عليه – فى خطاباته عن حبه لرجل يدعى ريبكه. "هنا!" ، وضعوا أحد خطاباته الخاصة أمام عينيه وقالوا: "مكتوب هنا ! اعترف ، فالإنكار لا فائدة منه". فاستوعب ڤولفجانج على الفور ما حدث ولكنه ادعى البلاهة. لم يكن فى وسعه إلا أن يفعل. لابد له من أن يستمتع بهذا النصر الآتى على حين غرة. فسألهم: "ريبكه ؟ لا أعرفه ، أين كُتب ذلك؟"

– "هنا" ، ثم وضع أحد الرجلين ذوى الزى الرسمى إصبعه على الموضع الذى فى الخطاب الملتقط وقال: "مكتوب هنا" .

هرش ڤولفجانج فى رأسه. فعل ذلك لمدة طويلة إلى حد ما ثم قال : "إن هذا يثير حرجًا طفيفًا لى الآن".

فرد ذو الزى الرسمى بعجرفة : "واضح ، ولكن تستطيع أن تبوح لنا بالأمر برمته بلا تردد. فنحن نعرف كل شىء عنك على أى حال ومنذ فترة. أنت شاذ جنسيا، أليس كذلك ؟"

– فأجاب ڤولفجانج : "لم أقصد ذلك " وأضاف "أحس بالحرج من أجلكم ، لأنكم لا تعرفونه. هذا ما قصدت فهو مشهور ويعرفه الجميع" .

– رويدك ، رويدك.

قالها الرجل ذو الزى الرسمى حائراً: إذا كان هذا الرجل شاذاً عاهراً مشهوراً ، فلدينا اسمه أيضاً فى بطاقات فهرس الشواذ .

– من الأفضل أن تبحث عنه فى أحد المراجع.

قدم فولفجانج له هذه النصيحة ثابت الجأش. "فهذه ليست (ى) ولكن (ل). الرجل لا يدعى ريبكه ولكن راينر ماريا ريلكه وهو شاعر ذائع الصيت.

وقد تلقى الصفعات بداهة . ولكنها كانت لها قيمتها ، ففى الصباح التالى أطلقوا سراحه.

على الرغم من أنه كتب ما يزيد على ألف قصيدة ، فإنه لم يمتهن الشعر أو الكتابة؛ ففى جواز سفره كُتب فى خانة المهنة: ممثل. وقد كان على قيد أُنملة من أن يُكتب فيها: فاشل ، متسرب أو حاله ميئوس منها؛ ذلك أن ڤولفجانج قد خلف وراءه بدايةً فى الحياة العملية ليست وردية على الإطلاق. ففى المدرسة كان مستواه أول الأمر على ما يرام ، ثم بدأت درجاته فى الانخفاض تدريجيا ، حتى فقد الانتباه وأصبح مصدر إزعاج ، فترك المدرسة فى السابعة عشرة.

ووَدَّ منذ ذلك الحين لو يصبح ممثلاً؛ فقد أراد أن يمتهن مهنة تثير الاهتمام وتسلط عليه الأضواء. لأنه رغب فى أن يلفت الأنظار إليه ، ألا يصبح من المتوسطين ، ألا يكون فأراً رماديا لا يلحظ وجوده أحد. ولذلك فقد قام ببعض الأشياء ، وغامر بالكثير فى عصره ذى الزى الرسمى. فإذا ذهب إلى المسرح فهو يستثير الجمهور بأن يضم كرافتاته بخاتم، أو بأن يقص الحافة البارزة من قبعته .

ثم ألح عليه والداه أن يختار لنفسه مهنة أقل إثارة ولكنها أكثر أماناً. وبعد لأى طويل تقبل ڤولفجانج أن يبدأ التدريب على مهنة بيع الكتب. ووجد الأب مكاناً لابنه للتدريب. وعندما تقدم الابن للتدريب فى مكتبه "بويسن" – هكذا يُحكى – سئل الطالب المتسرب الشاب : "و الآن يا سيد بورشرت ، أتود أن تصبح بائع كتب ؟"

فرد المتدرب باعتبار ما سيكون بوقاحة : "لا ، أنا مرغم".

ولم يُرضه التدريب على مهنة بيع الكتب بالطبع، فطوال النهار كان يعبئ طرود الكتب ويلصق أسماء الشركات على أغلفه الكتب ويفرز البضائع . وقد كان يتلقى دروسًا فى التمثيل والرقص بالحذاء على أنغام الموسيقى بعد انتهاء أوقات العمل خلسة ، ثم يستسلم لحياة الليل مع أصدقائه ومن يشاركونه اهتماماته. وبجانب ذلك كان يكتب الأشعار بغزارة. ليس فقط مستلهمًا ريلكه ولكن أيضًا جورج تراكل وجوتفريد بن وفريدريش هولدرلين والشاعر متبع المذهب التعبيرى الذى مات فى الحرب العالمية الأولى "ألفريد ليشتنشتين".

وفى هذه الأثناء حظى إنتاجه الذى يثير النشوة بالاهتمام. وقد أتيح له وهو ابن السابعة عشرة أن تطبع أشعاره . فقد نشرت جريدة الهامبورجر أنتسايجر واحدًا من أشعاره العديدة . قصيدة تناسب من حيث الموضوع والحماسة المتقدة فيها روح العصر تمامًا :

أنشودة الفرسان

فارس أنا

أندفع عبر العصور اندفاعًا

يقودنى فرسى نحو السحاب

فرسى يحث الخطى

قدمًا قدمًا

بجوارى تندفع العواصف اندفاعًا

قدمًا ! فرسى قدمًا

يندفع خلال المخاطر اندفاعًا

أنت وأنا

يا فرسى

قُدمًا

عبر الزمان

فارس أنا[١]

ربما لا يكون هذا أروع أعماله ، ولكن على أية حال أن يطبع فى جريدة يومية يقرؤها الجميع ومقترنة باسمه، هذا ما يعتد به هو.

فى ذلك الحين عندما اتُهم فى هامبورج باللواط حبسه الجستابو - جهاز أمن الدولة السرى للنازيين - لمدة ليلة واحدة . هذه المرة سيطول الأمر ، سيطول كثيرًا - كان على يقين من ذلك - لأنه ليس متدربًا الآن ، بل جنديا يرتدى الزى الرسمى لجنود مشاة المدفعية.

وهو يعلم تمام العلم أيضًا ما يتهمونه به . فالمسألة بالنسبة له مسألة حياة أو موت. إما البراءة أو كما طلب وكيل النيابة الإعدام رميًا بالرصاص. والإمكانية كبيرة فى أن يتحقق طلب المدعى العام، وتزداد كلما ألحقت الفِرق الروسية الهزائم بالجيش الألمانى فى ساحات المعارك أمام موسكو.

بعد دراسته السرية اجتاز فولفجانج أمام لجنة من غرفة مسرح الرايخ امتحان التمثيل ، وبناء عليه انقطع عن التدريب على مهنة بيع الكتب ، والتحق بفرقة "المسرح المحلى لشرق هانوڤر". وشرق هانوڤر كان يُدعى لونى بورج . هناك كان مقر المسرح المتجول الصغير الذى أمل الفتى ذو التسعة عشر عامًا أن يجد فيه ما افتقده متألمًا، حين كان يعبئ طرود الكتب ويلصق أسماء الشركات عليها . هناك أثبت أنه دءوب وقادر على التأقلم التام ، وأنه يستطيع كبح جماح تشوقه بنفاد صبر للنجاح. إذ بدا له أنه يتحرك للأمام وفى الاتجاه الصحيح. لأن الممثل ڤولفجانج ب. لم يقف بالطبع منذ العرض الأول ليلعب دور هاملت على المسرح ، فبممثل هذا الدور لم يكن ليجد القبول الحسن لدى جمهور " المسرح المحلى لشرق هانوڤر" على الأرجح. ولم تقتصر عروض

هذه الفرقة المسرحية الصغيرة على مدينة لونى بورج ، بل امتدت إلى أقاليم ساكسونيا السفلى ، من كوكس هافن ، عبر أوستر هولتس – شارمبك حتى سيلى.

ارتحلت الفرقة من مكان عرض لآخر بأتوبيس يتخلل الهواء نوافذه ، وله مشجب واحد فقط للملابس والكواليس عبر الطرق الزراعية الشتوية . كان جمهور الأقاليم يبحث عن التسلية . أراد أن يتلهى عن نقص المواد الغذائية وحياة الحرب الكئيبة. وهكذا كانت أسماء المسرحيات التى لعب فيها العضو الجديد فى الفرقة ڤولفجانج ب. أدواره الأولى : "ضجة حول يولانته" أو "ضجة فى المنزل الخلفى" ، فالمهم أن تكون هناك مادة للضحك. شعر ڤولفجانج بالارتياح بين زملائه وزميلاته ، وسكن فى لونى بورج فى فندق أول الأمر ثم وجد غرفة مفروشة بعد ذلك فى شارع أدولف هتلر. ولأنه كان يمتلك بدلة أنيقة وكان له حضور قوى فقد كان يلعب على المسرح أدوار العاشق المهذب. وقد لقى قبولاً لدى جمهوره ، وعلى المستوى الشخصى تحقق له النجاح؛ فقد أحب الممثلة هايدى بويس. وكانت هذه أروع أيام حياته، ولكنها امتدت ثلاثة أشهر فقط. ثم استُدعى للخدمة العسكرية. كان عليه أن يحضر فى معسكر تانينبرج فى منطقه ڤايمر لوتسن دورف التدريب الأساسى ، وهناك طارده الصولات صائحين عبر فناء المعسكر آمرينه بالتدريب على الزحف على الماء وأداء التحية العسكرية. اضطر ڤولفجانج إلى تقبل هذا العنت ولكنه لم يرتضِ أن يغلب على أمره. واعترض على كل ذلك بطريقته الخاصة ، فكتب كل ما أصابه بالهم فى خطابات لا حصر لها ، تنبع من أعماق ذاته ، باستهتار تام تُكتم له الأنفاس فى وقت الحرب . فقد كتب على إحدى البطاقات البريدية المرسلة بدون مظروف التى تظهر عليها صورة المعسكر المقيت : "أرسل لك أجمل تحياتى من واحد من أجمل السجون فى الرايخ الثالث"(٢) . وفى أثناء تدريب ڤولفجانج فى فايمر ليصبح عامل لاسلكى دخلت الجيوش الألمانية روسيا ووصلت بعد نجاح ساحق أول الأمر إلى مشارف موسكو. وهناك أوقفت الجيوش السوڤيتية زحف الدبابات الألمانية. وفى نهاية عام ١٩٤١ أُرسل ڤولفجانج بناقلة جنود إلى الجبهة الشرقية. وقد جاء الشتاء فى هذه السنة مبكرًا وعانى ڤولفجانج من البرد القارس.

ذلك أن الجنرالات الألمان المفعمين بالأحلام الوردية والآملين فى نصر سريع ، قد فاتهم أن يجهزوا جنودهم بما يلزم لمعركة فى الشتاء. فقد كانت تنقصهم الملابس الثقيلة والمواد الغذائية وأدوات تشحيم المركبات والأسلحة؛ نقص فى كل شىء. أُرسل ڤولفجانج إلى الجبهة فى منطقة كلين التى تبعد مائة كيلو متر عن موسكو.

وتعود به الذكرى...

تناثر الثلج على أفرع الأشجار وكانت فوهة البندقية الآلية تغرد، حينما وقف فى غابة روسية فى موقع متقدم جداً يغنى أغانى عيد الميلاد ، رغم أنّا كنا فى بداية شهر فبراير. ولكنه فعل لأن الثلج كان يعلو لعدة أمتار ، ثلج بين الجذور السوداء وثلج على الأفرع المائل اخضرارها إلى السواد. وقد استقر الثلج على الأفرع وتراكم على الشجيرات كالقطن ملتصقًا بالجذور ، كثيراً .. كثيراً من الثلج. بينما تُنشد فوهة المدفع الآلى أغانى عيد الميلاد رغم أنّا كنا فى فبراير.

من آن لآخر يجب عليك أن تطلق بعض الطلقات وإلا تجمد هذا الشىء. مجرد أن تمسك به مستقيمًا فى الظلام لكى لا يتجمد. أطلق الرصاص على الشجيرات هناك، نعم تلك التى هناك ، فستعرف فوراً إن كان يجلس فيها أحدٌ. هذا يهدئ من روعك ويمكنك أن تطلق مستريح البال كل ربع ساعة عدة طلقات . فهذا يهدئ من روعك ، وإلا فسوف يتجمد ذلك الشىء . فإذا أطلقت الرصاص من وقت لآخر فسوف تقطع السكون. هذا ما قاله ذلك الذى حل محله ڤولفجانج(٣) .

لم يغن فولفجانج فى الحقيقة عندما كان فى المواقع الأمامية فى روسيا أية أغان لأعياد الميلاد ، ولكنه هكذا سوف يعرض الأحداث، إذا ما كتب قصة فى يوم ما عنها وهو ما ينتويه. وبدلاً من ذلك فقد أخذ يلقى هناك فى روسيا بصوت خفيض خطبًا. أسماها خطبًا عالمية لأنها كانت موجهة إلى العالم كله. ألقاها على أسماع زملائه أيضًا فى العنبر. ولم يبال أن ينام معظمهم فى أثنائها.

ما أكثر ما تأمل فى المواقع الأمامية وخاصة فى هذه الحرب المجنونة التى وقع فيها . والتى سينتهى أمره فيها فى الأغلب مثل كل هؤلاء الأموات الذين حفروا لهم هذه

القبور القريبة من سطح الأرض. كل يوم سبعة قبور أو ثمانية. وبالطبع فقد أطال التفكير فى أى إمكانية للفرار من هذا الجنون وبحث عن أى منفذ أو أى إنقاذ لنفسه. هناك فى هذا البرد الروسى لم تمثل قنابل الأعداء فقط تهديداً لحياته ، ولكن أيضاً بنيته الضعيفة. وذات يوم عند عودته من جولة فى الموقع أبلغ "الشاويش" أنه جرح برصاصة، وأنه قد وجد نفسه فجأة وجهاً لوجه مع جندى سوفيتي وحيد فى خندق، وقد حاول أن يطلق الرصاص ولكن الروسى كان قريباً منه لدرجة استحال فيها أن يرفع سلاحه، وأنهما تصارعا وفى أثناء المصارعة انطلقت رصاصة من سلاحه الخاص، وأن الرصاصة قد أصابت إصبعه الوسطى، ودفعت بالروسى إلى الهرب. وقد رفع الشاويش البلاغ إلى رئيسه الناقم فى كل الأحوال على جندى مشاة المدفعية المتمرد ، فاتهمه بأنه قد أحدث بنفسه هذه الإصابة . وأرسل الشاب ابن العشرين عامًا إلى المستشفى العسكرى ، فلما أصيب كذلك بالدفتريا نقل إلى المستشفى العسكرى الوطنى بشفاباخ . وفى هذه الأثناء كان الخبر السيئ قد انتقل من سلطة إلى أخرى وعندما تماثل ڤولفجانج إلى حد ما للشفاء فى مايو ١٩٤٢ ، ولكنه لم يسترد عافيته تمامًا على أية حال ، أُلقى القبض عليه بتهمة: "تعمد إيذاء نفسه ليصبح غير صالح للخدمة". وزج به فى السجن الاحتياطى فى نورنبرج. هناك جلس ألان فى زنزانته الانفرادية الضيقة. وما كان يجرؤ على أن يفكر فى كيفية محاكمته. وهذا أيضاً موقف يصلح لقصة فيما بعد .

شد ما كانت الجدران باردةً ميتة ، حتى إننى أصابنى السقم من الشك واليأس. فقد يصاب المرء بالوهن إذا ظل يصرخ عدة أيام من أزمة ما ولا مجيب. ولا يفتأ المرء يقرع الأبواب والجدران ساعاتٍ طوالاً ، فإذا لم تفتح ، سرعان ما تجرح قبضات الأيدى، وينقلب الألم الطفيف متعة وحيدة فى هذا القفر المجدب(٤) .

أما التمشية فى الفناء فهى التغيير الوحيد المتاح؛ حيث يمشى سبعون أو ثمانون رجلاً بالقباقيب فى دائرة فى فناء تتوسطه حشائش خضراء، وتحيط به أسوار رمادية، وينبح عليهم أناس يرتدون زيا أزرق ذا أحزمة جلدية حول البطن .

وذات يوم اكتشف ڤولفجانج بين أعواد الحشائش نقطة صفراء لا تكاد تبين. زهرة (سن الأسد) ، صفراء صغيرة. فدفعه الشوق لحيازة شيء حي في زنزانته أن يأخذ هذه الزهرة خفية. ولكنه لم يتخف بالقدر الكاف وضبط متلبساً ومنع لأسبوع من المشي في الدائرة مع المساجين الآخرين عقاباً له. أضحى وحيداً ثانيةً في زنزانته. كان يعلم تمام العلم كيف يتم مثل هذا الإعدام رمياً بالرصاص. فكر في ذلك كل يوم وكل ليلة ، طوال مائة يوم . والوقت يمر بطيئاً معذباً. رغم أن كل يوم واحد يمر كان هبة إلهيه. وأخيراً تحدد ميعاد المحاكمة؛ يوم ٣١ يوليو ١٩٤٢ وسمح لڤولفجانج أن يوكل من يشاء من المحامين ، بالإضافة إلى المحامي الذي انتدبته المحكمة في نورنبرج. فكاتب المحامي الدكتور هاجر ؛ فبينهما معرفة قديمة في هامبورج .

عندما وصل د.هاجر قبل ميعاد المحاكمة بيوم إلى نورنبرج كان ڤولفجانج شاحباً نحيل الوجنتين على إثر السجن الانفرادي الطويل وتموين السجن الشحيح. ولكنه ليس مستنزف القوى تمام الاستنزاف. أشار الممثل والكاتب الذي لا يزال مجهولاً إلى بذلته القذرة البائسة قائلاً: "لو رآني كاتبو سيرتي الذاتية الآن؟!".

في اليوم التالي طالب المدعي أمام المحكمة بإعدام ڤولفجانج ب. ولأنه لم يكن هناك شهود على المصارعة في الخندق على الجبهة الشرقية ، فقد علقت على مصداقية المدعى عليه الأهمية الكبرى. ولكن الأمور بدت سيئة في هذا المقام بالذات. فجندي مشاة المدفعية ڤولفجانج ب. لم يظهر قط اقتناعاً بالنازية أو ولعاً بالجندية. وقد عبر مراراً وتكراراً ، شفاهةً وتحريراً، عن موقفه الناقد لهتلر ولهذه الحرب التي لا مغزى لها ضد العالم كله ، وتحت إجبار يكاد يصل لدرجة الانتحار. ولم يقف أمام المدعي أي عائق ليأتي بالبرهان على ذلك. فقد التقط الجستابو خطابات المدعى عليه المعادية للنظام والتي أخذ محامي الجيش يتلو فقرات منها الآن. ثم استرخى وكيل النيابة في مقعده واثقاً بالنصر .

قضي الأمر ، هذا ما ظن ڤولفجانج.

ولكن رئيس مجلس المحكمة العسكرية أثبت – بالطبع ليس بلا مخاطرة شخصية – أنه أحد القضاة القلائل الذين لا يخضعون لأوامر النازيين على علاتها. فقد وقر فى وجدانه صدق هـذا الشاب البائس الذى يقف أمامه مرتعداً فى ثياب السجن ، فأبرأ ساحة المدعى عليه من تهمة إحداث عاهة بنفسه.

أنقذ ڤولفجانج ب.

ذهب عنه الخوف من الأمر بإطلاق الرصاص عليه بلا رجعة.

ولكن البراءة لا تعنى أن يطلق سراحه فوراً ، لأن هذه المحاكمة جرت حول جرح الرصاصة لإصبعه الوسطى فى اليد اليسرى؛ أى حول اقتناع المحكمة بأن جندى مشاة المدفعية ڤولفجانج ب. قد أحدث فى نفسه هذا الجرح من رصاصة انطلقت من سلاحه ، لكى يهرب من إلحاقه الإجرامى بالجبهة الروسية. وبقيت عبارات المبرأ ساحته توًا المعادية للدولة فى أحاديثه وخطاباته. فأعيد ڤولفجانج ب. ثانيةً إلى السجن الاحتياطى وبعدها بعدة أسابيع حوكم ثانيةً ، وثبتت عليه التهمة هذه المرة وحكم عليه بالحبس لأربعة أشهر ، ثم استبدل بالحكم ستة أسابيع حبسًا مشدداً، يتبعه اختبار إثبات الشجاعة على الجبهة .

ڤولفجانج بورشرت Wolfgang Borchert

ولد فى ٢٠/٥/١٩٢١ فى هامبورج، وتوفى فى ٢٠/١١/١٩٤٧ فى بازل



ولد ڤولفجانج بورشرت فى ٢٠ مايو ١٩٢١ فى حى إبندورف Eppendorf فى هامبورج . والده فريتس بورشرت Fritz Borchert يعمل معلمًا هناك فى مدرسة شعبية ، ووالدته هيرتا Hertha كاتبة معروفه للأدب الوطنى. منذ كان تلميذًا ألف بورشرت الأشعار. وينشر أولها حين كان فى السابعة عشرة فى جريدة هامبورجر أنتساسيجر مؤشر هامبورج Hamburger Anzeiger وبعدها بعدة أشهر يترك المدرسة الثانوية بعد نهاية المرحلة العليا من المدرسة الثانوية. فى العام التالى يبدأ التدريب على مهنة بيع الكتب ويتلقى خلسة دروسًا فى التمثيل. بعد اجتياز امتحان التمثيل يعمل ممثلاً عام ١٩٤٠ فى فرقة مسرحية صغيرة متجولة فى ليونى بورج Lüneburg. هناك يقضى عدة أشهر سعيدة قبل أن يُستدعى للخدمة العسكرية. ويرسل فى نهاية عام ١٩٤١ إلى الجبهة الروسية. ويجرح فى يده اليسرى، ويقدم للمحاكمة فى نورنبرج بتهمة الاشتباه فى أنه أحدث العاهة بنفسه. ويطلق سراحه.

منذ عام ١٩٤٢ يعانى بورشرت من نوبات مرض الصفراء ثم يعقبه الحمى. بعد إرساله ثانية إلى الجبهة يدخل مستشفى سمولنك العسكرى لعلاج الأوبئة Smolnsk ، ثم يسرح بسبب عدم صلاحيته للخدمة. ولكن بورشرت الذى كان يشعر منذ أيام المدرسة بأنه فنان وعبقرى لم يسمح للحكم النازى بإخافته ، فيكتب الكثير من الأشعار والخطابات الناقدة للنظام. ويشهد النمامون على نكته السياسية. وقد نجا ڤولفجانج أثناء فتره التدريب من تعقب الجستابو بسلام إلى حدٍّ ما. والآن يقدم للمحاكمة بصفته جنديا ويظل خمسة أشهر فى السجن الاحتياطى فى برلين ، ويحكم عليه بالسجن تسعة أشهر. وفى سبتمبر عام ١٩٤٤ يطلق سراحه بسبب "اختبار الأعداء".

فى ربيع ١٩٤٥ يقع ڤولفجانج بورشرت فى فرانكفورت فى الأسر الفرنسى ، ويتمكن من الهرب فى أثناء نقله إلى معسكر أسرى الحرب الفرنسى. وينجح فى الوصول إلى هامبورج فيصل إليها فى العاشر من مايو ١٩٤٥ وقد اشتد عليه المرض.

عند عودته فى عام ١٩٤٥ من الحرب لم يكن ڤولفجانج بورشرت قد كتب بعد ما يبرر شهرته أديبًا. فيقوم الشاب ابن الثلاثة والعشرين عامًا بنشاط محموم. ويظهر فى سبتمبر فى شخصية "شاب عالمى متجول" فى المسرحية السياسية "ياناماتن فى الميناء" Janmaaten im Hafen . ولكن الوهن يلازمه حتى إنه لا يتمكن من التمثيل إلا وهو يعانى من الآلام.

وفى نوفمبر يعمل مساعد مخرج لعرض مسرحية جوتهولد إفرايم لسينج Gotthold Ephraim Lessing "ناتان الحكيم" Nathan der Weise ، ولكن ڤولفجانج لا يتمكن من أداء هذه المهمة التى تجتذبه على خير وجه ، فهو دائمًا لا يستطيع أن يتحرك إلا مستندًا على الجدران . وفى نهاية عام ١٩٤٥ يتمكن منه المرض حتى إنه يكاد يقضى البقية الباقية من حياته القصيرة ملازمًا الفراش.

ولا يتمكن الأطباء من تشخيص مرضه على وجه الدقة. فمنهم من يرى أنها الصفراء ، ومنهم من يرى أنها ملاريا جاء بها من الحرب. وبعد ذلك بفترة طويلة يتبين أن بورشرت يعانى من كبد شديدة الحساسية ، فقدت وظائفها نتيجة لأضرار سوء التغذية الشديد فى أثناء الحرب.

فى الرابع والعشرين من يناير ١٩٤٦ فى المستشفى ، وفى حماسة قصيرة يكتب قصة "زهرة سن الأسد – قصة سجن" Die Hundeblume-eine Gefängnis-Geschichte . وفى البداية لم ينتبه هو شخصيا لما تحقق له فى هذا المضمار. فهو لا يزال يرى نفسه شاعرًا: "يجب أن أعتاد أولاً على النثر – النثر بطىء أيما بطء – لقد اعتدت تمامًا على السرعة"(٥). لقد وجد ڤولفجانج بورشرت المجال الذى سيصل به إلى التفوق بجدارة.

ولكنه لا يزال متردداً وتنقصه القوة : "يجب أن أستغل أيضًا كل خمس دقائق متاحة أكون فيها فى كامل الوعى إلى حد ما. فالأشعة تهاجمنى حتى إننى لا أتمكن من الحملقة أمامى إلا بثقل شديد. وبالإضافة إلى ذلك ، لا أستطيع الهمس ، حتى ولا على فترات متباعدة؛ لأن ما صارت إليه كبدى من حجم ، لا يكاد يسمح لى بالنفخ"(٦).

فيكتب وقد أخذه الحماس - قصصًا أخرى وأشعارا أيضًا. وفى يناير ١٩٤٧ يتمكن من كتابة مسرحيته الشهيرة "فى الخارج أمام الباب- Draußen vor der Tür" فى ثمانية أيام. وتبث تمثيلية إذاعية فى فبراير محققة صدى واسعًا.

تتدهور حالة ڤولفجانج بورشرت الصحية ، ويظهر بريق من الأمل فى الإقامة فى مصحة فى سويسرا. ولكن المريض يصل على محفة إلى بازل فقط ، وقد أنهك المرض قواه . وهناك فى مستشفى كلارا يكتب قصيدته الشهيرة المعادية للحرب "إذًا هناك واحد فقط!" Dann gibt es nur eins! .

وفى نوفمبر من عام ١٩٤٧ يتوفى بورشــرت وما كاد يبلغ السادسة والعشرين فى بازل ويدفن فى هامبورج فى مدافن أولس دورفر - Ohlsdorfer .

مقترحات للقراءة

ينبغى البدء بقراءة بعض الأشعار لڤولفجانج بورشرت مثل "إذًا هناك واحد فقط".

- ثم يُثنى بقراءة بعض القصص على سبيل المثال "زهرة سن الأسد" Die Hundeblume ، أو "شيشوفوش أو نادل عمِّى" Schischyphusch oder der Kellner meines Onkels.

أما من يود معرفة بورشرت حق المعرفة فعليه سماع تمثيليته الإذاعية "فى الخارج أمام الباب" وكذلك رؤية العرض المسرحى - إن أمكن.

مزارات

فى حى إيبندورف فى هامبورج يقع البيت الذى ولد فيه ڤولفجانج بورشبرت وعنوانه تاربين بيك شتراسه رقم ٨٢ Tarpenbekstraße 82 . وهناك كذلك نصبان تذكاريان فى شارع إيبندورفر لاند شتراسه Eppendorfer Landstraße ؛ أحدهما عند شجرة البلوط ، رمز السلام ، فى ميدان ماركت بلاتس (Marketplatz) فى إيبندورف ، والآخر فى المتنزه الصغير على مرتفع منزل رقم ٨٨ . وأقيم له نصب تذكارى ثالث على نهر الأوسن الستر Außenalster ، بالقرب من دار الأدب. أما قبر الأديب فيوجد فى مدافن أولس دورف Ohlsedorfer Friedhof .

إنجِبورج باخْمان

بقلم إنجريد روبيلين

« سفينة الشمس فى الميناء ترقد جاهزة ... »

مساء الأمس كان والد إنجِبورج فى لعب الورق هو "الشايب" ، وعليه حق لها أن تلون وجه أبيها باللون الأسود، وكادت أن تسقط من الضحك من فوق كرسيها . أما أختها الصغيرة فقد صرخت بصوت حاد ضاحكة عندما رأت والدها .

للحظات لم يبال والدة ووالد إنجِبورج بأن تزعج ضوضاء الفرح هذه المؤجر الذى كان يقطن تحتهم. لم يصدر عنهما التحذير: "بصوت خفيض من فضلكم، اخفضوا الصوت!" .

فى الصباح الباكر لهذا اليوم أشرقت الشمس إشراقًا صحوا . رقدت كلاجِن فورت فى هدوء ودعة فى الوادى أمام مجموعة جبال كارافانكِن. على ضفاف بحيرة فورتير زيه كانت تُرى بعض القوارب. كانت السماء ترسل أشعة زرقاء. ثم كان أن قفزت إنجِبورج فى لعبة الجنة والنار(*) من فوق النار إلى الجنة.

فى الفصل كانت إنجِبورج تكتب بحماسة الحروف تحت الخط وفوقه. وبالرغم من أنها كان فى مقدورها كتابة نصوص كاملة، إلا أن المدرسين كانوا يفرحون عندما كان يفعل التلاميذ ما يقال لهم. ولذلك فى أغلب الظن كُتب لها اثنتا عشرة مرة فى شهادتها

(*) لعبة مثل "الأولى" أو "الحَجلة" يقفز فيها الطفل على قدم واحدة فوق مربعات مرسومة على الأرض فى وسط كل منها دائرة من غير أن تمسّ قدمه أضلاع المربعات الأخرى التى تمثل رمزيا الجنة والنار . (المترجم)

المدرسية "ممتاز"، بينما كان تقديرها فى "الرسم والمجالات" لا يزيد فى أحسن الأحوال عن "جيد جدا".

أحيانا كانت إنجِبورج تضيق ذرعا بكل ما يحدث فى الحصة، فقد كانت تُنتزع مرارا وتكرارا من أحلامها انتزاعا والتى كانت تلعب فيها على ضفاف البحيرة. فى الحلم رأت نفسها تقفز في الماء، كانت عروس بحر، كانت طيبة وشريرة مثل عروس الموج أُوندينا(*) التى حكت لها عنها جدتها. عندما كان هناك ما يكفى من الصقيع كانت فى الحلم تدور وهى مرتدية حذاء التزلج دوّائر رائعة مستديرة تمام الاستدارة لتدور بساق واحدة حول نفسها. كان البط على الشاطئ مندهشا. بعد ذلك تجاذبت أطراف الحديث مع بومة أتت لزيارتها ليلا عند نافذتها. روت لها البومة عن الحياة فى ظلام الغابة وكيف أنها سبّت القمر الذى كانت دائما تتشاجر معه.

غير أنه فى ذروة تلك الأحلام كان يقتحمها سؤال المدرس: "والآن إنجِبورج، ما هو حاصل ضرب ثلاثة فى ثلاثة؟" عادت سريعا إلى الواقع مرة ثانية وأجابت بصوت خفيض: "تسعة". مرة أخرى زمجر المدرس قائلا: "بصوت أعلى، أعلى، يا إلهى، أعلى! لا أحد يفهم ما تقولين!" بل إنه قال من عدة أيام: "لا بد أن تُضربوا إلى أن تفتحوا الفم، لا بد تُضربوا ..." أيضا فى هذه اللحظة حل بها الخوف، فاليد الضخمة التى تأرجحت فوقها أخافتها. لم تبد أى رد فعل. كانت تفضل السكوت.

أحيانا كانت تسأل الأطفال الآخرين: "هل ستأتون معى إلى الغرفة التى تحت السقف؟ هناك تحدث أشياء رائعة!" وعندما كانوا يذهبون إلى هناك حيث كانت الإضاءة خافتة، وحدث أن طارت إحدى البوم فزعة هاربة من إحدى النوافذ الصغيرة فى السقف كانوا يصرخون عاليا، وكان يخيل إلى إنجِبورج أنها ستذهب فى إغماءة. لاحظت أن لها صوتًا قويا، عاليًا، صارخًا، مبتهجًا! ويمثل هذا الصوت كانت أحيانا فى الحلم أو فى الليالى التى كانت ترقد فيها مستيقظة تعنِّف الصوت الآخر. سألت صوتها الخفيض فى صرامة: "قل لى، أتراك مريضًا حقا، أم ماذا بك؟"

(*) جوهر على شكل سيدة تبتغى البشر لتنال الخلود وتعاقب الخيانة بالموت. (المترجم)

عندما كانت فى طريق العودة من المدرسة إلى البيت أخذت تغنى بصوت مرتفع، وشعرت بأنها فى منتهى القوة. كان الماء الذى تسير بجانبه يرسل لمعانه، وصيّر طائر الشحرور أصواته الثلاثة إلى نشيد رائع للشمس. أخذت تثب على الجسر الصغير، أخذت تسأل الأسماك عمًّا إذا كان فى مقدورها الطيران، بل إنها تخيلت أنها ستتجول يوما ما فى قاع النهر. فى هذه اللحظة سمعت صوت صبى يناديها من خلفها: "أنت، أنت يا من هناك، تعالى، سأعطيك شيئا!" هل كان يقصدها فعلا؟

كان الصبى يكبر إنجبورج عمراً، لا شك أنه كان قد تجاوز الثامنة ، وهى التى أتمت السادسة منذ قليل . بجانب هذا الصبى كان هناك آخر فى نفس طولها يمشى بجواره. كانت حقيبتا المدرسة للاثنين تهتزان هزًّا.

كانت إنجبورج سعيدة؛ فقد كان هناك شخص ما يريد أن يهديها شيئا، كان ينتبه لوجودها.

ترددت إنجبورج وظلت واقفة على الجسر. انتابتها فرحة عارمة. تقدمت نحو الصبيين ثلاث خطوات إلى الأمام لتقف أمامهما. بدون مقدمات حط على وجهها صفعة قوية. أخذ صوت الصفعة يدوى فى رأسها. سقطت الشمس فى النهر. زعقت الطيور. أخذ وجهها يلهبها. رأت الانتصار يلمع فى عينى الصبى الأكبر. استشعرت ذلك، وأيقنت تماما أنه فرح بما أصابها من الفزع العميق ومن الألم الذى أحسته، بل إنه كان سعيدا أيما سعادة وهى على هذه الحال. وها هو ذا أيضا يسخر منها قائلا: "أنت يا هذه، نلت ما توقعته !"

كانت هذه المرة الأولى التى يصفعها فيها شخص ما على وجهها، كانت المرة الأولى التى تعى فيها أن يضربها شخص ما، وأن يستشعر اللذة لحظتها. لقد كان هذا الوعى هو الذى أشعرها بالألم.

عاقدة يديها فى سيور الحقيبة المدرسية، ودون بكاء، وبخطوات رتيبة قطعت طريق المدرسة إلى البيت هائمة، لكن هذه المرة دون أن تحصى عدد العواميد الخشبية فى السور الممتد على حافة الطريق.

كانت لا تزال مأخوذة بالألم والفزع. لم يتحول الألم فيها إلى دموع. في هذه اللحظة طردت من طفولتها، ليس لأي سبب سوى أنها أبدت الثقة. في المنزل دفعت بها رائحة باقة الزهور إلى إحساس بالغثيان.

لم تنس مطلقا هذا الجرح الأول الهائل. ظل هذا الجرح عالقا في ذاكرتها في جلاء، وتحول إلى وحش في أحلامها.

كانت إنجبورج طفلا هادئا. كانت مُفكِّرة، وكانت تجلس وحدها لساعات طويلة في سكون. كانت خجولة ولطيفة. أحيانا كان يسطع وجهها وكانت عيناها تتلألأ نجوما حقيقية. كانت تغني وتعزف على البيانو، وتؤلف الموسيقى، وتقرأ، وتكتب، وتكتب، وتكتب. في آخر قصائدها على الإطلاق ربما كنا سنقرأ يوما:

إياك والبكاء

قالت نغمة الموسيقى

وعداها

لم يقل

أحد

شيئا(١)

في عام ١٩٣٣ – وكانت إنجبورج وقتها في السابعة من عمرها – انتقلت عائلة باخمان إلى مكان آخر، حيث قطنوا إحدى المجتمعات السكنية. أمام المنزل كانت هناك ورود مزدهرة. خلف المنزل زرعوا أشجار تفاح، لكي تكبر معها إنجبورج. كان التفاح يُخزن بعناية في القبو على أرفف خشبية. كان يُسمح للأطفال أن يأكلوا فقط التفاح الآخذ في العطن الذي استبعدوا منها الأجزاء الفاسدة. ولكن مهما أكلوا منه كان هناك دائما الجديد من التفاح الآخذ في العطن. كانت إنجبورج تأمل أن يعطيها أولاد الجيران يوما ما موزة في المقابل.

في ذلك الوقت ظلت حصالة إنجبورج خاوية.

أبدعت فى ذلك الوقت بعض الألحان على البيانو. كانت لديها كلمات أثيرة إلى قلبها تستعملها دائما وأبدا فى قصصها. كان الليل هو وقت الصور الحاشدة، وقت الخوف والفزع. كان الليل أيضا الوقت لاكتشاف حقيقة ما عن نفسها، عن أصدقائها، عن ألمها وحنينها، أيضا عن وحدتها. أحيانا كان يظهر فى مخيلتها سفينة من سفن الشمس. كانت ترحل بها فى خط مستقيم إلى نابولى، تصعد بركان فيزوف، وترى شخوصا تتكون من أبخرة البركان. طردت الكلمات "البحر"، و"الرياح"، و"السماء" الأهوال التى كانت تظهر فى أثناء مثل هذه الرحلات داخل الكلمات. عند الكلمة "البر" استراحت. هناك استدعت من جديد كل الكلمات الأثيرة لديها: الليل، الشمس، الرياح، السماء، والبحر. وهناك أيضا وُجدت العينان اللتان من خلالهما كان كل شىء يتوغل فى داخلها. العين الأولى كانت كلمة "العينان"، والثانية كانت "عيناها اللتان فى وجهها". خفضت عينيها. سقطتا مثل غطاء واقٍ على كل الكلمات الأخرى لكيلا يكون فى مقدور أى شخص أن يدمر جمالها نهائيا، والذى كان يحتوى على أية حال أيضا الألم والحزن.

أيام الآحاد كانت عائلة باخْمان دائما تذهب للتجول على جبل "كروييتس بيرج". لم تكن إنجِبورج تحب أيام الآحاد.

أتى يوم الثالث عشر من شهر مارس من عام ١٩٣٨ . فى يوم الأحد هذا لم يتجول أحدهم ولا شك بهذه البساطة فى منطقة كلاجِن فورت الهادئة المسالمة؛ فقوات أدولف هتلر زحفت على المدينة الواقعة فى أقصى أقاصى جنوب النمسا، على المدينة التى تقع فى ملتقى البلاد الثلاثة، على بعد كيلومترات من إيطاليا وسلوفانيا. كانت إنجِبورج نمساوية. كانت تتحدث الألمانية، لكنها لم تكن ألمانية. فى ذلك اليوم جُعل منها ألمانية.

فى يوم الثالث عشر من مارس من عام ١٩٣٨ هتف المواطنون فى شوارع كلاجِن فورت: "ألمانيا، ألمانيا فوق الجميع"، غنوا "رفعوا العلم عاليا ...!". سطعت الوجوه، لمعت من الحماس والتأييد. رايات حمراء بعلامتها المميزة وخزتها فى وجهها، سحقت

أفكار إنجبورج. هتفت الجماهير "عاش!". جلجلت عربات قتال مجنزرة، وكركرت الدراجات البخارية. خيل إليها أن كل هـذه الأحذية الثقيلة مرت عـابرة إيـاها. شعرت بالآتى:

الموت فى معية الضوضاء

معقود ناصيته منذ القدم(٢)

لم تستطع أن تدفع عن نفسها هذا العنف الهائل، هذا الزعيق، هذا الغناء، وهذا الزحف الذى لم يصبّ فيها سوى الفزع الأكبر. بزحف قوات هتلر تحولت طفولتها إلى هشيم.

فى الليالى التى تلتها استحوذ على الجلى من أحلامها حقيقة أنه ليس هناك سلام. رويدا رويدا اتضح لها أن كل ما كان يحدث من فظائع فى ذلك الوقت كان يجد طريقه إلى الأحلام. فى هذه الأحلام كان يعود السؤال يطرح نفسه: أمِن المقرر أن يُغتال جميعنا؟

فِي ذلك الوقت كانت تذهب أحيانا إلى جديها فى الريف. فى الماضى كانت تشعر هناك بالحرية والسعادة المطلقتين. بكامل الدهشة والإعجاب التقطت صخرا زاهى الألوان من الجرانيت، لتقذف به بعيدا لتلتقطه للمرة الألف. فى هذه اللحظة ظلت الأشجار غريبة عليها أيما غرابة. كانت أناشيد الطيور تؤلها، وحيث كانت الشمس لا تسقط أشعتها على الغابة كان ينتابها الخوف. فيما سبق أيضا كان شجر القَيْقَب فى أكتوبر يبعث فيها الإعجاب عندما كانت الشمس تمنحه البريق. لكنه بدا لحظتها مثل لطخة كبيرة ذهبية اللون. فى هذه اللحظة خيل لها أنه سقط هناك مشعل من مشاعل الملائكة على الأرض. لكم كانت تحب الشمس. لكنها الآن تُواجه من كل مكان بالخوف والحَزن. أصبحت ترى الآن الأشجار والطيور مختلفةً ... كما لو كانت تراها عبر الضباب. فيما بعد تراها ربما تشكو الآتى :

لا استطيع أن أرى فى الأشجار أى شجر

[...]

إلام سيصبح الأمر؟

من أمام عينى تهرب الغابة

أمام أذنى تغلق الطيور أفواهها

لم يعد الكلأ لى مهدا

[...]

إلام سيصبح الأمر

[...]

لا أستطيع أن أرى فى أى طريق طريقا[٣]

إنجِبورج باخْمان Ingeborg Bachmann

ولدت فى ٢٥/٦/١٩٢٦ فى كلاجِن فورت Klagenfurt ، وتوفيت فى ١٧/١٠/١٩٧٣ فى روما



ولدت إنجِبورج باخْمان فى مدينة كلاجِن فورت الواقعة فى أقصى جنوب النمسا، وكانت المولود الأول لمدرس بروتستانتى المذهب والذى أصبح فيما بعد مدير مدرسة متوسطة(*) ماتياس باخْمان Matthias Bachmann ، وكان اسم والدتها هو أولجا Olga . بعدها ولدت إزولده Isolde وبعد إزولده بوقت طويل ولد الأخ الصغير المحبوب هاينتس Heinz .

فى ولاية كيرنتِن Kärnten – فى ملتقى البلاد الثلاثة – يتحدث الناس اللغة الألمانية، واللغة السلوفاكية. كان والد إنجِبورج باخْمان يُدَرِّس أيضا اللغة الإيطالية والتى سرعان ما تعلمتها إنجِبورج أيضا. كتبت إنجِبورج باخْمان تقول: "كنت سواء هنا أو هناك فى وطنى، ومعى قصص الأرواح الطيبة لبلدين أو ثلاثة، فخلف الجبال، على بعد مسيرة ساعة واحدة، تقع مباشرة إيطاليا."(٤) . غير أن شاعرتنا سعت إلى ما هو أبعد من كيرنتِن. "أظن أن ضيق الوادى ووعى بالحدود القائمة خلقا بداخلى حنينا إلى البلاد البعيدة"(٤) .

عاشت إنجِبورج باخْمان حياة غير مستقرة، فى بادئ الأمر فى النمسا، ثم بعد ذلك من عام ١٩٥٣ إلى عام ١٩٥٧ فى إيطاليا، بالأحرى فى جزيرة إسكيا Ischia ، فى نابولى، وفى روما. من عام ١٩٥٨ إلى عام ١٩٦٢ عاشت ما بين روما وزيورخ. فى عام ١٩٦٣ توجهت إلى برلين لترحل فى عام ١٩٦٥ مجددا إلى روما حيث توفيت

(*) نوع من المدارس تمتد من السنة الدراسية الخامسة إلى التاسعة لمن لا يرغب فى إكمال دراسته فى مدرسة عليا . (المترجم)

فى عام ١٩٧٣ . كانت إنجبورج باخْمان تحب السفر، على سبيل المثال إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى فرنسا، وإلى براغ، وإلى لندن، وإلى مصر، وإلى السودان، وإلى بولندا.

فى كلاجن فورت عاشت الأسرة حتى عام ١٩٣٣ فى ٥ (حاليا رقم ٣٥) شارع دورش لاس شتراسه Durchlassstraβe ، ثم فى ٢٦ شارع هينزل شتراسه Henselstraβe فى عام ١٩٣٨ احتلت قوات أدولف هتلر كلاجن فورت. أثر هذا الحدث فى ما صاحب إنجبورج باخْمان طيلة حياتها من حساسية تجاه العنف. درست إنجبورج باخْمان فى المدرسة الثانوية للبنات فى منطقة أُرزولينين جاسّه Ursulinengasse ، لتؤدى هناك امتحان إتمام المرحلة الثانوية. فى الفترة من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٤٦ درست إنجبورج باخْمان فى مدينة إنسْبروك Innsbruck الفلسفة والحقوق ونشرت أولى أقصوصاتها بعنوان المعدية Die Fähre فى مجلة كيرنتن إليستروريرته Kärtnen Illustrierte مجلة (كيرنتن المصورة). من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٠ أكملت دراسة الفلسفة فى ڤيينا وكتبت هناك رسالة الدكتوراه عن "الاستقبال الناقد للفلسفة الوجودية عند مارتن هايدجر"(*). كان تفكير إنجبورج باخْمان متأثرا بشكل كبير بلودڤيج ڤتجنشاين(**) الذى كتبت مقالا عنه فى عام ١٩٥٣ قُدم فى إذاعة باڤاريا.

فى ڤيينا ما بعد الحرب العالمية الثانية شعرت إنجبورج باخْمان مجددا بحصار الحدود: "عندما انتهت الحرب ذهبت بعيداً ووصلت بكامل اللهفة والآمال إلى ڤيينا التى بدت فى مخيلتى عصية على الوصول إليها. مرة أخرى أصبح هناك وطن على الحدود:

(*) Heidegger, Martin (١٨٨٩-١٩٥١): فيلسوف وعالم لغة ألمانى رأى أن استعمال الكلمات هو القادر فقط على تحديد المعانى الكامنة من ورائها وأن ما نقوله لا يعبر إلا عن ما لدينا من تصورات ذهنية عن منطق الأشياء. (المترجم)

(**) Wittgenstein, Ludwig (١٨٨٩-١٩٧٦): فيلسوف ألمانى مؤسس الوجودية رأى أنه هناك فرقا بين الوجود والموجود ، وأن الإنسان الذى قذف به إلى الوجود عليه أن يتحمل مسئولياته تجاهه من خلال نفسه ومن خلال تعايشه مع الآخرين ومن خلال الإيمان بأن الحياة مردها الموت المفضى للحياة من جديد. (المترجم)

بين الشرق والغرب، بين ماض كبير ومستقبل مظلم"[٥]. فى ڤيينا تعرفت إنجبورج باخْمان على بول سيلان Paul Celan الذى ربطتها به – إلى أن انتحر فى باريس – صداقة حميمة. وكلا الاثنين كان يختار فى قصائده استعارات غامضة تحكى عن حقيقة تتجاوز الواقع التجريبى، الواقع الذى يمكن أن نمسك به بإعمال العقل.

سرعان ما رأت إنجبورج باخْمان أنها لا تستطيع العيش مما تنشره من مقالات، أقصوصات وقصائد. وعليه قبلت فى خريف عام ١٩٥١ وظيفة كاتبة سيناريو، وبعدها وظيفة محررة فى إذاعة أحمر – أبيض – أحمر Rot-Weiβ-Rot فى ڤيينا.

فى عام ١٩٥٢ ظهرت سلسلتها الشعرية بعنوان الرحيل Ausfahrt فى الكتاب الذى أصدره هانس ڤايجل Hans Weigel بعنوان أصوات الحاضر Stimmen der Gegenwart، فى العام نفسه سافرت إلى مدينة نيندورف (Niendorf) الواقعة على بحر البلطيق، حيث كان يعقد اللقاء العاشر لجماعة ٤٧(*) الذى دعاها إليه هانس ڤيرنر ريشتر(**) Hans Werner Richter. أيضا بول سيلان قرأ قصائد له. حصلت إلزه أيشنجير(***) Ilse Aischinger بعملها حكاية منعكسة Spiegelgeschichte على أول جائزة. اشتهرت قراءة إنجبورج باخْمان لأعمالها بما فيها من درامية متوغلة: "بصوت خفيض جدا، يكاد يقترب من الهمس. بعضهم قال بعدها: إنها تبكى قصائدها. كان عليهم كلهم أن يقتربوا منها لكى يفهموا ولو كلمة واحدة. زاد صوت إنجبورج باخْمان انخفاضا فانخفاضا إلى أن صمتت تماماً".

أنذرت قصائدها بميلاد عصر جديد. نهاية "أدب الأطلال(****) أعلنت عن نفسها.

(*) جماعة أدبية ألمانية أسست فى عام ١٩٤٧، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى عام تأسيسها، ركزت على دور الأديب فى المجتمع كرد فعل على أحداث النظام النازى والحرب العالمية الثانية. (المترجم)

(**) أديب ألمانى (١٩٠٨-١٩٩٣) من مؤسسى جماعة ٤٧. (المترجم)

(***) أديبة نمساوية من مواليد ١٩٢١. (المترجم)

(****) مصطلح يشير إلى الأدب الألمانى الذى كان يتناول بشكل مباشر ويلات الحرب العالمية الثانية. (المترجم)

في عام ١٩٥٢ حصلت إنجِبورج باخْمان في مدينة ماينتس Mainz على أول جائزة لجماعة ٤٧، لتحقق بذلك الشهرة الأدبية. في هذا العام ظهرت أيضا مجموعتها الشعرية الشهيرة الزمن المُمدد Die gestundete Zeit التي أصدرها الفريد أنديرش Alfred Andersch . في عام ١٩٥٦ تلى ذلك مباشرة المجموعة الشعرية مناجاة الدب الأكبر Anrufung des Groβen Bären .

في عام ١٩٥٣ رحلت إنجِبورج باخْمان إلى إسكيا لتعيش هناك مع المؤلف الموسيقى هانس ڤيرنر هينتسه Hans Werner Henze . كتبت له إنجِبورج باخْمان نصوص مؤلفاته الموسيقية (الليبرتو)، على سبيل المثال اللورد الشاب Der junge Lord أو الأمير فون هومبورج Prinz von Homburg ، كما كتب ڤيرنر هينتسه الموسيقى لتمثيليتها الإذاعية الجنادب Die Zikaden التي أُذيعت أول مرة في عام ١٩٥٥، ووضع الموسيقى لبعض قصائدها، على سبيل المثال حرية التنقل Freies Geleit أو الرباعية في عاصفة الورود Im Gewitter der Rosen .

أينما نرم البصر في عاصفة الورود

نجد الليل مضاء بالأشواك، ورعد

أوراق الشجر المتساقطة التي كانت هامسة في الشجيرات الكثيفة

ها هي الآن تلاحقنا(٦) .

كانت إيطاليا هي وطن الإقامة لـ إنجِبورج باخْمان: " أكاد أزعم أنني في إيطاليا أصبحت أكثر سعادة، هنا تعلمت أن أوظف عينَيَّ، هنا تعلمت الرؤية. في إيطاليا يروق لي أن آكل، أن أعبر الشارع، أن أرى الناس"(٧) .

سرعان ما ذاع صيت إنجِبورج باخْمان، حتى إنها ظهرت في عام ١٩٥٤ على غلاف مجلة شبيجيل Spiegel (المرآة)، كما نالت عديداً من الجوائز وشهادات التقدير العالمية، ومنها على سبيل المثال جائزة جيورج بوشنر في عام ١٩٦٤ . أما مجموعة محاضراتها عن قضايا الأدب المعاصر Fragen der zeitgenössischen Dichtung

فى جامعة فرانكفورت فقد استقبلها الطلبة والطالبات آنذاك بتشكك، فقد كانت غريبة عن الشكل الأكاديمى المألوف بشكل واضح.

فى ذلك الوقت كانت إنجِبورج باخْمان على علاقة بماكس فريش. وفى إحدى المقابلات صرحت قائلة: "أريد أن أكون امرأة عادية، أريد أن أتزوج وأن أنجب أطفالاً"[٨] . غير أن ماكس فريش لم يكن الرجل المناسب لمثل هذا النوع من الزيجات التقليدية. فى عام ١٩٦٣ تقابلا لآخر مرة فى مقهى فى روما. فى رواية "مونتوك"(*) لماكس فريش يعلق الراوى على نهاية حبهما قائلا: "لم نتجاوز النهاية بشكل جيد، كلانا لم يفعل"[٩] .

فى عام ١٩٦١ ظهرت المجموعة القصصية الشهيرة العام الثلاثين **Das dreiβigste Jahr** . وفى مدينة روما ظهرت مالينا **Malina**(**)، وهى الرواية الأولى من ثلاثية لها(***)، والتى نشرت فى عام ,١٩٧١ فى عام ١٩٧٢ ظهرت المجموعة القصصية مدعى **Simulant** . فى شقتها بروما أخذت إنجِبورج باخْمان تعمل كالمجنونة وكانت فى احتياج للحبوب لكى تستقر حالتها. فى يوم السادس والعشرين من عام ١٩٧٣ تعرضت لحادث حريق توفيت على إثر مضاعفاته فى السابع عشر من شهر أكتوبر من عام ١٩٧٣ . وقد دفنت إنجِبورج باخْمان فى جبانة كلاجِن فورت – أنًا بيشل.

أُوفه يونسُن **Uwe Johnson** الذى كان صديقا لها تتبع فى بحثه رحلة إلى كلاجِن فورت **Eine Reise nach Klagenfurt** حياتها أيضا، حيث زار أيضا الجبانة وكتب يقول: "القبر رقم ١٦ فى الصف ٣ فى الفئة I فى حقل XXV وجد من يزوره. فى أعلى نهاية الربوة تستند باقة صغيرة مجدولة من زهور كثيرة، ومنها أيضا الكرين، محاطة بأحجار فى حجم البيض"[١٠] .

(*) حى من أحياء جزيرة لونج أيلاند التابعة لولاية نيويورك. (المترجم)
(**) فى أحداث الرواية مؤرخ عسكرى كان يقيم سويا مع الراوية. (المترجم)
(***) أعطت الكاتبة للثلاثية اسم "أشكال الموت"، غير أن الروايتين الأخيرتين – "قضية فرانتسا" و"قداس عزاء من أجل فانى جولدمان" – لم تكتملا على حياة عين الكاتبة، ونشرتا ناقصتين فى عامى ١٩٧٦ و ١٩٧٩ على التوالى. (المترجم)

مقترحات للقراءة

بادئ ذى بدء يمكنك أن تقرأ بعض القصائد، ومنها مناجاة الدب الأكبر وبلاد الضباب Nebelland . اقتراب جيد من أعمال إنجبورج باخمان تقدمه لنا أيضا التمثيلية الإذاعية الرب الطيب لمانهاتن Der gute Gott von Manhattan . وقبل التوجه بالقراءة فى رواية مالينا يجدر قبلها قراءة بعض الأقصوصات، ومنها كل شىء Alles أو "العام الثلاثين".

مزارات

من يزر ولاية كرنتن فإنه يمكنه التعرف فى كلاجن فورت على عالم الطفولة والشباب لإنجبورج باخمان. فى ٥ شارع دورش لاس شتراسه ولدت إنجبورج باخمان، بعد ذلك أقامت فى ٢٦ شارع هينزيل شتراسه. أما قبرها فهو فى جبانة كلاجن فورت – أنّا بيشل Klagenfurt-Annabichel .

فى روما أقامت إنجبورج باخمان فى ٦٠ شارع ڤيا بوكّا دى ليونه Via Bocca di Leone 60 وفى بالاسو ساكيتى Palazzo Sacchetti فى ٦٦ شارع جيوليا Via Giulia 66 .

كريستا ڤولف

بقلم فريدريك هِتمانّ

من الذى يشعل الحروب ؟

جلست الفتاة فى العربة بجانب السائق. سمحوا لها بالجلوس هناك ، لأنها أخذت الرضيع، وقد كان يصرخ فى أول الأمر حينما أخذوه من أمه ووضعوه على ذراعيها، ملأ الدنيا صراخًا، فهدهدته كما كانت عندما كانت أصغر من ذلك تهدهد الدمى ، فسكت.

أما الأم ، فهى ترقد فى الخلف على كومة من القش . أحيانًا يُسمع من هناك تأوه ونهنهة مكتومة. ولد الطفل قبيل مجيء الخبر أن الروس يقتحمون المكان ، فأعطى فاجنر – قائد المجموعة المحلية – الأمر بأنه يجب أن يسير الركب فورًا. كان فاجنر يجرى فى القرية من منزلٍ لآخر ممسكًا بالمسدس فى يده ، وعندما رأته من خلال النافذة – بشكل غير واضح – لأن زجاج النافذة مغطى ببقع من الثلج – ظنته مجنونًا ، فنفخت على الزجاج لكى تصنع فراغًا فى بقع الثلج ، حتى تتمكن من رؤية الرجل بشكل أوضح. ولكنه اندفع عندئذٍ خلال باب البيت وصرخ فى الردهة : "فليخرج الجميع من هنا ! فى خلال نصف ساعة سيسير الركب". قَدِمت أمها من المطبخ على الناحية الأخرى من الردهة وقالت شيئًا ما للرجل؛ غالبًا أن المرأة النفساء لا تزال أضعف من أن تسافر معهم فى الركب. فصرخ فيها فاجنر : "لن تبقى رفيقة واحدة هنا".

تملك الخوف من الفتاة : أيطلق الرصاص على أمها ؟ بالطبع كان ذلك أمرًا مستبعدًا ولكن طالما حدثت أشياء فى هذا الوقت لم تكن فى الحسبان، فعلى سبيل

المثال ، لم يكن فى حسبانها أن يتقدم الروس إلى هنا . ففى التقرير العسكرى كان الحديث يدور حول انتصارات الجيوش الألمانية، وعن عمليات إنزال ناجحة، وعن خسائر فادحة ألحقت ثانية بالجيش الأحمر. وقد سألت الفتــاة أمها يوميا مرة أو مــرتين : "هل يجب عليهم الفرار ؟ ولو كان ، فإلى أين ؟" ، وقد هزت الأم رأسها دائمًا ولم تزد. ولكن عندما حضر فاجنر ، دخلت عليها وقالت بصوت يملؤه الخوف : "خذى حقيبة الظهر الصغيرة التى فى غرفة النوم واستعدى ، فيجب أن ننطلق".

– "إلى أين إذًا ؟"

– "لا تطيلى الأسئلة. افعلى ما أقول لك ، فالروس قادمون".

إذا صدق المرء الكبار ... فالروس بشراتهم جلد دب ، رجال تغطيهم من قمة رأسهم حتى أخمص أقدامهم جلود حيوانات، حيوانات مفترسة أكثر منهم بشر. الغريب فى الأمر أنه فى نشرة الأخبار الأسبوعية – عندما يدور الحديث مرة أخرى عن انتصار الجيش – لم يكن الراقدون فى الحقول رجالاً ذوى جلد حيوانات ، ولكن جنود بأزياء عسكرية مهلهلة وملوثة بالطين. أجل ، لقد كانت الفتاة خائفة ولكن بعض الفضول قد ملأها أيضًا، فالسؤال عن مظهر الروس كان يلهب خيالها.

"أسرعى" أمرتها الأم.

بالفعل فقد كانت حقيبة الظهر الصغيرة جاهزة لها فى غرفة النوم . ولكن الفتاة ذهبت مرة أخرى إلى غرفة الأطفال ، وألقت نظرة على كل ما فيها من أشياءٍ محببة اعتادت عليها. لم يدر بخلدها قط أن تتركها كلها وراءها . فكرت : هل عساها تعود ؟ ومتى ؟ ودت لو تأخذ معها شيئًا. كانت قد ارتدت معطفها الشتوى ذا الجيوب الكبيرة . فبحثت عن الكتاب الممزق ذى حبات الغراء على غلافه، كتاب الأساطير لهانز كريستيان أندرسن هذا، وغاصت به فى جيب المعطف ، ثم نادت عليها الأم من الطابق السفلى ثانيةً.

الآن وهى على العربة أرجحت الفتاة الرضيع ثانية. إنه لا يصرخ ولا يصيح، لقد أغلق عينيه فقد نام فى الأغلب . منذ الظهيرة وهم فى الطريق وقد قارب الظلام أن يحل. مروا بقرى فارغة يبدو أنه ليس فيها إلا الكلاب والبقر والخنازير ، منطلقة أحراراً. فقد فتح الفلاحون الحظائر قبل مغادرتهم . وقد مروا كذلك على حقول مختلفة يرقد على أرضها جنود موتى؛ موتى ألمان وموتى روس. قيل إن الروس قد هاجموا هذه الجهة من الجبهة ، وردوا على أعقابهم. ما أغرب شكل الموتى ! مختلف تماماً عما يظهر فى نشرة الأخبار الأسبوعية ولا يتبين أى فرق بين الألمان أو الروس، الكل مشوهون بفظاعة. ثم تركوا حقل الموتى هذا وراءهم.

أوقف الركب لأن فرقة من الجيش كانت تنسحب أمامهم ، ولم يسمح الجنود بمرور العربات التى تجرها الخيول ، فتوقف الركب ساعتين من الساعات الأولى للعصر فى البرد.

ونزل الرجل الذى بجانبها عن مقعد السائق وشبك يديه على صدره، أربعين مرة فقد عدتها. وظلت جالسة على مقعدها. لوهلة مدت كعبيها على لوحة مقعد العربة ، ولكن الطفل قد استيقظ بسبب ذلك وقد أعيتها الحيل لتهدئته. وذهبت فى غفوة سريعة رغم البرد . اعتقدت أنها سوف تتجمد الآن. وهو ما يلقى قبولاً لديها ، لأنها لا تعلم حتى الآن إلى أين يتجهون؟ ولكنها تعلم فقط أنها لن ترى غرفة الأطفال الخاصة بها ودولاب كتبها ذا قطع الزجاج الخضراء ثانيةً.

طافت بفكرها على كل الكتب التى قرأتها فى الأشهر الأخيرة ، كتاب "خلال الصحراء" لكارل ماى ثم "دون كارلوس" لشيلر ، سيجموند روستش ، "كتيب استعمارى" عن كارل بيترس الذى احتل شرق أفريقيا لصالح الرايخ الألمانى ، وتعود ثانيةً إلى أساطير أندرسن.

ثم فزعت فزعًا شديداً : صياح ، صرخات وأوامر. إنها فرقة ثانية من الجنود أمامهم. يعوقونهم عن الاستمرار فى المسير. جاء فاجنر وقال للرجل الجالس على المقعد : "انتهى الأمر اليوم. فلا طائل من أن نقضى الليل مسافرين ، فسيشتد البرد.

انزلوا وفكوا وثاق الخيل". وقد ساعد أحدهم الفتاة التى تحمل الرضيع على ذراعيها لتنزل عن المقعد.

اقتربت أم الفتاة التى كانت تجرى وراء العربة ، وانحنت على الرضيع ، فقالت الفتاة : "إنه هادئ تماماً". فامتُقع وجه الأم ووضعت يدها على فم الرضيع الصغير قائلةً : "يا إلهى" ، ليس أكثر ، ولكنها كان لها وقع الاتهام.

ظلت الفتاة واقفة بالطفل الميت على ذراعها. الآن فقط لاحظت تصلبه.

لقد مات

لا ، مستحيل

لقد مات

و هم يتساءلون كيف يخفون الجثة دون أن تلحظ النفساء ، فلا يمكن دفن الجثة ، لأن الأرض قد تجمدت. أخذ الرجل الذى قاد العربة الطفل المتجمد من الفتاة وذهب إلى مكان ما. إلى أين؟

"لا تبك" قالتها الأم للفتاة "إنه ليس ذنبك"

ذنب من إذاً ؟ من ذا الذى يتحمل ذنب إجلائهم عن بيوتهم؟ ولا أحد يعلم إلى أين؟ ومن ذا الذى يتحمل ذنب كل الجنود الموتى الذين رأتهم فى حقل الجليد؟ من ذا الذى يتحمل ذنب تجمد الطفل على ذراعيها؟.

قلبت فى فكرها السؤال على جميع أوجهه ولم تجد أية إجابة . وستظل الفتاة تقلب هذا السؤال طويلاً دون أن تجد إجابة.

دخلوا منزلاً هرب سكانه ، وأرقدوا النفساء على الفراش. ولقد اصطحب السكان الأغطية معهم ، فجاء أحدهم بسروج الخيل وبعض القش ليغطوا بها النفساء. وقد سألت النفساء عن وليدها ، فأكدوا لها أنه فى المطبخ فى الطابق السفلى بجوار المدفأة وهذا أفضل له. وقد كانت المرأة النفساء من الوهن بحيث إنها صدقتهم على

ما يبدو. وفى المطبخ شرع أحدهم فى إشعال الموقد. لا يوجد ورق لإشعاله ، وفجأة اقترب الرجل الذى قاد العربة من الفتاة ، ومد يده فى جيب معطفها . قائلاً : "هنا كتاب أكل الدهــر عليه وشــرب" وبدأ فى قطع صفحات الكتاب والإلقــاء بها فى فـوهة النــار فى الموقد.

فصرخت الفتاة : "لا !" وجرت خلفه، جذبته من سترته : "هذا كتابى، كتاب الأساطير ، ليس من حقك أن تفعل ذلك. إلا كتاب الأساطير". فدفعها وقال فقط: "أينبغى أن نتجمد جميعًا مثل الطفل؟" ومزق ثلاث أو أربع صفحات أخرى. الصفحات تحترق. رجته : "أعطنى على الأقل ما تبقى".

فنظر إليها بلا تفهم على الإطلاق . ثم دفع بباقى أوراق الكتاب إلى النار. ثم أضيف إليه الخشب؛ نسلات قطعوها بسكين كبير. سبعة أو ثمانية من البشر يقفون أمام الموقد يمدون أيديهم أمام الدفء المُنتظر.

أما الفتاة فلم تفعل.

تفكرت فى كل القصص ، كل القصص الجميلة تحترق. ثم جاء أحدهم من ركن مظلم فى المطبخ مرتديًا معطفًا من الفراء مفتوحًا من الأمام وتحته زى غريب. دخل فاجنر المطبخ، فرأى هذه البنية الآدمية الواقفة بجوار الفتاة ، وكان يحمل فى يده المسدس مرة أخرى . سأل الرجلَ ذا الفراء بشكٍّ : "من أنت ؟ ومن أين أتيت؟ سألقى القبض عليك".

فضحك الرجل وقال بجدية : "انتهى الأمر".

كان فاجنر قد فتح معطفه أيضًا ، وظهر تحته زيه الرسمى وعليه شارة الحزب. فقال له الرجل الواقف بجوار الفتاة : "أنصحك أن تبدل ثيابك . أما قطعة الحلوى هذه ... " وأشار إلى شارة الحزب "فسوف تكون أول ما أخفى ، لو كنت مكانك" .

ازداد فاجنر إصراراً وقال مصوباً مسدسه نحو الرجل : "سألتك من أين أتيت".

رد الرجل: "من مكان يُقال إنه لا وجود له".

ثم ألقى بفرائه ورفع كمى ردائه المخطط ومد ذراعيه نحو فاجنر. كانت الفتاة تقف قريبة منه ، حتى إنها رأت شيئًا لم يتسن لها رؤيته من قبل قط.

فقد كُتبت على بشرته أرقام بلون يميل للزرقة. اتسعت عينا فاجنر وأنزل سلاحه ولم يستطع إغلاق فمه. رفع الرجل الفراء الثقيل من على الأرض ثانيةً وارتداه : "أجل يا رجل" ، قالها ثم أضاف: "أنا قادم من معسكرات الاعتقال. وسوف أقول لكم كلكم شيئًا واحدًا : إذا وصل الروس هذه الليلة حتى هذه القرية ، فأنا إنقاذكم الوحيد وليس ..." وأشار إلى فاجنر "هذا". استدار فاجنر هازًا رأسه وتبعه الرجل الغريب. واخذ منه المسدس وأخرج منه مخزن الرصاص ، ثم عاد إلى الفتاة وقال بصوت خفيض : "الكتاب .... لا تغتمى بسببه. فأنت تعرفين القصص المكتوبة فيه وإذا حدث ونسيتها فعليك ببساطة تأليف قصصك أنت. ويومًا ما ستكون هناك كتب ثانية".

دخلت امرأة إلى المطبخ واتجهت نحو أم الفتاة وهمست لها بشىء ما . فصرخت الأم :"لا ، لا ، ليس لها أن تفعل !". "ستجتاز الأمر بسلام" ، قالتها المرأة بصوت ميت. يبدو أن أحدهم قد حكى للنفساء أن طفلها قد مات، قد تجمد. فوجدت مطواة قطعت بها شرايين يدها ، ولكنها قد رُبطت فى الوقت المناسب. وفى المساء بعد ذلك جلست الفتاة بجوار ذلك الرجل القادم من معسكر الاعتقال :

– فيم تفكرين؟

– كان الطفل معى حكت له الفتاة : ولم الحظ أنه تجمد

– أجل. قالها الرجل : قد يكون هذا أفضل

– أفضل؟!

– أجل ، ربما .. أن يولد المرء فى هذا العالم؟! وهز رأسه فى شك كبير.

– ولكن من يتحمل ذنب كل هذا؟ من ؟

– سؤال حسن" رد الرجل وظل لوهلة ساكتًا. يبدو أنه يتأمل، ثم قال وهو يقهقه ساخرًا : "آه ، على كل حال ليس اليهود ولا نحن الشيوعيين ...!.

ذلك الذى يحكى هنا قد تخيل ما عساه قد كان.

ولعل ما كان قد اختلف كل الاختلاف.

وتلك التى تخيلتها قد كتبت لى أنها لا علاقة لها بهذه القصة . وهو أمر وارد لأن كل ذلك كان من بنات أفكارى.

تخيلتها كما التقيتها فى كتبها.

وربما يكون كل شىء قد حدث أيضاً بشكل مختلف.

فى بعض الأحيان يود المرء ألا يذكر هذا ولا ذاك ، وهو حال من تخيل كل ذلك من حين لآخر أيضاً.

كريستا ڤولف Christa Wolf

ولدت فى ١٨/٣/١٩٢٩ فى لانديس برج على نهر الفارته



ولدت كريستا ڤولف فى الثامن عشر من شهر مارس عام ١٩٢٩ فى لانديس برج Landsberg على نهر الفارتة Warthe ، فى المنطقة التى تسمى اليوم جوتسوف فايلكو بولسكى Gorzow Weilkopolski والدها تاجر . تلتحق كريستا ڤولف فى لانديس برج بالمدرسة الابتدائية ثم الثانوية. فى العاشرة من عمرها تصبح عضواً فى اتحاد الفتيات الألمانيات BDM . فى عام ١٩٤٥ تهرب العائلة من لانديس برج إلى جاميلين فى ميكلنبورج Gammelin in Mecklenburg . تجد كريستا فولف هناك عملاً كتابيًا فى مقر العمودية وفى الإدارة الألمانية. ثم تصاب بالسل وتقضى عدة أشهر فى مصحة. تلتحق ثانية فى باد فرانكن هاوزن Bad Frankenhausen فى المنطقة المعروفة بكوف هويزر – Kyffhäuser وتجتاز امتحان الثانوية العامة عام ١٩٤٩ . ثم تدرس علم اللغة الألمانية وآدابها فى مدينة ينا Jena ومدينة لايبزيج Leipzig .

تلتحق كريستا فولف عام ١٩٤٨ باتحاد الشباب الألمانى الحر FDJ . ثم تصبح عام ١٩٤٩ عضواً فى حزب الاتحاد الاشتراكى الألمانى SED ، وتنهى دراستها لعلم اللغة الألمانية وآدابها عام ١٩٥٣ باجتيازها امتحان الدولة. تعمل باحثة علمية فى اتحاد كتاب جمهورية ألمانيا الديموقراطية وتشتغل بالنقد الأدبى ومُحاضِرة. تسكن من عام ١٩٥٩ حتى ١٩٦٢ مدينه هاله Halle ، ثم تنتقل إلى كلاين ماخنوف Kleinmachnow بالقرب من برلين ، وتعيش هناك وتعمل كاتبة حرة.

بدأت كريستا فولف بالإسهامات النقدية والمقالات. أما عملها القصصى الأول فهو "أقصوصة من موسكو" Moskauer Novelle الذى ظهر عام ١٩٦١ وهو قصة حب مرتبطة بأحداث الحرب وما بعد الحرب. وفى العام نفسه تحصل الكاتبة على جائزة

الفن من مدينة هاله ، وفى عام ١٩٦٣ جائزة هاينريش مان Heinrich-Mann-Preis ، وفى عام ١٩٦٤ الجائزة القومية لألمانيا الديمقراطية.

تظهر عام ١٩٦٣ الرواية التى طال النقاش حولها "السماء المقسمة" Der geteitlte Himmel والتى تتعرض فيها لمشكلة تقسيم ألمانيا. أما فى رواياتها "أفكار حول كريستا ت" Nachdenken über Christa T- التى ظهرت عام ١٩٦٨ فهى تسلط الضوء ثانية على مصير امرأة. تعمل كريستا فولف كذلك فى صناعة السينما. وتكتب عام ١٩٧٣ مع زوجها جيرهارد ڤولف Gerhard Wolf قصة فيلم "تيل إويلن شبيجل" Till Eulenspiegel . تطبع كتاباتها ، ويعاد طبعها عدة مرات فى قسمى ألمانيا. وتحصل على عدة جوائز فى الشرق والغرب . تظهر رواياتها "نموذج طفولة" Kindheitsmuster عام ١٩٧٦ والتى تعد أكبر رواياتها حجمًا . وفى العام نفسه تشترك كريستا ڤولف فى الاعتراض على سحب الجنسية من ڤولف بيرمان Wolf Biermann ، وتستبعد بالتالى من اتحاد كتاب ألمانيا الديموقراطية.

فى روايتها "لا مكان" Kein Ort. Nirgends تصف كريستا ڤولف اللقاء بين هاينريش فون كلايست Heinrich von Kleist وكارولينى فون جوندى رودى Karoline von Günderode . بعد رحلة إلى اليونان ، تظهر رواية "كاسندرا" Kassandra ، وكذلك فى عام ١٩٨٣ يظهر عنها المجلد ذو المادة العلمية: "شروط قصة : كاسندرا" Voraussetzung einer Erzählung : Kassandra وفى هذا المقام تهتم الكاتبة باستكشاف "الجمال الأنثوى". تتخذ كريستا ڤولف من حادثة المفاعل الذرى فى تشيرنوبيل فى أبريل عام ١٩٨٦ موضوعًا لقصة "حالة اختلال فى النظام" Störfall عام ١٩٨٧ . وفى عام ١٩٩٠ تظهر قصة "ماذا يبقى؟" Was bleibt? التى كتبت عام ١٩٧٩ ، وتعالج فيها خبرات امرأة تراقب من جهاز أمن الدولة فى ألمانيا الديمقراطية .

وفى رواياتها "ميديا – أصوات" Medea-Stimmen . تقترب كريستا فولف فى إطار مبدئها "للجمال الأنثوى" من شخصية ميديا التى تعود لعصر الإغريق. تعيش كريستا ڤولف اليوم فى برلين.

مقترحات للقراءة

من ينشد التعرف على كريستا ڤولف ينبغى أن يقرأ رواياتها ربما مبتدئًا "السماء المقسمة" Der geteilte Himmel ثم "تأملات حول كريستا ت" Nachdenken über Christa T.- ثم "كاسندرا" Kassandra أو "ميديا" Medea .

جونتر جراس

بقلم فريدريك هتمانّ

أقصوصة تتطور

ولد فى عام ١٩٢٧ (كان ذلك فى وقت المارك المؤقت)(*) فى مدينة جدانسك.

"فى شتريسباخ نيهه، بعد حقل الحشائش الخاص بالجيش، حدث ذلك. اليوم يُطلق على الشارع باللغة البولندية "ليليڤيلا" – فقط الرقم على يسار باب المنزل ظل على حاله، ظل على حاله. وكذلك الرمل، الرمل المبتل ..."(١)

فى ظروف البرجوازية الصغيرة

"وكذلك اللبن، وهو أحد فروع نهر الفستولا، كان يجرى مع العسل عبر جسور كثيرة."

كان الوالدان لديهما محلٌ لبيع المنتجات الغذائية الأجنبية.

كانت الأم كاثوليكية ومن أصل كاستسوبى، أما الوالد فكان بروتستانتيا.

التربية كانت كاثوليكية ولكن غير صارمة.

لم يكن من الصعب عليه أن يكون كاثوليكيا متدينًا ، ولكن فى الوقت ذاته "انطلاقًا من طبيعته وأحلامه وخيالاته" أن يجد شيئًا مختلفًا أيضا فى الكاثوليكية: "سحراً

(*) عملة مرحلية أدخلت فى عام ١٩٢٣ لتجاوز الكساد الذى أصاب ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكان يساوى فى قمته بليون مارك ورقى قديم. استبدل به فى عام ١٩٢٤ مارك الرايخ. (المترجم)

مرئيًا، سحرًا سمعيًا، سحرًا يشم، شيئًا وثنيا ظل هناك – على النقيض من الكنيسة البروتستانتية – هناك فى عمق الأرض البولندية"(٢).

"لعبت بشظايا القنابل. ونشأت بين الروح القدس وصورة هتلر"(٣).

كانت الأم تحب الذهاب إلى المسرح وكانت عضوا فى أحد نوادى الكتاب.

"الموقف المتحمس للبرجوازى الصغير تجاه الفنانين، هذا الخليط من القشعريرة والإعجاب" – كما أوضح لنا فيما بعد – "لا شك أن كلاً منهما أسهم فى دعم أمى لهذه الأشياء بداخلى"(٤).

كان يقص عليها أقاصيص كاذبة، يعدها فى المستقبل برحلات إلى نابولى، وهونج كونج، بالثروات ومعاطف فارسية نفيسة مصنوعة من فرو خراف القركول.

كانت تطلق عليه ساخرة اسم "بيير جونت".

مع بلوغه العاشرة: عضوية فى منظمة الشبيبة النازية(*). مع بلوغه الرابعة عشر: الالتحاق بشبيبة هتلر.

ذكريات لتلميذ من مدينة ساحلية: "أحلام بالسفر فى غواصات، أحلام بالذهاب إلى خليج أوسلو فيور، أحلام بالذهاب إلى ساحل جزيرة كريتا المسكون بالأساطير، أحلام بالذهاب إلى حائط الأطلنطى"(**).

فى سن الثالثة عشر اشترك فى مسابقة قصصية نظمتها مجلة شبيبة هتلر "تعاون معنا". ولكنه لم يحصل على أية جائزة لأنه " على ما يبدو قد أخطأ فى تقدير المطلوب "فقد كتب "نصا ميلودراميا عن الكستسوبيين الذين يحاربون بشجاعة براندنبورج، وبولندا وأرسله غير مكتمل"(٥).

(*) منظمة من منظمات النازية للشباب من سن العاشرة إلى الرابعة عشرة. (المترجم)
(**) حائط دفاعى على الساحل الممتد من هولندا حتى جنوب فرنسا أقامته ألمانيا بدءًا من عام ١٩٤٢ لصد أى هجوم أنجلو أمريكى. (المترجم)

أما ما يخص "إيمانه" فسيروى لاحقا قائلا: "حدث مع الأسئلة التى كان مدرس الدين عازفًا عن الإجابة عنها ، أو التى أغلق الباب أمامها فى حدة مقتضبة، أيضا حدث مع الرؤية الناقدة المتزايدة باستمرار إلى ما يحيط به من النفاق" أن أختفى "بدءا من العام الرابع العشر ما عنده من جوهر إيمانى"(٦).

(بعدها بسنوات سنقرأ فى خاتمة أفضل رواياته الجملة التى تقول: "لو كان المسيح أحدبَ لما استطاعوا أن يعلقوه على الصليب إلا بصعوبة")

بدلا من ذلك: "نوبات سلاح وسفسطة شرقية"(٧).

"طوبى لمـا يُصلّب الظهر"، اختار أحدهم هــذه الجمـلة حكمة عند قبول الشباب فى الكنيسة.

"شباب شديد التحمل مثل الجِلد، سريع مثل كلاب الريح، قوى مثل حديد كروب"(*).

لاحظ: الشاب الألمانى لا يبكى!

وإذا فعل فإنه يكون عندئذ "خَرِع".

ماذا كان سيحدث لو كان ولد فى عام ١٩١٧ بدلا من عام ١٩٢٧؟

"فى عام ١٩٣٣ كان سيكون عمرى ستة عشر عاما وليس ستة أعوام، فى بداية الحرب ، كان سيكون عمرى اثنين وعشرين عاما وليس اثنى عشر. وبما أننى وقتها كان سيكون لزاما علىَّ الذهاب إلى الجيش ولما نجوت من الحرب، مثل معظم مجندى تلك السنة ... ولحدث بما لدى من عطايا (أى تلك الموهبة فى الكتابة التى لا تعرف الهوادة) أن كان سيهبط على قريحتى تجاه أحداث هذه الحركة (أى الانقضاض على السلطة، عيد الحصاد، وعيد ميلاد الفوهرر، إلخ ، وبعدها تجاه ما يخص مجريات الحرب) تجليات من قوافٍ وأناشيد حماسية"(٨) .

(*) حديد يتميز بالصلابة الشديدة للغاية، سمى نسبة لـ/ Krupp مؤسس أشهر مصنع للحديد فى ألمانيا فى القرن التاسع عشر. (المترجم)

فى مادة "التاريخ" بالمدرسة كان دائمًا جيدًا. غير أنه فى المدرسة الثانوية لم يدرك سوى الفصل الدراسى الخامس منها.

"جنون العظمة هذا المُتشبع بالنتانة المحيطة الذى [...] ساعد فى تغذيته قطع التعليم الثانوى والممثل فى الرغبة فى تقديم ما لا يمكن تجاهله من عظمته"(٩) لم يكتب له أن يُشبَع إلا بعد ذلك بسنوات كثيرة جدا.

مع بلوغه الخامسة عشرة أصبح بدلا من ذلك من الشباب المساعد فى المدفعية المضادة للطائرات، ثم ثلاثة شهور فى الخدمة العامة.

"تعيينات من قراطيس أقراص النعناع، تلقين للتوعية بالأمراض الجنسية ..."

أما ما يتعلق بتصوير الجنس لاحقا فى رواياته فسنجد فيه دائمًا شيئًا فاضحًا صارخًا يمتزج بضحكة فى خلفيته.

– ماريا العارية تقول لأوسكار: "يا لك من ولد عفريت! تقترب من الشىء ولا تعرف ما هو، ثم بعدها تبكى".

أثار سؤال جوبيلس الاستدراجى : "أتريدون حربًا شاملةً؟" لدى ابن السادسة عشرة إحساس مهيب بالتضحية بالذات"(١٠) .

فى عام ١٩٤٤: استدعاؤه جنديا فى سلاح المدرعات.

"جندى ببنطلون قصير، ارتحل بحقيبة من ورق مقوى".

فى أثناء خدمته العسكرية توطن مع الوقت اسم الشهرة "ج ج".

أحيانا كانوا ينادونه كاتستسوبى. كثير من زفقائه لم يكن لديه أى دراية بمن هم الكاتستسوبيون. لتكون واحدا من هؤلاء لا بد أن تكون من جدانسك أو بروسيا الشرقية.

وربما كشف أحدهم مرة فى معجم ليجد الآتى: شعب من شعوب البومرانيين بين نهرى الفستولا والسلوبيا شمال مروج توخولسكيا. بقايا إحدى المجموعات العرقية

التى لا تتطابق لهجتها السلافية مع اللغة البولندية. أطلق البولنديون على أفراد هذا الشعب اسم "الكاتستسوبا" (تنورة من الفراء).

إذن عار عرقى. أضف إلى ذلك أن غريب الأطوار هذا فخور بهم!

"مظاهر جمال الطبيعة لمروج التوخولسكيا"(١١)

"كان هناك مقاومون بارتيزان. أليس كذلك؟"

"نعم، غير أن جنودنا قد أنهوا عليهم لتوهم، قبل أن يُضطروا للفرار."

حقا شخص عجيب هذا الـ ج ج. يقال إن أحد الأخوال، أى مثل هذا الكاتستسوبى أيضا، كان يشارك فى الطعام فى مبنى البريد عندما اقتحمه الألمان فى الأول من سبتمبر من عام تسعة وثلاثين. أحد سعاة البريد، مثله مثل كل البولنديين الذين نجوا، أطلق عليه الرصاص بعد ذلك.

"أظنه كان كاتستسوبيا؟"

"ولو، لا يهم على الإطلاق. بولندى أو كاتستسوبى. على أية حال شىء شبه السلافيين."

مع بلوغه السابعة عشرة : التوجه لأول مرة إلى الجبهة فى الشرق.

"بعد أيام عديدة من الشد والجذب سخيفة الطابع، أخيراً بعد تحركات تقهقرية، وقعت السرية كلها فى مرمى نيران بطارية قاذفات الصواريخ السوفيتية، وهى ما كان يُطلق عليها أيضا صواريخ الكاتيوشا. تجمعت السرية – عربات مدرعة مضادة للدبابات ومشاة المدرعات – فى إحدى الغابات الناشئة، كما صدرت الأوامر. ربما استمر إطلاق النيران السوفيتى لمدة ثلاث دقائق. بعدها لقى ما يزيد عن نصف السرية مصرعهم، ممزقين، مشوهين. معظم الصرعى، الممزقين، المشوهين كانوا فى السابعة عشرة من أعمارهم"(١٢).

ربما كـان بالرغم من كل ذلك من حسن الحظ أنه قـابل فى الجـيش من جـديد شخصا اسمه بيلينتس كان يعرفه لماما من أيام المدرسة فى جدانسك.

اثنان من مدينة جدانسك يقطعان سويا نصف الكرة الأرضية ارتحالا.

تمنيـات الصـحـة مع تناول مشـروب عرق الذهـب الجدانسكى، وهو عبـارة عن مشروب كحولى مركز صافى اللون، مذاب فيه حبيبات دقيقة من الذهب.

فى أثناء الرحلة إلى بلاد السـويد، إلى مـا يسمى بالاتصـال المتـجدد مع العدو مروا على مدينة درزدِن المدمرة لتوها. جبال من جثث ذابلة.

تحـدثوا مع أحـد شـبيبـة هتلر فى زيه الممزق والذى أخـذ ينقل الموتى لمدة يومين وشارك فى حفر مقابر جماعية.

حكى لهم كيف احترقت المدينة.

وكانت المدينة ملأى بالنازحين من الشرق.

"كل المدينة احتـرقت. هل رأيت مـرةً مـدينة كـاملة وهى تحـتـرق؟ لا يمكن لك أن تتصور هذا إلا إذا عايشت ذلك بنفسك. لا أجد كلمات تعبر عن ذلك".

"كتيبة توقف، وللطعام معتدل مارش!"

"هناك السلاح السحرى، أقول لكم، هناك هذا السلاح، سيستدرجون العدو أولا إلى عمق البلاد ثم يضربون ضربتهم".

تدخل ج ج مقاطعا: "كيف كان العسل الصناعى؟"

بيلِنتس، الذى كان يتناول بجانبه بالملعقة حساء اللفت ماسخ الطعم من كثرة الماء فيه، ابتسم ساخرا مقلدا صوت هذا الدكتور المسمى بـ "جوبلس":

"وحـتى لو قـال الحلفـاء إننا ليس عندنا صنعـة الفن. لا يزال عندنا على أية حـال العسل الصناعى".

"أغلق فمك يا بيلنتس، أتريد أن تشنق بتهمة تحطيم القدرة القتالية؟"

"يا سيدى، ليس بيننا غرباء"، قالها بيلِنتس راميا ذلك الذى أزبد فوه عن السلاح السحرى بنظرة متفحصة.

"فيما تحدق هكذا؟"

"للسماء فقط"، قالها بيلِنتس مضيفا: "أرقب السلاح السحرى، غير أننى لا أرى سوى ندفات الثلج."

صاح ج ج "غيروا الموضوع!"

سأل أحدهم: "ألا يعرف أحد شيئا عن الحريم؟"

قال بيلِنتس: "تُولّلا" لينظر إلى جيم حيم بشهوانية لاعبا بلسانه فوق شفتيه.

سأل الذى بجوار بيلِنتس: "من تُولّلا هذه؟" "أنا لا أشبع من مثل هذا الاسم!"

تولّلا من الأمام لا تساوى شيئا، من الخلف لا تساوى شيئًا، جال هذا بخاطر ج ج، لكنه قال حالمًا بصوت مرتفع: "تُولّلا بوك ريفكه."

تنغم بالكلمتين أيما تنغم.

رأى بيلِنتس أن مثل هذا الاسم لا يمكن اختراعه.

"لا تحتاج أن ترسم بيديك شكلها، فكل شيء قيل من اسمها".

سأل جندى المشاة الذى بجانبه "ثدياها؟"

"لا"، قالها ج ج مضيفًا: "هزيلان، ممسوحان." تذكر كيف رقدا وقتها فى الزورق وكيف سمع تُولّلا تَعِد: "من يرفعه عاليًا، سيسمح له بالنوم معى مرة أخرى"(١٣).

حسبما تذكر كان هناك فى أسفل الزورق أحد القتلى.

بعدها لاحقا عندما تبادلوا الأدوار: فى الأحياء الصغيرة فى كل شارع رئيسى كان فيه أشجار، كان رجال من المقاومة الشعبية، متقدمون فى السن، وشباب للغاية، ١٧، ١٨ عاماً، دفعتنا معلقين، بأمر من شورنر(*) يافطة حول عنقهم تقول: أنا جبان!

لا يزال متجها إلى الجنوب الشرقى.

تشيكوسلوفاكيا.

مهمة انتحارية.

ثم الإصابة. (كان حظه جيداً). إصابة خفيفة، لكنها مؤثرة من شظية قنبلة[١٤].

وهو ما كان له الخلاص من كل الشرور.

اقترب صوت نيران القنابل. قطع حاد، كما فى الأفلام عندما تتوقف لحظة للبحث عن سياق ما يدور.

المستشفى العسكرى فى ماريان باد ج ج مع بيلِنتس فى غرفة واحدة.

التدفئة سيئة. يا إلهى، ماذا يجمدون فى هذا المبنى!

لم يعد هناك مجال للحديث عن الاستحمام الراقى، كان ذلك فى الماضى ولن يعود.

"نهب الفحم منتشر. إن الكارثة الكبرى فى بلاعة الفلوس. الحذر مطلوب فى أثناء الحديث: فالعدو يسمع معنا!"

يالها من قمامة تلك التى تجمعت فى تلافيف أدمغتنا فى زمن النازية، أخذ ج ج يتأمل بينه وبين نفسه.

جلاء الصدأ.

(*) فيردناند شورنر Ferdinand Schörner (١٨٩٢-١٩٧٣) قائد حربى ألمانى من قواد الحرب العالمية الثانية جعله هتلر فى وصيته القائد الأعلى للقوات المسلحة. (المترجم)

الذين كانوا على شفا الخروج أرسل بهم إلى الغابة لتقطيع الأخشاب لكنهم اضطروا إلى العودة خاويي الوفاض لأنهم تعرضوا لنيران البارتيزان التشيك.

"من كمين!"

"طبعا، من أين يا ترى غير من هناك"، قالها ج ج لبيلِنتس الذى حكى له ذلك. "شىء ما سيقْدُم علينا قريبًا!"

"لا بد أن نرحل من هنا."

"بدون أوراق؟"

"تحدثت مرةً مع كبيرة الممرضات، وأبدت تمام التفهم. أنا أعرف الآن مكان الاستمارات والأختام، والخزانة ستكون فى ليل بعد الغد غير مغلقة."

"لماذا ليس قبل بعد الغد؟ فربما حينئذ يكون قد فات الأوان."

"طبيب أركان الحرب سيذهب ثم ... هذا هو واقع الحال، إلى أين يا ترى؟"

قال ج ج "هكذا الأمر إذن!"

"مؤكد. ولكن فقط للسادة الضباط وأطباء أركان الحرب فصاعداً".

تصبح نقيا، تظل نقيا ... فقط بما تفرضه على نفسك وعلى عملك"(١٥).

"ولكنى أسأل نفسى عما سنكتب وقتها إذن ... كمكان وحدتنا المستقبلية؟" أراد أن يعرف هذا بيلِنتس فى هذه اللحظة.

"بريمن"، قالها ج ج، لأنه لم يخطر على باله أى شىء آخر.

"لماذا بريمن بالذات؟" سأله بيلِنتس.

فى أثناء ذلك عرف ج ج لماذا خطرت على باله مدينة بريمن بالذات.

"ألا تعرف أسطورة 'تعال معى إلى بريمن'، قالها الحمار للديك، "سنجد على أية حال هناك ما هو أفضل من الموت".

"حسنا. بريمن ولما لا؟"، سمع ج ج بيلنتس يقولها فى سعادة. "من يعرف هنا ما هى الوحدة الموجودة الآن فى بريمن؟"

"بالضبط. الأختام هى أهم شىء. توقيع غير مقروء وتحته'قائد السرية'".

أخذوا يعرجون فى مشيتهم هنا وهناك فى الغرفة ؛ حتى لا تزداد بلوتهم بأن يصابوا بنزلة برد.

وهم يتدربون من الآن فى حالة ما إذا هوجموا.

"سيمر الأمر على أحسن ما يرام"، قالها ج ج.

اثنان من جدانسك يجوبان العالم.

ما يربط رباطا قويا: أن تعايشا الخوف نفسه. أن تجلسا فى الدبابة نفسها، هذا النعش المتحرك، وأن يطلق عليكما سويا النيران. لمدة خمس دقائق ينتابك الشك فيما إذا كنت سيقدر لك الخروج – وقد أُصبت بطلقة سطحية فى ساقك – سليما قبل أن ينفجر هذا الشىء فى الهواء. خمس دقائق يمكن أن تكون طويلة جدا جدا جدا، عندما تتلوى هناك فى برج الدبابة. فى هذه اللحظة قد يحدث أن تبول فى سروالك ، ولا تدرك ذلك إلا بعدها. فى المستشفى الميدانى.

فى الليل يرقدان يقظين.

بلا سجائر.

الفتيات اللائى يعملن هنا ممرضات يبدو عليهن جميعا بما عندهن من جفاء فى التعامل أنهن يردن إنقاذ جبهة القتال فى عمق الوطن.

"هل ترى فعلا أنها لن تغلق الخزانة غدا؟"، تساءل ج ج.

"لو لن يحدث سأفتحها عنوة، هكذا ببساطة"، قالها بيلِنتس.

"تفتح خزانة مصفحة؟ لا بد أنك تهذى. هل عندك موقد لحام؟"

الانتظار.

الانتظار الممل.

فى الظلام رقدوا على الأسرة وأخذوا يدردشون، أخذوا يتذكرون.

ولكن، تذكر ماذا يا ترى؟ تذكر جدانسك، تذكر أبناء العمومة ... مسابقة كرة الضرب(*) فى ميدان هاينريش إيليرس بلاتس.

شلل الشباب نفسه ... جمعية شتورته بيكَر ... الذهاب بالترام نفسه لحمام السباحة ... تتبع الفتيات أنفسهن ... الاستمتاع بأفلام نفسها الشركة العالمية للأفلام: حفل موسيقى بناء على رغبة الجمهور، السرب المقاتل لوتس(**)، يود سووز(***).

ومعرفة مالكه.

"كنت معجبا به فعلا."

"آنذاك ... أعترف"، قالها بيلِنتس فى الظلام.

"... بما له من تفاحة آدم كبيرة".

"... ولا يصح نسيان صورة العذراء والطفل يسوع!"

(*) لعبة مكونة من ١٢ لاعبا يضرب بعضهم الكرة بمضرب خشبى، بينما يحاول لاعبو الفريق الآخر التقاطها، شبيه بلعبة البيسبول. (المترجم)

(**) دولف فرايهر فون لوتسو Adolf Freiherr von Lützow (١٧٨٢-١٨٤٣) أسس كتيبة المتطوعين فى عام ١٨١٣ فى الحرب ضد فرنسا. (المترجم)

(***) Jud Süß اسمه الأصلى يوزيف زووس أوبينهايمر Joseph Süß Oppenheimer من رجال المال اليهود، اتهم بالإثراء من منصبة وبمخالفة الدستور، حوكم وأُعدم. تحولت حياته مادة لمعالجات أدبية وسينمائية. (المترجم)

هذه الصورة التى وجب على الناظر كلوزيس جيهايس - كان المدير المسئول وكان يأتى دائما بالزى العسكرى إلى الحصة - أن ينزعها، لأن الصورة كانت تتعلق بشكل لا لبس فيه بالعذراء السوداء لمدينة سشتوشوفا. كان هذا مكتوبا على الميدالية باللغة البولندية.

"ثم المحاضرة التى ألقاها كالوى فى القاعة الكبيرة. الفتيات فى الصف الأول كان من المفروض عليهن ارتداء حمالات الصدر".

"لكنهن لم يرتدينها."

المقدمة ألقاها المستشار المدرسى كلوزه: النضوج وأخلاق الرجال.

بعدها كالوى فى حصة الرياضة البدنية فى أثناء لعبة كرة السلة. نعم، وبعدها حينما تأنق للذهاب للمدينة مرة أخرى، اختفى فجأة نوط العنق الخاص به. ولم يظهر بعدها مرة أخرى.

لم يظهر لا فى أثناء تفتيش ملابس بوشمان التى لم يخرج من جيوبها سوى أوقية ذكرية ولا فى وعاء للبصق الذى لم يستعمل منذ فترة طويلة فعلا بجانب حوض الوجه.

"فقط فى زورقنا ظهر مرتديا هذا الشىء الجميل ليس لأى سبب سوى أنه فى نوبة تهور ... على العموم، أنت تعرف ما أقصده."

"طرد من المدرسة شر طردة بسبب ذلك."

"ليس تماما ... كل ما هناك أنه كان لزاما عليه أن ينتقل إلى مدرسة هورست - فيسلّ الثانوية."

"كان اسم مدرسة هورست - فيسلّ الثانوية قبل الحرب مدرسة كرون برنتس - فيلهلم الثانوية للعلوم واللغات."

"ذهب إلى الحرب وعاد بنوط عنق حقيقى. آه، آه. أرسل لعمته خطابات من الميدان، كانت فيها شخبطات عجيبة ... بدت كما لو كانت بقًا، لكنها كانت فى الحقيقة دبابات روسية مصابة، تى ٣٤ ، فى منطقة بيول جيروت أو عند شيته مير".

"... عاد ضابط صف وبنوط عنق ... أراد بعدها بشكل حتمى أن يلقى محاضرة فى مدرسته القديمة".

"لكنهم لم يرغبوا فى ذلك".

"وبعدها؟"

"ألا تعرف بقية ما حدث؟"

"سمعت فقط أنه جُرح. هل تعرف المزيد؟"

"ليس تماما. كان علىّ أن أنقله فى زورقنا القديم، وأمددته أيضا بالمؤن. "اثنان كيلو جرام من صفائح اللحم الدهنى المهروس." أخذتها من عمته ... لكننى نسيت أن أعطيه فتاحة للعلب. ولذلك عبرت إليه مرة أخرى. ولكنه لم يعد له أثر هناك.

"ربما ابتلعه حوت على غرار ما حدث مع يونس ..."

"غير معقول، أم لك رأى آخر؟"

"من جسمه ازداد سمك البوت شحما"، قالها ج ج

"مستحيل تماما. شخص مثل بالكه لا يتمكن منه لا صياد ولا سمك. سنراه مرة أخرى عندما ننجو من المأساة التى هنا"، أعلنها بيلنتس.

"حتى لو بذل قصارى جهده الشيطان بشحمه ولحمه؟"، قالها ج ج مقترحا.

"حتى لو."

"أنت ما زلت معجبًا به"

"ليس تماما. لكنه كان دائما متميزا من كل وجهة نظر. لا، لا، الإعجاب ... لم يعد له مكان، منذ أن رأيت كيف تبول لا إراديا فى آخر الأمر. ربما كان السبب فيه فقط لأنه أكل كثيرا للغاية من الريباس. آلام البطن. إنها تقضى على أحد الحاصلين على وسام الصليب".

"وكل هذا بسبب تلك القطعة من الحجر الكريم، نوط العنق".

"هيه، كل ما فى الأمر أنه كان مهما بالنسبة له. كان مهما بالنسبة أيضا لكثيرين غيره".

"هل تعرف"، قالها ج ج مضيفًا: "كيف كنت أسمى هذه الخردة دائما فى أفكارى؟ سميتها صليب الموتى؛ فأنت تحصل عليه فى آخر الأمر لأنك قاتل، أم لك رأى آخر؟"

"طبعا: بشكل أو بآخر جميعنا قتلة."

بما أن الشىء بالشىء يذكر، فإنه لم يعد بهما حاجة للهرب؛ فقد نقلت وحدة المستشفى الميدانى، قبل أن يتمكنوا من الهرب، إلى باڤاريا.

هناك سقطوا فى أسر الأمريكان. "فى إطار 'إعادة التربية': جولة فى معسكر الاعتقال داخاو. أسير حرب فى السابعة عشرة من عمره أُرسلت إلى ذلك المكان لكى أربى: لم نرد أن نصدق؛ رأينا الأدشاش والأفران ولم نصدق"(١٦).

لاحقا عاد لـ ج ج اسم جونتر جراس وكتب قصة، حكاية عن حدث لم يسمع به، كما عرّف جوته هذا القالب الروائى، بعنوان القط والفأر.

جونتر جراس Günter Grass

ولدت فى ١٦/١٠/١٩٢٧



ولد جونتر جراس فى السادس عشر من أكتوبر من عام ١٩٢٧ فى جدانسك لانجفوور Danzig Langfuhr ، لابيس فيج ١٣ Labesweg 13 كان والداه الألمانيان الكاتسوتوبيان يديران محلا لبيع المواد الغذائية المستوردة. فى عام ١٩٣٧ التحق جراس بالمدرسة الثانوية. من عام ١٩٤٤ إلى عام ١٩٤٥ عمل جراس مدفعى دبابات. بعد إصابة بسيطة سقط قبيل نهاية الحرب أسيرا فى أيدى الأمريكان.

بعد تسريحه عمل لبعض الوقت فى الزراعة وفى مصنع لتصنيع البنادق. فى عام ١٩٤٧ بدأ فى مدينة دوسلدورف دراسة مؤهلة للعمل عامل بناء ونحّات من الأحجار. من عام ١٩٤٨ إلى عام ١٩٥٦ درس فى بادئ الأمر فى أكاديمية الفنون فى دوسلدورف، ثم بعد ذلك فى المعهد العالى للفنون الجميلة فى برلين. فى عام ١٩٥٤ تزوج من السويسرية أنّا شفارتس Anna Schwarz . فى عام ١٩٥٧ رزق بالتوأمين فرانتس Franz وراؤل Raoul ، فى عام ١٩٥٨ بابنته لاورا Laura ، فى عام ١٩٦٥ بابنه برونو Bruno ، وفى عام ١٩٧٤ بابنته هيلينا Helene . بدأ جراس فى الكتابة مبكرا. عمل فى بادئ الأمر فى كتابة الشعر والمسرحيات. وحصل بدءاً من عام ١٩٥٥ بالفعل على الجائزة الثالثة فى مسابقة للشعر نظمتها إذاعة جنوب غرب ألمانيا Südwestfunk . فى العام نفسه قرأ لأول مرة فى جماعة الـ ٤٧ الذى كان عضواً فيها. فى عام ١٩٥٧ عرضت فى مدينة فرانكفورت على نهر الماين مسرحيته الطوفان Hochwasser .

بدأ جراس فى اكتشاف العالم الخارجى مبكراً جدا. فى بداية الخمسينيات سافر إلى إيطاليا، وفرنسا، وإسبانيا. من عام ١٩٥٦ إلى عام ١٩٥٩ استقر فى باريس. فى عامى ١٩٥٨ و ١٩٥٩ سافر إلى بولندا.

في عام ١٩٥٨ حصل جراس على الجائزة التشجيعية للدائرة الأدبية للاتحاد العام للصناعة الألمانية BDI . في العام نفسه قرأ في جماعة الـ ٤٧ مسودة الطبلة المعدنية Die Blechtrommel ، ليحصل على جائزة جماعة الـ ٤٧ .

بروايته الطبلة الصفيح التي ظهرت في عام ١٩٥٩ اتضح أن جراس مبدع أساسًا في الراوية. من منظور أحد الأقزام الذي قرر في عمر الثالثة أن يتوقف عن النمو يصور جراس في مشاهد خيالية حقبة من الزمن تمتد لخمسة وثلاثين عاما، من عام ١٩٢٤ إلى ١٩٥٤ . ومسرح أحداث الرواية بولندا، موطن المؤلف. بظهور الطبلة الصفيح ذاعت شهرة جونتر جراس سريعًا. أيضا على المستوى الدولي لاقى جراس التقدير.

في عام ١٩٦٠ عاد جراس من باريس ليستقر في برلين الغربية. تلى الطبلة المعدنية رواية القط والفأر Katz und Maus في عام ١٩٦١، ورواية سنوات الكلاب Die Hundejahre في عام ١٩٦٣ . وهذه الروايات الثلاث تكوّن ما يطلق عليه ثلاثية جدانسك Danziger Triologie . الرواة بصيغة المتحدث المفرد في الكتب الثلاثة يكتبون من منظور الذنب، يقول جونتر جراس معلقا على ثلاثيته.

أصبح جراس بعدها كاتبًا ذا شأن، لصوته وزن. حصل على جائزة جيورج بوشنر Büchner-Preis ، وجائزة فونتانه Fontane-Preis ، وعلى غيرها من الجوائز الكثيرة. كان لجراس أيضا موقف سياسي منحاز حيث شارك في المعارك الانتخابية مع الحزب الاشتراكي الألماني SPD مشاركة فاعلة. في عام ١٩٦٦ عرضت له مسرحيته الغوغاء تتدرب على الانتفاضة Die Plebejer proben den Aufstand عرضها الأول. في عام ١٩٦٩ ظهرت له رواية مُخَدَّر موضعيا örtlich betaubt وتلتها في عام ١٩٧٤ القصائد المجموعة Gesammelte Gedichte.

في عام ١٩٧٥ سافر جراس إلى الهند، وفي العام الذي تلاه حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة هارفارد. في عام ١٩٧٧ ظهرت رواية سمك الشَّبُّوط Der Butt . في العام التالي وقع الطلاق بينه وبين أنّا جراس. في عام ١٩٧٩ تزوج جراس من عازفة الأُرغُن أوته جرونيرت Ute Grunert .

أنشـأ جـراس جـائزة ألفـريد دوبلِن Alfred-Döblin-Preis . حـقق تحـويل روايتـه الطبلة الصفيح إلى فيلم سينمائى نجاحا عالميا. من عام ١٩٨٣ إلى عام ١٩٨٦ ترأس جـراس أكـاديميـة الفنون فى برلـين. فى عـام ١٩٨٦ ظهـرت رواية الفـأرة Die Rättin ، فى عام ١٩٩٢ قصـة نقيق ضـفدع مـتشـائم Unkenrufe ، وفى عـام ١٩٩٥ رواية حقل شاسع Ein weites Feld .

فى عام ١٩٩٩ مُنح جونتر جراس جائزة نوبل فى الأدب.

يعيش جراس اليوم فى ولاية شلِسڤيج – هولشتاين Schleswig-Holstein .

مقترحات للقراءة

من يرغب فى التعرف على الروائى جونتر جراس عليه أن يبدأ برواية القط والفأر. بعدها يمكنه القراءة فى رواية الطبلة الصفيح. كما ينصح أيضا بقراءة المقال بعنوان عن البدهية.

مزارات

من يرغب فى التعرف على مسرح أحداث الطبلة الصفيح عليه – إذا زار ذات مرة بولندا – أن يشاهد ضاحية لانجفوور فى جدانسك. فى باريس عاش جونتر جراس فى ١١١ شارع أڤنوو دى تالى Avenue d'Italie 111 . فى برلين عاش جراس من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٣ فى ١٦ شـارع كارلس بادِر شتراسه Karlsbader Straße 16 وبدءًا من عام ١٩٦٣ فى ١٣ شارع نيد شتراسه Niedstraße 13 .

فى ولاية شلِسڤيج – هولشتاين عاش جونتر جراس فى ڤيڤيلس فليت على نهر الشـتور Wewelsfleth an der Stör . أمـا مـنزله المعـروف باسم بـيت ألفــريد دوبلن Alfred-Döblin-Haus فـقد أهـداه فى عـام ١٩٨٥ لولاية برلين؛ حيث يسـتـعمله الكتـاب كمكان للإقامة فى رحلات عملهم.

المصادر

Über Arthur Schnitzler

(1) Arthur Schnitzler, Jugend in Wien - Eine Autobiographie. Fischer Taschenbuch Verlag, Frankfurt am Main 1981, S. 87

Über Heinrich Mann

(1) Willi Jasper, Der Bruder Heinrich Mann. Eine Biographie.©1992 Carl Hanser Verlag, München-Wien, S.45. Mit freundlicher Genehmigung des Carl Hanser Verlags.

(2) ebd.

(3) ebd.

(4) Klaus Schröter, Heinrich Mann. Rowohlt Monographie Nr.125, hrsg. Von Kurt Kusenberg. Rowohlt Verlag, Reinbek bei Hamburg 1975, S.41.

Über Thomas Mann

(1) von Wyling (Hrsg.), Briefwechsel Thomas Mann - Heinrich Mann. Brief vom 17. Januar 1906. S. Fischer Verlag, Frankfurt am Main 1985, S. 68

(2) ebd.

Über Rainer Maria Rilke

(1) "Herbsttag" in: Das Buch der Bilder, 2. Teil. In: Rainer Maria Rilke, Gesammelte Gedichte. Insel Verlag, Frankfurt am Main 1962, S. 154.

(2) "Erinnerungen", ebd., S.155.

(3) Brief an Clara Westhoff vom 18. Februar 1901. Zitiert in: Maria Sauer: Clara Rilke Westhoff. Ullstein Buch Nr. 30401, Ullstein Verlag, Frankfurt am Main 1996, S. 55.

(4) "Du mußt nicht bangen, Gott. Sie sagen: mein..." In: Das Stunden-Buch. Von der Pilgerschaft. In: Rainer Maria Rilke, Gesammelte Gedichte, a.a.O., S.93 f.

Über Hermann Hesse

(1) Ninon Hesse (Hrsg.), Hermann Hesse. Kindheit und Jugend vor Neunzehnhundert. Suhrkamp Taschenbuch 1002. Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main 1984, S. 179

(2) a.a.O., S. 180
(3) a.a.O., S. 170 f.
(4) a.a.O., S. 189 f.

Über Franz Kafka

(1) Franz Kafka, Eine kleine Frau. In: Franz Kafka, Sämtliche Erzählungen, hrsg. Von Paul Raabe. Fischer Taschenbuch Verlag, Frankfurt am Main 1971, S.157 f.
(2) Dora Diamant, mein Leben mit Franz Kafka. In: "Als Kafka mir entgegenkam...", Erinnerungen an Franz Kafka, hrsg. Von Hans Gerd Koch. Verlag Klaus Wagenbach, Berlin 1995, S.175.

Über Georg Heym

(1) Georg Heym, Dichtungen und Schriften, Band 2. Ellermann Verlag, München 1979, S. 15
(2) a.a.O., S. 152
(3) Georg Heym, Dichtungen und Schriften, Band 1. a.a.O., S. 346
(4) ebd., S. 213
(5) ebd., S. 312
(6) ebd., S. 118
(7) ebd., S. 263

Über Kurt Tucholsky

(1) Walter Victor, Tucholsky - Ein Lesebuch für unsere Zeit. Weimer: Thüringer Volksverlag 1954, S. 196.
(2) ebd., S. 347
(3) "An das Publikum" aus: Kurt Tucholsky, Gesammelte Werke. Copyright©1960 by Rowohlt Verlag GmbH, Reinbeck bei Hamburg.
(4) "Wenn die Igel in der Abendstunde", ebd.
(5) "Schloß Gripsheim", ebd.
(6) ebd.
(7) ebd.
(8) "Drei Minuten Gehör", ebd.
(9) "Danach", ebd.
(10) Gerhard Zwerenz, Kurt Tucholsky- Biographie eines guten Deutschen. München 1979, S. 208.

Über Bertolt Brecht

(1) Nach: Bittersüß, Paul Claudel, Der Tausch, deutsch von Franz Blei. Kurt Wolf Verlag 1913.

(2) "Jetz wachen nur noch Mond und Katz" in: Bertolt Brecht, Werke. Große kommentierte Berliner und Frankfurter Ausgabe, Band 13 © Suhrkamp Verlag Frankfurt 1993.

(3) Aus einem Brief an Casper Neher, wahrscheinlich 1917.

(4) Brief an Herbert Ihering vom Oktober 1922. Aus: Brecht- Sein Leben in Bildern und Texten. Insel Taschenbuch 1122, Insel Verlag, Frankfurt am Main 1988, S.21.

(5) ebd.

Über Erich Kästner

(1) "Primaner in Uniform", 1. Strophe. In: Erich Kästner, Ein Mann gibt Auskunft. Deutscher Taschenbuch Verlag, München 1988, S. 47 © Atrium Verlag, Zürich

(2) ebd., 2. Strophe

(3) Luiselotte Enderle, Erich Kästner, Rowohlt Bildmonographie, hrsg. von Wolfgang Müller und Uwe Naumann. Copyright © by Rowohlt Taschenbuch Verlag, Reinbek bei Hamburg 1966, S. 63

(4) "Nachtgesang des Kammervirtuosen", 1. Strophe. In: Erich Kästner, Herz auf Taille. Deutscher Taschenbuch Verlag, München 1994, S. 46 f. © Atrium Verlag, Zürich

(5) "Kennst du das Land, wo die Zitronen blühen?", 1. und 7. Strophe. In: Erich Kästner, Herz auf Taille, a.a.O. S. 12 und 14

(6) "Die andere Möglichkeit", 1. und 9. (letzte) Strophe. In: Erich Kästner, Ein Mann gibt Auskunft, a.a.O., S. 12 und 14

(7) Erich Kästner, Fabian. Die Geschichte eines Moralisten. Deutscher Taschenbuch Verlag, München 1995, S. 80 © Atrium Verlag, Zürich

Über Anna Seghers

(1) Walter Janka, Spuren eines Lebens. Copyright © 1991 by Rowohlt Berlin Verlag GmbH, Berlin, S. 336

(2) ebd., S. 367

(3) ebd., S. 384

(4) ebd., S. 367

Über Max Frisch

(1) Max Frisch, Blätter aus dem Brotsack. Atlantis Verlag 1940, S. 11 f.

(2) Max Frisch, Gesammelte Werke VI. Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main 1976, S. 451

(3) Tonbandprotokoll von Volker Hage in Frankfurt am Main am 30. August 1980

(4) Max Frisch, Gesammelte Werke VI, a.a.O., S. 546

(5) Tonbandprotokoll von Volker Hage am 12. März 1982 in Uberlingen / Bodensee
(6) Max Frisch, Gesammelte Werke I, a.a.O., S. 151
(7 ebd., S. 91
(8) ebd., S. 40
(9) ebd., S. 551
(10) Tonbandprotokoll von Volker Hage am 12. März 1982 in Uberlingen / Bodensee
(11) Max Frisch, Gesammelte Werke I, a.a.O., S. 295
(12) Brief an Hermann Hesse vom 21. Oktober 1937. Max Frisch Archiv, Zürich
(13) Max Frisch, Gesammelte Werke IV, a.a.O., S. 207
(14) Max Frisch, Gesammelte Werke I, a.a.O., S. 28
(15) Max Frisch, Gesammelte Werke II, a.a.O., S. 884 f.

Über Friedrich Dürrenmatt

(1) Lesung Friedrich Dürrenmatt aus: Stoffe I-III. Radio Beromünster, 1 April 1990.
(2) Zitiert nach: Philosophisches Wörterbuch, begründet von Heinrich Schmidt. Alfred Kröner Verlag, Stuttgart 1996. S. 257.

Über Wolfgang Borchert

(1) Aus "Hamburger Anzeiger", 1938. In: Peter Rühmkorf, Wolfgang Borchert. Rowohlt Monographien 50058, hrg. Von Wolfgang Müller und Uwe Naumann. Copyright© 1961 by Rowohlt Verlag GmbH, Hamburg, S. 34.
(2) ebd., S.52.
(3) Wolfgang Borchert, Der viele, viele Schnee. In: Wolfgang Borchert, Das Gesamtwerk, a.a.O., S. 27.
(4) Wolfgang Borchert, Die Hundeblume, a.a.O., S.27.
(5) Peter Rühmkorf, Wolfgang Borchert, a.a.O., S. 118.
(6) ebd., S. 122.

Über Ingeborg Bachmann

(1) "Enigma" in: Ingeborg Bachmann, Werke Bd. 1. Serie Piper 1701, Piper Verlag, München, Zürich 1993, S. 171
(2) "Holz und Späne", ebd., S. 40
(3) "Entfremdung", ebd., S. 13
(4) Ingeborg Bachmann, Biographisches. Zitiert nach: Andreas Hapkermeyer (Hrsg.), Ingeborg Bachmann: Bilder aus meinem Leben. Piper Verlag München, Zürich 1983, S. 10
(5) ebd., S. 22
(6) "Im Gewitter der Rosen" in: Ingeborg Bachmann, Werke Bd. 1, a.a.O., S. 56

(7) Kuno Raeber, Interview mit Kuno Reaber 1963. In: Sätze. Zitiert nach Andreas Hapkermeyer (Hrsg.), a.a.O., S. 64

(8) Kuno Raeber, zitiert nach: Peter Beicken, Ingeborg Bachmann. Autorenbücher, BsR 605, C.H.Beck Verlag, München 1992, S. 143

(9) Max Frisch, Montauk. Zitiert nach: Peter Beicken, a.a.O., S. 146

(10) Uwe Johnson, Eine Reise nach Klagenfurt. Suhrkamp Taschenbuch 235, Suhrkamp Verlag, Frankfurt am Main 1974, S. 103

Über Günter Grass

(1) Volker Neuhaus und Daniela Hermes (Hrsg.), Die "Danziger Trilogie" von Günter Grass. Texte, Daten, Bilder, Sammlung Luchterhand SL 979, S. 6

(2) ebd., S. 57

(3) ebd., S. 66

(4) In: Mit solchem Gepäck, a.a.O., S. 57 f.

(5 ebd., S. 61

(6) ebd., S. 57

(7) ebd., S. 59

(8) ebd., S. 61 f.

(9) ebd., S. 67

(10) ebd., S. 58

(11) Günter Grass, Katz und Maus, Deutscher Taschenbuch Verlag, Band 1182, S. 118. Copyright © Steidl Verlag, Göttingen 1993. Erstausgabe Luchterhand Verlag, Darmstadt 1961

(12) ebd., S. 58 F.

(13) Günter Grass, Katz und Maus, a.a.O., S. 35. In: Volker Neuhaus und Daniela Hermes (Hrsg.), Die "Danziger Trilogie" von Günter Grass, a.a.O., S.65

(14,15) Günter Grass, Katz und Maus, a.a.O., S. 65 f.

(16) In: Volker Neuhaus und Daniela Hermes (Hrsg.), Die "Danziger Trilogie" von Günter Grass, a.a.O., S.65

مصادر الصور

Arthur Schnitzler als 16-Jähriger. Schiller-Nationalmuseum Marbach
Rainer Maria Rilke: Rilke-Gesellschaft, Gernsbach
Thomas Mann als Primaner (ca. 16) & Heinrich Mann als 14-Jähriger: Keystone Archive
Hermann Hesse: Schiller-Nationalmuseum Marbach
Franz Kafka als Abiturient: Archiv Klaus Wagenbach, Berlin
Georg Heym als Primaner 1906 od. 1907: aus dem Besitz von David Baumgart aus: Karl Ludwig Schneider/ Georg Burckhardt (Hg.), Georg Heym. Dokumente zu seinem Leben und Werk (München 1968)
Kurt Tucholsky: Schiller Nationalmuseum Marbach
Erich Kästner. Erich Kästner Archiv, RA Peter Beisler, München
Bertolt Brecht: Olga W. Tretjakowa (BBA) Akademie der Künste, Berlin
Anna Seghers: Stadtarchiv Mainz
Max Frisch: Fritz Eschen
Heinrich Böll: Sigfried Pater
Wolfgang Borchert: Rosemarie Clausen
Friedrich Dürrenmatt aus: Elisabeth Brock-Sulzer, Friedrich Dürrenmatt. Stationen seines Werkes, Zürich, 1960
Ingeborg Bachmann: Ullstein Bilderdienst
Christa Wolf, dpa Bildarchiv
Günter Grass 1956: Hans Rama; Akademie der Künste zu Berlin

المؤلفون فى سطور :

فريدريك هتمانّ Frederik Hetmann :

هانس – كريستيان كيرش Hans-Christian Kirsch :

ولد فى عام ١٩٣٤ فى مدينة بريزلاور ، يعيش حاليًا كاتبًا حرًا فى مدينة ليمبورج. نشر روايات وكتبًا متخصصة للشباب ، والكبار على حد سـواء . ظهر له فى برنامج دار نشر بيلتس & جيلبيرج عديد من التراجم ، وآخرها «أولد شاتير هاند ، إنه أنا» . قصة حياة كارل مايّ .

"Old Shatterhand, das bin ich". Die Lebensgeschichte des Karl May.

إنجريد روبيلين Ingrid Röbbelen :

حاصلة على الدكتوراه فى عام ١٩٤٤ ، عملت فى عديد من مجالات التعليم : فى المدرسة ، وفى الجامعات . تعمل منذ عام ١٩٩٠ فى معهد الإعداد المتقدم للمدرسين فى هامبورج . تكتب للمجلات المتخصصة ، كما تدير على مستوى العالم ورشا وحلقات دراسية للتعليم المتقدم حول المواضيع الأدبية ، "الكتابة الإبداعية" .

هارالد توندِرن Harald Tondern :

ولد فى عام ١٩٤١ فى مدينة فلينسبورج . بدأ الكتابة وهو تلميذ ، عمل فى بادئ الأمر مراسلاً صحفيًا مستتر الصحف . يعيش حاليًا كاتبًا فى هامبورج وفى إحدى المزارع القديمة الواقعة على بحر الشمال . يكتب روايات ، قصصًا ، وتمثيليات إذاعية ، كما ينظم قراءات ، ورشا ، ومعسكرات كتابة ، وحلقات دراسية للتعليم المتقدم ، من مدينة فاربيرج فى السويد حتى مدينة مدراس فى جنوب الهند .

المترجمان فى سطور :

د.رندة النشار

مدرس بكلية التربية جامعة عين شمس. من مواليد القاهرة – جمهورية مصر العربية. متخصصة فى علم اللغة الألمانية المقارن ، وقد حصلت على درجة الماجستير فى هذا التخصص عام ١٩٩٧ والدكتوراه عام ٢٠٠٢ وكان موضوع إطروحتها للدكتوراه : "تحليل براجماتى وظيفى للعبارات المنقوصة فى اللغتين الألمانية والعربية". شاركت فى ترجمة كتاب "مبارك و التعليم" من العربية إلى الألمانية. ونشر لها بحث فى مجلة "دراسات جرمانية " Kairor germanistische Studien عام ٢٠٠٢ بعنوان : "الكتابة الأدبية كمهارة ثقافية" .

– قامت بالترجمات التالية فى هذا الكتاب :

١ – هاينرش مان : "موت السيناتور" .

٢ – فرانس كافكا : "الدمية" .

٣ – راينر ماريا ريلكه : "التجربة" .

٤ – كورت توخولسكى : "هموم ألمانية" .

٥ – برتولت برشت : "حلم أوجسبورج" .

٦ – فريدريش دورينمات : "ما لا يمكن أن نتعلمه فى المدرسة" .

٧ – هاينرش بول : "أحدهم يصنع سلامه" .

٨ – فولفجانج بورشرت : "إنهم قادمون و سيطلقون علىّ الرصاص" .

٩ – كريستا فولف: "من الذى يشعل الحروب ؟"

ضياء الدين زاهر

مدرس مساعد بكلية الألسن جامعة عين شمس. ولد في الجيزة في جمهورية مصر العربية في ١٤/٥/١٩٦٩ . تخرج في كلية الألسن في عام ١٩٩٠ وحصل على رسالة الماجستير في الأدب الألماني في عام ١٩٩٨ بعنوان "رواية كليوباترا لإميل لودفيج بين التاريخ والأدب"، وهو على وشك الانتهاء من أطروحته لنيل درجة الدكتوراه في الأدب الألماني بعنوان "صورة الشرق في أعمال دانيال كاسبار فون لوهينشتاين".

ترجم العديد من المقالات وشارك في ترجمة عدة كتب من وإلى اللغة الألمانية، منها :

"ترسيم الحدود الكويتية العراقية"، والكويت والتنمية الاجتماعية لمركز البحوث والدراسات الكويتية. إلى جانب بعض المقالات المنشورة في الكتاب التذكاري لجامعة الدول العربية بمناسبة معرض فرانكفورت الدولي للكتاب، منها: الفن والجمال بين القرآن والترف، ومقال التخيل الحر. ومخابئ الخيال في ألف ليلة وليلة، والثقافة العربية في مواجهة التطور الحضاري للآخر. وشارك كذلك في ترجمة كتاب "بوابات عبر الماضي إلى المستقبل. المكتبات في ألمانيا". دار نشر جورج أولمز، وكتاب "كنت طبيباً لصدام". دار الشروق.

– قام بترجمة ما يلي في هذا الكتاب :

١ – المقدمة

٢ – آرتور شنتسلر : الإنقاذ أم "ألم تعد تحبني؟"

٣ – توماس مانّ : "تعطّفت وتنازلت فوضعت لنفسي دستورا ..."

٤ – هيرمان هيسه : مشاعر جامحة .

٥ – جيورج هايْم : "كان يحلم بالموت والفناء" .

٦ – إيريش كيستنر : لقاء أدبي .

٧ – أنّا زيجارس : الرحلة الأخرى للفتيات الأموات .

٨ – ماكس فريش : التعبئة .

٩ – إنجبورج باخْمان : "سفينة الشمس في الميناء ترقد جاهزة ..."

١٠– جونتر جراس : أقصوصة تتطور .

المراجعة فى سطور :

د. علا عادل عبد الجواد

درست علوم اللغة الألمانية وآدابها إلى جانب اللغة الإنجليزية وحصلت على ماجستير الألسن فى موضوعات الغزل بشعر المينيزانج الألمانى مقارنة بالشعر العربى. كما حصلت على دكتوراه فى الأدب المقارن من جامعة عين شمس بالقاهرة حول صورة المرأة فى ملحمة فولفرام فون إشنباخ "بارسيفال" مع مقارنتها بصورة المرأة فى بعض الملاحم العربية. تعمل مدرساً للأدب الألمانى بالجامعة نفسها. ترجمت العديد من الكتب والمقالات والروايات من وإلى العربية منها: فن من سويسرا، وتاريخ الفن الألمانى، وموقع معهد جوته القاهرة/ الإسكندرية إلى العربية وشاركت فى ترجمة كتاب "بوابات عبر الماضى إلى المستقبل. المكتبات فى ألمانيا". دار نشر جورج أولمز، وكتاب "كنت طبيباً لصدام" لعلاء بشير من دار الشروق وراجعته كاملاً.

المشروع القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين بارير	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . توميكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكى	سعيد الغانمى وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	اساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	سرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان برودل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديڤيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	چيرارچينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	چون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف
١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان

١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نينل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	سمحة الخولى
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١- مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣- قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤- صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧- خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨- القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢- عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣- غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤- مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥- الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وألان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامى الكنوجى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسبانى	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧- فى عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	والتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	الفين كرنان	بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤- مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥- شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦- المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧- الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨- الاتصال الجماهيرى	ادوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩- تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لانداوى	جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠- ضحايا التنمية	جيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١- الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢- تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣- الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤- تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدى
٢٠٥- الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦- الهيولية تصنع علمًا جديداً	جيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧- ليل أفريقى	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨- شخصية العربى فى المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩- السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠- مثنويات حكيم سنائى	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١- فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢- قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣- مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤- قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محمود محى الدين
٢١٥- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢١٦- جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧- مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوى
٢١٨- لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازان	على إبراهيم منوفى
٢١٩- بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠- الهيولية فى الكون	بارى باركر	على يوسف على
٢٢١- شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢- فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣- العلم فى مجتمع حر	بول فيرابنر	السيد محمد نفادى
٢٢٤- دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥- حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦- أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى
٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر	موسى ماردیا دیف بوركى	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمى

٢٣٣- فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى	روبين فيرين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلارافر - رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١- فى انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبرى محمد حسن عبدالنبى
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفى بروفنسال	على عبدالرءوف اليمبى
٢٤٤- الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومى
٢٥٤- الفلسفة	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أفلاطون	ديف روبنسون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلى رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود	زكى نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن	چون جريين	على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلى	لويس عوض
٢٦٥- روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	لويس عوض
٢٦٦- مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧- فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨- ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩- وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠- وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١- الحضارة الغربية	توماس سى. باترسون	شوقى جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	رومولو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	اسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	اسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فنجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	چان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس چيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٣١١- مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٣١٤- الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٣١٥- جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٣١٦- محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	نسيم مجلى
٣١٧- بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٣٢٢- وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	دبليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٣٢٤- اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٣٢٥- عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٣٣٢- القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٣٣٣- الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٣٣٥- عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٣٣٨- نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٣٣٩- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٣٤١- قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٣٤٢- سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٣٤٣- العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٣٤٤- الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٣٤٥- الركض خلف الزمن	بونه ندائى	يوسف عبد الفتاح فرج
٣٤٦- سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٣٤٧- الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٣٤٨- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٤٩- دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	آرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٣٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٣٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٥-	التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
٣٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧-	متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٣٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩-	محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠-	أنثروبولوچيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢-	تلميذ بابنيبرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥-	سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧-	القلم الجرىء	نخبة	البرّاق عبدالهادى رضا
٣٦٨-	المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢-	عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤-	اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥-	الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦-	الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٣٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨-	المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩-	ملك فى الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠-	حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١-	أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢-	تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣-	هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤-	القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥-	مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦-	دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧-	أغنيات وسوناتات	چون دن	بهاء چاهين
٣٨٨-	مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٣٨٩-	من الأدب الباكستانى المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥-	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٣٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٣٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨-	سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩-	كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس	تودور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	روى متحدة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمودد سلامة علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافى
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كرستوفر وانت وأندزجى كليموفسكى	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكياڤللى	باتريك كيرى وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدى الجابرى
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودن بورهام	عصام حجازى
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجى رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندى فى بلاد الشرق	شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابى	صدر الدين عينى	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوى
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتى روى	فخرى لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتى
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوى
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علمانى
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلرى	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفرى سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. پ. ماك إيڤوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيڤانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيرى
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيرى
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناترى وأوسكار زاريت	محيى الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عامًا من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية القلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد أبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	هُسرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريودز	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرلر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدّة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦-	ربما كان قديساً	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧-	سيدة الماضى الجميل	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨-	المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩-	الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك	آدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠-	الأرملة الماكرة	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١-	كوكب مرقّع	آن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢-	كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣-	العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤-	مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥-	من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦-	إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان	آرنولد واشنطون وودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧-	نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨-	استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩-	محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠-	الولع بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١-	قاموس تراجم مصر الحديثة.	آرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢-	إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣-	الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤-	الملك لير	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥-	موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون رزيفز	نادية رفعت
٥٢٦-	علم السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧-	كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨-	تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩-	بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠-	مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر
٥٣١-	ما الذى حَدَثَ فى «حَدَث»» ١١ سبتمبر؟	چاك دريدا	صفاء فتحى
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنرى لورنس	بشير السباعى
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد الشرقاوى
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار	نظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون	شوقى جلال
٥٣٧-	للحب والحرية	نخبة	عبدالغفار مكاوى
٥٣٨-	النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى	كيت دانيلر	محمد الحديدى
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحى
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هى تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	ميلانى كلاين	نخبة	حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الروف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسى الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر فى عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا . ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الرءوف
٥٧٩-	تشومسكى	چون ماهر وچودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	جون فيزر وبول سيترجز	محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا الذات	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٤-	سفر	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس ورورى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواه	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	نخبة
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوايو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود سلامة علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (جـ١)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوچية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	النوبة المعبر الحضارى	وليم. ى. آدمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى

٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن أخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن ورين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنَّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث ساولو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا- أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى

٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان - إنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	مدحت الجيار
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك چيمسون - ماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو	ماهر البطوطى
٦٧١- قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤- ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف. محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	ويليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠- سنوات الطفولة	وول سوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١- هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢- نجوم حظر التجول الجديد	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣- سكين واحد لكل رجل	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤- الأعمال القصصية (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥- الأعمال القصصية (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦- امرأة محاربة	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧- محبوبة	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨- الانفجارات الثلاثة الكبرى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩- الملف	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠- محاكم التفتيش فى فرنسا	چوزيف ر. ستراير	رمسيس عوض
٦٩١- ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	دنيس براين	رمسيس عوض
٦٩٢- الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣- القتل الجماعى: المحرقة	حائيم برشيت وآخران	جمال الجزيرى
٦٩٤- دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥- رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦- روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧- أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨- عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩- التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاراتى	جمال الجزيرى
٧٠٠- حقيقة كاتب	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن

٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانڤيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخران
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	ڤالتر بنيامين	نخبة	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال التكنولوچيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	جامعة كل المعارف (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٤)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢٠-	جامعة كل المعارف (جـ٦)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧٢١-	فلسفة المتكلمين فى الإسلام (مج١)	هارى أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	بول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	جون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى الغرب	غييرمو غوثالبيس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	آن جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التمييز والاختلاف	نخبة	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (جـ٢)	باتريك ل. آبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية (جـ١)	جيرار دى جورج	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر (جـ٢)	جيرار دى جورج	محمد عواد

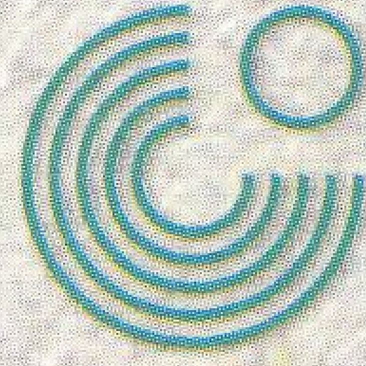
٧٤٠- خطابات القوة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١- الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢- أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣- الثقافة منظور دارويني	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤- ديوان الأسرار والرموز	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥- المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦- تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	جوزيف . أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧- المجاز فى لغة السينما	تريفور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨- تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩- أيكولوچيا لغات العالم	ل.ج. كالفيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠- الإلياذة	هوميروس	أحمد عتمان
٧٥١- الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢- ألمانيا بين عقدتى الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣- التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤- الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥- تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندروب دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦- ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧- تجارة مكة	باتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨- الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد
٧٥٩- النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال السعيد الحفناوى
٧٦٠- الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١- جيوب مثقلة بالحجارة	فيرجينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢- المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣- الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤- ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥- ديوان خواجة الدهلوى (شعر تصوف)	خواجة الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦- الشرق المتخيل	تييرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧- الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨- حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩- أدباء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٢١٨٦١ / ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة




GOETHE-INSTITUT

يتناول المؤلفون فى هذا الكتاب ثمانية عشر أديبًا ممن يكتبون بالألمانية، من خلال أقصوصة صغيرة تحكى تجربة واقعية عاشها كلٌّ منهم فى شبابه، ثم الإحالة إلى بعض الإشارات التوثيقية الخاصة بحياة كلٍّ منهم، كما تَعْقُبُ ذلك مقترحات للقراءة، تبين أفضل طريقة للدخول إلى العالم الإبداعى لهؤلاء الأدباء، والأماكن التى يمكن أن يتوجه إليها القارئ فى رحلة بحثه عن آثارهم، كل ذلك بهدف إثارة شهية اللقاء.

الغلاف: وائل أحمد